

منزل أبو خطوة

رواية









"ليلة في جهنم"

منزل أبو خطوة





info@darak-egy.com


010 27251915 –02 24832669

51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.

ليلة في جهنم – منزل أبو خطوة

حسن الجندي

تصميم الغلاف : كريم آدم

تدقيق لغوي : أحمد أسامة

رقم الإيداع : 2016 / 26384

الترقيم الدولي : 4 – 6 – 85316 – 977 – 978

الطبعة الأولى : 2017

حسن الجندي

"ليلة في جهنم"

منزل أبو خطوة

رواية



إهداء

إلى روح أمي الغالية .. أشعر بأن الوقت قد اقترب، ما هي إلا بضعة أمور أنجزها لأكون مستعدًا .. أراكِ هناك



ما قبل البداية

1963 – مصر – جبل حمزة

داخل منشأة رقم ب 6 التابعة لبرنامج الصواريخ المصري جلس ثلاثة من المهندسين الألمان يرافقهم مهندس مصري داخل إحدى المكاتب بالطابق الثاني، المهندسين الألمان يقفون جميعًا على منضدة صغيرة وضعت عليها بضعة رسوم هندسية لغرفة تبريد داخل صاروخ، وأحدهم يكتب بضعة معادلات على هامش الرسوم والإثنان الباقيان ينتظرانه بشغف.

أما المهندس المصري فجلس وراء إحدى المكاتب يقرأ تقرير مراجعة كتب بالألمانية لغرفة الاحتراق الأولى في الصاروخ ويكتب بضعة ملاحظات على مفكرة صغيرة بجانبه.

– سلام عليكم

قالها رجل في الخمسين من عمره وهو يدخل بصحبة شاب من باب المكتب فنظر له اثنان من الألمان وقالا بلغة عربية مضحكة:

– وعليكم السلام

نظر المهندس المصري للشاب وهو يرد التحية بابتسامة مرحبة، فقال الرجل:

– أعرفكم بدكتور/جابر، اللي كلكم مستنينه، هاسيبه معاكم دلوقت وأرجع لكم في ساعة الغدا

ثم نظر للشاب وهو يقول بود:

– أهلًا بيك معانا، هاسيبك تتعرف عليهم بس خلي بالك إن الألمان هنا ما يعرفوش غير كلمة سلامو عليكم وعليكم السلام، نتقابل على ساعة الراحة

غادر الرجل فسار (جابر) بخطوات واثقة لداخل المكتب والمهندس المصري ينهض من خلف مكتبه ويمد يده لمصافحة (جابر) معرفًا نفسه:

– معاك المهندس (حلمي فضل الله)، شرفتنا

جلس (حلمي) خلف مكتبه مرة أخرى بينما جلس (جابر) على مقعد أمام المكتب، قال (حلمي) وهو يشير للألمان:

– بعد ما يخلصوا اللي بيعملوه هاعرفك عليهم، معلش انت عارف إننا مشغولين علشان اختبار الإطلاق بتاع بعد بكرة

– عارف، كمل اللي بتعمله دلوقت ونتكلم بعد ما تخلص

– لا عادي أنا يعتبر خلصت خلاص.. بس ممكن أسألك سؤال؟

– اتفضل

– هو حضرتك دكتور في أنهي فرع في الهندسة؟

– في الفيزياء النظرية



رفع (حلمي) حاجبيه دهشة فضحك (جابر) وقال:

– معلش أنا حاسس بيك، تلاقيك بتقول إيه اللي بيعمله معانا هنا

– في الحقيقة أة.. هما قالولنا إن فيه مشرف مصري هيجيي يتابع شغلنا قبل اختبار الإطلاق، لكن شكلك صغير في السن وماشاء الله بتقول معاك دكتوراة في الفيزياء النظرية اللي أنا معرفش كتير عنها أساسًا، هو حضرتك علاقتك إيه بالصواريخ

– زي ما قالولك، أنا مشرف، بتابع مش أكتر، صعب أتدخل في شغلكم، يهمني أراجع عملية الإطلاق للصاروخ (القاهر) وأحدد هيغلط بنسبة كام متر في إصابة هدفه.

– وحضرتك واثق إن الصاروخ هيغلط ليه في الإصابة

– كل اللي شغالين في برنامج الصواريخ يا باشمهندس عارفين إن مفيش أجهزة توجيه للصواريخ وهي طايرة، يعني كأنك بترمي طوبة بالظبط

– أنا أسف بس حضرتك محبط جدًا

– بالعكس، لازم أكون موضوعي علشان أنقل كل اللي هشوفه للجهة اللي كلفتني بالإشراف على التجربة

– وهو مين اللي كلفك؟

– مكتب الرئاسة

***

الفصل الأول

المذبحة

في عام 1993 كان خضم الصراع بين عائلتي (الدهان) و(السلاموني) في قرية (أبو النور) في القناطر، ربما كان صراعًا مضحكًا بعض الشيء، ففي العام السابق اتهمت إحدى نساء عائلة (السلاموني) رجل من رجال عائلة (الدهان) بأنه غشها عندما باع لها بيضًا فاسدًا عن قصد.

وكانت المسألة من التفاهة بحيث لم ينتبه لها أي طرف من العائلتين ولكن تبنى الجبال من الحصى، فبسبب ذلك الحادث التافه قامت ثائرة العائلتين وازدادت المشاحنات بينهما ووصلت إلى حد المشاجرات بالأيدي ثم استخدام الأسلحة البيضاء، ظل الكره والعداوة بين العائلتين قائمًا بتلك الحالة لمدة ستة أشهر تقوم المشاجرات بينهم على أتفه الأسباب، ينظر أحدهم للآخر نظرة لم تعجبه، ثم ينتقل الأمر لمرحلة (لقد سب والدتي في سره)!!!

ولكن سمع أهالي قرية (أبو النور) في ليلة ما صوت رصاص وانتشر الخبر في الصباح بأن لصوصًا هاجموا رجلًا من عائلة (السلاموني) وقتلوه.. ولكن عائلة (السلاموني) أخذت تلك الحادثة على أنها من تدبير عائلة (الدهان) وبالتالي يجب الانتقام.. ولكن الانتقام من من؟

لذلك افتعلوا مشاجرة في يوم ما وفي داخل المشاجرة انطلقت رصاصة من أيد خفية لتصيب أحد رجال (الدهان) في مقتل وهنا اشتعلت المشاجرة وبدأت الرصاصات تنهال من الجانبين بعد أن ابتعد الطرفان قليلًا، بدأت مناوشات انتهت بعد دقائق من تراشق النيران، ولكن بتلك الحادثة بدأ الصراع الحقيقي بين العائلتين.. محاضر النيابة لا يمكنها حصر جميع أفراد العائلتين، ولذلك فالشرطة لا تتمكن إلا من القبض على القليل



والباقي يهرب مرة أخرى وخاصة أن نقطة الشرطة القريبة من القرية لا يمكنها مطاردة الفارين أو حتى إحكام سيطرتها على القرية، فهي في الأصل شقة إيجار قديم بالدور الأرضي بإحدى المنازل، ليس بها إلا ضابطان واثنين من العساكر الذي تنحصر مهمة أحدهما في رش بعض الماء أمام المنزل كل صباح ليرطب الجو كي يتمكن الضابطان من الجلوس في الهواء الطلق.

ولذلك انتشرت تلك المناوشات ووقع ثلاثة رجال من عائلة (السلاموني) وستة رجال من عائلة (الدهان) والكثير من الاصابات التي لا تحصر، حتى تم ما يبدو كأنه معاهدة صلح بين العائلتين بمساعدة بعض العائلات من القرى المجاورة.

ولكن بعد ثلاثة أشهر من المعاهدة حدث ما توقعه الجميع على الأغلب.

***

داخل منزل الحاج (عبد الفتاح) كان من المقرر أن يجتمع بعض رجال العائلة الذين أرسل هو في طلبهم ليتناولوا الغداء، نزل الحاج (عبد الفتاح) إلى الشقة في الطابق الأرضي التي سيجلس بها الجميع، دخلها وجلس في أحد أركانها المخصصة للضيافة، فكر كثيرًا قبل أن يدعوا الرجال لتناول الطعام، فكر في حال عائلته في الفترة الأخيرة ومنافستهم لعائلة (السلاموني)، عاد التفكير يهاجمه ثانية وهو متربع على الأريكة لكن هذه المرة شعر بثقل جفونه، فكر أنه لا ضير من بعض الاسترخاء قبل الغداء،

استسلم للنوم ليتوقف عقله عن التفكير قليلًا، لكن الغريب أنه فجأة وجد نفسه داخل حلم.

علم أنه نائم وأنه يحلم، ومع ذلك لم يستطع التحكم بحركته داخل الحلم، فترك نفسه تتحرك وهو يتأمل الحلم.

يقف في اللامكان، لا معالم واضحه له لموضع وقوفه، لكنه رأى أشخاصًا يعرفهم، هذا هو أحد أبناءه يتعارك مع (سيد) ابن كبير عائلة (السلاموني)، ابنه يكيل لسيد اللكمات والركلات بعنف حتى تورم وجه (سيد) الذي انهار أرضًا، أحس بالفرحة وهو يشاهد ولده يؤدب (سيد)، بل ويكسر إحدى قدميه بقوة وأحد ذراعيه، اختفى المشهد كله وظهر له (صبحي السلاموني) والد (سيد) وهو يتقدم منه ويقول بصوت حزين:

– أنا موافق على الصلح يا (عبد الفتاح)، الدم لازم يتحرم بين العيلتين من النهاردة، النهاردة ابني كان هيضيع بكرة ممكن ابنك يضيع

اختفى (صبحي) من الحلم فجأة وسمع (عبد الفتاح) صوت حفيدته (مي) تنادي عليه قائلة (جدي.. قوم يا جدي اعمامي وصلوا)

فتح (عبد الفتاح) عينيه ليجد (مي) تقف أمامه وهي تهزه بلطف، مسح على وجهه واعتدل بمجلسه وهو يقول:

– خليهم يدخلوا ونزولوا الأكل بسرعة

***



ها هم الرجال يجلسون حول (الطبلية) على الأرض يتناولون طعامهم ومن وقت لآخر تأتي إحدى نساء المنزل لتلقي نظرة خاطفة إذا احتاج الرجال دلوًا من الماء أو قطع لحم أخرى أو محاشي، حتى فرغ الرجال من تناول الطعام فقاموا يغسلون أيديهم ثم يتجهون لغرفة أخرى من الشقة الضخمة ويجلسون على وسائد يدوية الصنع وضعت على الأرض.

أما نساء المنزل فقاموا برفع الصحون من على الطبلية واستعدوا لعمل الشاي وتسخين الفحم للشيشة التي سيطلبها كبير العائلة..

الرجال عددهم سبعة تتباين أشكالهم بين مرتدي الجلباب والقميص والسروال والعباءة، وتتباين أيضًا أعمارهم بين العشرينات والثلاثينات والأربعينات، أما الشخص الثامن وهو أكبرهم سنًا وأكثرهم هيبة فكان يرتدي جلباب منزلي بسيط لم يقلل من هيبته كما لم يقلل أيضًا قصر جسده من مظهره المهيب وشاربه المنمق ووجهه الذي مازال يمتلئ بالحيوية والنشاط والقوة برغم سنوات عمره التي تجاوزت الستون بسنوات.

إنه كبير عائلة (الدهان) الحاج (عبد الفتاح الدهان) يجلس بين بعض رجال عائلته أو المقربون منهم بمعنى آخر، والمنزل الذي يجلسون فيه هو منزل كبير العائلة المكون من خمسة طوابق لأبنائه وبناته كي يقيموا معه في نفس المنزل بعد زواجهم، لقد كان رجلًا ذا هيبة واحترام في القرية لم ينافسه فيها إلا الحاج (صبحي السلاموني) كبير عائلة (السلاموني) والذي لم يحتك معه قديمًا في أي مشكلة فكل منهما يعرف أن للآخر قوة عاتية تكمن في عائلته وكأن لكل منهما جيشًا يفتخر به.

المهم أن الحاج (عبد الفتاح) أخبر الرجال بضرورة اجتماعهم على طعام الغداء بعد صلاة العصر في (المضيفة) وهي شقة بالطابق الأرضي للمنزل يجتمع أفراد العائلة بها يتناولون طعام الغداء والعشاء ويتسامرون، يستقبلون الضيوف أيضًا فهي الموازي لفكرة (المندرة) في القرى الريفية القديمة.

جلس الحاج (عبد الفتاح) أمامهم على الأرض بعد أن دخل الجميع غرفة الجلوس وتربعوا على الأرض مرتكنين على الوسائد الضخمة التي تراصت وأمامهم الحاج (عبد الفتاح) يجلس وهو يمسح يده في المنشفة من الماء، وينظر لهم ويقول وهو يوزع نظراته عليهم، الحلم الذي راوده مازال يزن في رأسه، الأحداث التي رأها فيه هي الحل لمشاكل العائلة، لكنه لن يخبرهم بالطبع بأنهم سيتحركون بناء على حلمه، تنحنح وقال:

– الواد (علي) إبن (سماح) اللي شغال في مصنع الخراطيم اللي في أول البلد، صاحب المصنع شتمه وطرده علشان عمل حاجة غلط في المصنع.

رد عليه أحد الرجال قائلًا باستغراب:

– وإيه المشكلة، نجيبله شغل تاني

– المشكلة إن وصاحب المصنع بيطرده قاله مأشوفش وشك هنا تاني ياابن الكلب.. الواد قاله ماتشتمش أهلي قام صاحب المصنع قاله أهل مين يالا هما (الدهان) دول يبقوا أهل دول شوية عيال بيزعقوا على الفاضي.

اشتعلت النيران في أعين الرجال واتسعت أعينهم غضبًا وقد أحمرت وجوههم وهم أحدهم أن يتكلم ولكن الحاج (عبد الفتاح) قال مكملًا كلامه:

– العيب مش على صاحب المصنع، سيبكم من دي وخدوا دي، من كام يوم جالي (محمد) ابن (سمية) بنتي وبيقولي وهو بيلعب مع العيال في الشارع اتخانق وواحد فيهم قاله يا ابن (الدهان) اللي بياكلوا على قفاهم، وشوية الموضوع اتقلب لتريقة والعيال زفوه.. ومش كده وبس لا دا الموضوع وصل لشغلنا ولتجارتنا، التجار بقوا يبصولنا باستهتار وقرف ووصلت إن فيهم اللي يعمل نفسه بيهزر ويمد إيده على حد من الصبيان بتوعنا

سمع الجميع صوت باب الشقة يفتح وفتاة صغيرة تدخل وهي تحمل صفحة كبيرة تراصت عليها أكواب شاي بجانب كيس كبير للسكر وملاعق وتبعتها فتاتان تحملان كل منهما شيشة في يدها وفي اليد الأخرى طبق من الفخار يمتلئ بالفحم المشتعل، فسكت الرجال حتى وضعت الفتيات الأشياء أمامهم وغادروا الشقة، نهض أحد الرجال يعد الشيشة للحاج بنفس راضية ويرص الفحم على المعسل حتى أشار له الحاج بالعودة لمجلسه، استأنف كلامه قائلًا وعيناه تضيقان أكثر:

– عايزكم تهدوا لما تسمعوا الكلام اللي هقوله دلوقت

– خير يا حاج؟

– امبارح.. واحد من عيال (صبحي السلاموني) فضل ماشي في الشوارع ورا (هدى) بنت (صلاح) ابني الله يرحمه ويعاكسها، ولما دخلوا في حارة ساكتة، مد ايده على جسمها وباسها بالعافية.

احمرت الوجوه واتسعت الأعين ونهض البعض من هول الموقف وعلت الأصوات فصاح فيهم ليصمتوا ويتكلموا بهدوء.

– يا حاج مش الكلام دة بس اللي انت بتعرفه هو اللي بيحصل، فيه كتير بيحصل ونكتم في قلبنا ونسكت علشان كلمتك اللي انت قلتها، لما قلت محدش فيكم يقرب لولاد (السلاموني)، برغم إن أخويا الله يرحمه اللي خدوه غدر من كام شهر لسه ما خدتش حقه، بس بلعناها علشان ما نكبرش المشكلة، لكن عرضنا لأ يا حاج.

قال تلك العبارة (محمد) ابن شقيقة الحاج (عبد الفتاح) محاولًا تمالك انفعالاته، فتبعه أحدهم يوجه كلامه للحاج بغيظ:

– قتلوا من عندنا ستة يا حاج ومات من عندهم تلاتة بس.. دة يرضي مين ده يا عالم، لولا كلمتك يا حاج كنا مس......

– سحبت كلمتي

قالها الحاج مقاطعًا الرجل فنظر الجميع له بذهول ولكنه أكمل والغضب ينتشر في قسمات وجهه:

– من تلاتين سنة وعيلة (الدهان) اسمها يرن زي الطبل في أي مكان.. الشنبات تتهزلها، والأرض تشيلها، أبويا سابلي تجارته واسمه وأنا كملت من بعديه وزودت الجنية لألف وبقى (الدهان) اسم يرن عند تجار النحاس وفي

كل مصنع فيكي يا بلد اشتغل في توريداتنا، رجالتنا كانوا يمشوا في أي حتة الكل يقف لهم باحترام وهما حاطين وشهم في الأرض ويسلموا بعلو صوتهم كمان ونفسهم بس يسمعوا رد السلام من رجالتنا.. لكن يجيي يوم عليا وأنا عايش أشوف فيه عيل من ولاد (السلاموني) يهتك عرضي!!

قام أحد الرجال من مجلسه والغضب مرتسم على وجهه وهو يقول:

- إحنا سكتنا كتير يا حاج ولازم ولاد (السلاموني) يتربوا

- واحنا مش هنسكت يا (متولي) إحنا هنرد وهنرجع هيبتنا تاني والليلة...

ظهر تأثير الكلمات من خلال التحفز الذي ظهر على الرجال الجالسين حتى قال الحاج:

- الليلة ابن (صبحي السلاموني) لازم يتأدب، لكن مش زي كل مرة.. إحنا لازم نكون مستعدين علشان ولاد الكلب دول مايوقعوش حد مننا

سكت الحاج هنيهة وهو ينظر في الوجوه ويقول:

- أربعة منكم يا رجالة هيروحوا على المحل بتاع (سيد) إبن (صبحي) ويمسكوه ويخرجوه من المحل وينزلوا فيه ضرب قدام الكل، عايزكم تكسروا رجليه الاتنين وإيديه الاتنين، مش هيكفيني فيه موته، لكن هيكفيني إنه يتشل بقية عمره.. سلاحكم هيبقى معاكم لو انضرب عليكم النار انتوا عارفين هتعملوا إيه، الباقي من الرجالة هيكونوا جاهزين في بيوتهم لو سمعوا ضرب النار هيخرجوا ليكم وهتبقى الليلة يا قاتل يا مقتول، وبعد ماتخلصوا أنا هروح لصبحي قدام الكل وأحذره إن لو حد من عيلته اتعرض لحد عندنا

سواء بالكلام أو الفعل هو نفسه اللي هيموت، وإن اللي عملناه في ابنه ده قرصة ودن علشان يفضل باصص له وهو مشلول بقية عمره ويفتكرنا لو هوب لحد فينا، ونعمل صلح تاني لكن المرة دي هتكون راسنا مرفوعة قصاد الكل ان رجالتنا كسروا ابن كبيرهم

نظر الحاج إلى أحد الرجال وأمره بإغلاق باب الشقة ثم نظر لأقرب الجالسين إليه وأشار له برأسه فقام الشاب الذي كان حفيده من مجلسه وهو يرفع الوسادة التي كان يجلس عليها، عندما شاهده الرجال أدركوا ما يحدث فنهض كل من مكانه وهم يساعدونه على رفع الوسائد ورفع السجادة الثقيلة لتظهر طبقة البلاط الناصعة ويبدأ الحفيد في إزاحة ثلاثة بلاطات ويمد يده للأسفل ويخرج البنادق الآلية واحدة واحدة وكلما عثرت يده على شيء أخرجته مثل خزائن البنادق الآلية وبعض المسدسات غريبة الشكل محلية الصنع، ومسدسات عادية.

نظر الرجال للأسلحة، وقد كانوا يعرفون بوجود ذلك المخبأ الذي هو واحد من مخابئ كثيرة للعائلة للسلاح كي يتم استخدامه في أوقات الشدة والمشاكل، عادة تخزين الأسلحة النارية في منازل عائلات القرية قديمة جدًا لا يعرف أحدهم من بدعها، لكنها أصبحت قانون صارم عند بناء كل منزل جديد سواء كان لأسرة فقيرة أو غنية، وفي الغالب ممول السلاح يكون كبير العائلة الذي يؤمن تجارته وعائلته من أي هجمات محتملة، لا يعرف أماكن التخزين إلا رجال العائلة ونساءها ومحرم عليهم البوح به لأي فرد خارج العائلة، هنا نهض الحاج من جلسته وأمسك ببندقية آلية من نوع (بورسعيد) وهو يعطيها لأحد الرجال قائلًا:



- الحتة دي خليها معاك يا (جودة) وخلي بالك لما تضرب أول خزنة منها اصبر عليها شوية قبل ماتضرب الخزنة اللي بعديها علشان فارغ الطلق ماينحشرش في السبطانة

ثم تناول قطعتين من بنادق الكلاشنكوف وأعطاهم لرجلين آخرين وتناول قطعة ثالثة وهو يقول:

- كل واحد منكم هيشيل طبنجة حلوة ورشاش وخزنة زيادة لرشاشة مش عايزكم تبقوا تقال وانتم بتهربوا، لو الموضوع اتأزم هتلاقونا في ضهركم على طول

بدأ كل واحد منهم في فك قطع سلاحه والتأكيد عليها ثم أخذوا الخزائن وبدأوا في تعمير أسلحتهم وكذا أخذ باقي الرجال الأسلحة الباقية وتأكد الجميع منها والحاج يقول لهم:

- بعد الساعة ستة تتوكلوا على الله تنفذوا اللي اتفقنا عليه.. إنتوا تخشوا عليه وتكسروه ولما جتته تريح شوية، واحد بس اللي يكمل عليه والتلاتة التانيين يطلعوا السلاح ويخلوا عينيهم في وسط راسهم علشان محدش يقرب، تبهدلوه شوية وتسيبوه مرمي وتهربوا على بيت (سنوسي) جوز أختي وهو هيخبيكم.

نظر الرجال لبعضهم بتحفز وقد غلت الدماء في عروقهم وهم يتخيلون هيبتهم تعود مرة ثانية في الساعات القادمة.

***

الليل يزحف رويدًا رويدًا والرجال يتقدمون بهدوء بين الشوارع الضيقة المميزة لقرية (أبو النور)، ثلاثة منهم يرتدون الجلباب ويخفون أسلحتهم تحت ملابسهم والرابع يرتدي قميص وسروال ويحمل لفافة جرائد تخفي سلاحه، يتناقشون وهم يسيرون كي يخفوا ما ينوون فعله، ولكن لطريقة سيرهم كاريزما خاصة لا يمكن للعين العادية أن تخطئها، هؤلاء الرجال سيقومون بعمل ضخم للغاية، مشيتهم الواثقة وذقونهم المرفوعة هي الدليل الذي لا يمكن قبوله ولكنه يكفي بالنسبة لمن يراهم بكل تأكيد.

اقتربوا جميعًا من أول القرية عند المنطقة التي تقترب من موقف الميكروباصات والنصف نقل حيث يقبع محل (سيد صبحي) الذي يشبه محل البقال ولكنه أكبر قليلًا وداخله يقف (سيد) مشغول بمراجعة بعض الحسابات من داخل دفتر، توقف شاب طويل القامة وسيم الملامح أمام المحل، يرتدي قميص أسود وسروال من الجينز، تنحنح وقال:

– سلامو عليكوا

نظر (سيد) له وتأمله لثوانٍ ثم قال بجدية:

– وعليكم السلام، أؤمر

– كام واحد من عيلة (الدهان) جايين على المحل دلوقت، ناويين يبهدلوك، إمشي من محلك حالًا

قال الشاب عبارته السابقة وغادر بخطوات سريعة ناحية موقف الميكروباصات حتى أن (سيد) لم يعمل عقله بالقدر الكافي لاستيعاب ما قاله الشاب، نظر له وهو يمشي مبتعدًا وأعاد العبارة في عقله مرة ثانية، إذن

فعائلة (الدهان) ينوون على الغدر، لا لن يهرب ابن كبير عائلة (السلاموني)، بل سيلقنهم درسًا جديدًا لأنهم على ما يبدو لم يتعلموا من كل ما سبق، نظر لأحد أرفف المعلبات وهو يقترب منها متمتمًا ببعض السباب لعائلة (الدهان)، ثم أزاح بضعة معلبات من السالامون ومد يده لتجويف في الحائط ليخرج منه ذلك المسدس الإيطالي الضخم ذو الماركة الشهيرة (بيرتا)، ومعه خزنة إضافية وبضعة رصاصات وضعها بجيبه ثم سحب أجزاء المسدس ليصبح مستعدًا للإطلاق.

بعد دقائق اقترب الرجال من المحل وهم يسيرون بجانب بعضهم البعض يحاولون ألا ينظروا للمحل كي لا يثيروا الشبهات، أحدهم نظر بسرعة بشكل خاطف ناحية المحل لكنه لم يستطع إبعاد نظره، لأن عينيه اصطدمت بعين (سيد) الذي نظر إليه بتركيز، توقف الرجل مذهولًا خوفًا من انكشاف أمرهم قبل الأوان، توقف الزمن هنا للحظات، قطع (سيد) تلك اللحظات عندما أخرج فجأة مسدسه من جيبه وأطلق رصاصة استقرت في جمجمة الرجل.

في تلك اللحظة تفرق باقي الرجال وهم يخرجون أسلحتهم ويمطرون المحل بالنيران و(سيد) قد توارى للداخل قليلًا وهو يمطرهم بالنيران العشوائية.

لقد اشتعلت الحرب.

***



- النار ولعت يابا

قالها أحد أبناء عائلة (الدهان) فاتحًا باب منزله وهو يسمع صوت الطلقات الواضح فصرخت إحدى النساء الجالسات في المنزل، ولكن أتى صوت من رجل ضخم الجثة يرتدي جلباب يخرج من إحدى الغرف قائلًا لها:

- لو سمعت صوتك ده تاني أنا اللي هخليهم يصوتوا عليكي يا مرة.

كان الرجل يحمل مسدسًا في إحدى يديه وفي اليد الأخرى يحمل خزنتين يقوم بإدخالهم لجيبه في حين خرج أحد الشباب من غرفة جانبية وهو ينظر للواقفين ويقول بارتباك للرجل الضخم:

- نجيب السلاح يابا؟

نظر له الأب لحظات وهو يتأمله ثم قال له:

- خرج كل السلاح وعرف اخواتك يضربوا في المليان على رجالة (السلاموني)، ابعدوا عن اللي مش شايلين سلاح.

قالها الأب مغادرًا المنزل وهو يشد أجزاء مسدسه استعدادًا للتعمير، وفي نفس الوقت وفي منازل عائلة (الدهان) كان الرجال والشباب يخرجون حاملين أسلحتهم متجهين لأول القرية حتى أن عدد الرجال من عائلة (الدهان) الذين يحملون أسلحة نارية وصل لخمسة وعشرون شخص.

***



في منزل الحاج (صبحي السلاموني) والذي كان يقوم بمداعبة أحفاده سمع أصوات النيران فأمر النساء بالنزول للأسفل سريعًا وجرى لنافذة الشقة التي يجلس فيها يحاول أن يرى ما يحدث ومن أين يأتي صوت الرصاص، ظل هكذا ينظر من النافذة لدقيقة حتى رأى ابن شقيقه يخرج من المنزل حاملًا بندقية ويجري فناداه سائلًا إياه عما يحدث فقال له الشاب وهو يجري:

– عم (سيد) بينضرب عليه نار في دكانته من ولاد الدهان يا عمي

خفق قلب الحاج (صبحي) للحظة وابتلع ريقه وهو يتخيل ما يحدث لولده (سيد)، كان الحاج (صبحي) ضخم الجثة يرتدي نظارة طبية وله ذقن نامية وشارب منمق وبرغم مظهره الهادئ وكبر سنه وملامحه الطيبة التي لا تدل على الشر تحولت ملامحه فجأة وهو يجري بخطى لا تناسب سنه وكأنه شاب في العشرين ليدخل إحدى الغرف ويفتح الدولاب ويخرج بندقية كلاشينكوف آلية وثلاثة خزائن لها ويلقمها على النظام الآلي أثناء الضرب وهو ينزل السلم جريًا لخارج المنزل ثم يقف أمام المنزل ويرفع بندقيته الآلية عاليًا ويطلق منها دفعة من الرصاص في الهواء ثم يقول بصوت عالي:

– يا ولاد (السلاموني).. دم ولاد (الدهان) حلال ليكم النهاردة

كان ينظر لمنازل عائلته والتي خرج منها بالفعل حتى قبل أن يقول العبارة الكثير من الرجال حاملين أسحلتهم متجهين جريًا إلى أول القرية.

* * *

(سيد) يطلق الرصاص من داخل المحل ورجال (الدهان) توزعوا على الجانبين يطلقون الرصاص رأسًا لداخل المحل، التراشق كما هو وميكروباصات الموقف القريبة يركبها سائقوها ويغادرون الموقف سريعًا بعيدًا عن الرصاصات الطائشة والنساء والأطفال يغادرون المنطقة جريًا وهم يطلقون الصرخات وتراشق النيران كما هو.

كما يبدو فإن (سيد) يقوم بتعطيلهم حتى يصل أفراد عائلته ولكن حدث ما لم يتوقعه (سيد)، فقد سمع من يصيح بصوتٍ عالٍ من بعيد ثم ازدادت الرصاصات على المحل وبدأت بعض الرصاصات تطيش حوله وتقترب منه من كثرة عددها وكأن أكثر من رجل يقوم بتوجيه النيران، وبالفعل هذا ما حدث من رجال عائلة (الدهان) الذين صدموا من مقتل ابن الحاج (عبد الفتاح) مصابًا برصاصة في رأسه، لقد جن جنونهم وهم يمطرون المحل ولكن بالرغم من ذلك كانوا يعرفون أن (سيد) يقبع داخل المحل ويمكنه إطلاق الرصاص في حالة اقترابهم منه فقام أولهم بالإشارة بيده وهو يصيح للرجال:

– وقفوا الضرب

استمر الضرب لثوانٍ قبل أن يقف ثم سمع الجميع صوت نفس الرجل الذي عرفه الجميع أنه أحد أبناء الحاج (عبد الفتاح) يقول:

– الكل يرجع لبيته.

من مكمنه لاحظ (سيد) بالفعل أن الرجال يتجهون بسرعة وبحذر بعيدًا عن المحل فتابع (سيد) ما يحدث ولم يرد أن يطلق عليهم النار فذخيرته بالفعل لا تحتمل فترة إطلاق أخرى لأن ما بقى معه من الرصاصات لا



يكمل السبعة، كان يرفع رأسه بحذر وهو يصوب مسدسه ناحية الرجال الذين يغادرون المكان بأسلحتهم وهو يحمد الله على انسحابهم ونجاته، لحظات ولم يجد أحد من الرجال في مرمى بصره ولكنه مازال محتفظًا بموقعه حتى وصول عائلته كي لا تكون مكيدة، شعر أنه يسمع خطوات أو صوت شيء يحتك بالأرض، ولكنه لم يفكر كثيرًا إذ سمع صوت شيء معدني قوي ولكنه ليس كتعمير سلاح ناري أو شد أجزاءه!!! ثم تذكر هذا الصوت المشهور للفرد الخرطوش _ كما يسميه العامة _ الذي يمكن صناعته في ورش الخراطة الحديدية ويعمر بطلقة خرطوش أو طلقتان على الأكثر، كان الصوت بجانب المحل فتحفز وهو يوجه مسدسه ناحية الجانب الذي سمع منه الاحتكاك المعدني ولكنه شعر بألم خاطف وأطلق صرخة بحرقة ويده التي تحمل المسدس تنفجر حرفيًا من جراء دخول طلقة الخرطوش فيها .. كان مطلق الرصاصة هو ابن الحاج (عبد الفتاح) الذي سمع صوته يأمر الرجال بالتراجع منذ قليل .. دخل عليه المحل وهو يحمل مسدسًا ضخمًا ذا فوهتين ضخمتين واضح أنه مصنوع في ورشة خراطة كما توقع وصوت احتكاك المعدن كان يعني أن الرجل بعدما وضع الخراطيش أغلق مسدسه

- إيه يا ابن السلاموني، اتخضيت .. سلامتك من الخضة

أخذ (سيد) في سَبِّهِ وهو يمسك بيده اليسرى يده اليمنى المهترئة ولكن الرجل اقترب أكثر ووجه المسدس لرأسه من مسافة قريبة وأطلق الطلقة محدثًا صوتًا عاليًا وكمية من الغبار المختلط بأشلاء مخ (سيد).

***

وقف أبناء عائلة (السلاموني) يحيطون بالمحل وكل منهم يقبض على سلاحه الناري وقد غطى الليل القرية وانتشر الظلام إلا من عيون الرجال التي كادت تشتعل نارًا وهم ينتظرون بصبر وصول الحاج (صبحي) كي يشاهد ما حدث لولده ويأمرهم بفعل ما يحلمون به ألا وهو محو أولاد (الدهان) من الدنيا .. بالفعل قد سمع الجميع أن الحاج (صبحي) قال بأن الليلة يسمح لهم بقتل أولاد (الدهان) كما يريدون ولكن بمجرد أن اقترب الرجال من المحل واكتشفوا جثة ولده قرر أكبرهم انتظار وصول الحاج ليرى ما حدث قبل التحرك...

وصل الحاج يجري وهو يحمل بندقيته الآلية، كان يجري لكنه توقف عندما رأى رجال عائلته يحيطون بمحل ابنه، تأنى في السير وقد بدأ يتخيل ما حدث .. وصل للمحل فابتعد الرجال قليلًا ليدخل الحاج المحل، دخل الحاج وقد تصلب وجهه على جثة ولده، الجثة التي ضاعت ملامحها من تهتك الجانب الأيسر للوجه وانتشار الدماء وقطع عظام الجمجمة والمخ على الأرض، نظر الحاج للجثة ولم يبد على وجهه أي تعبير ثم نظر لخارج المحل يبحث بعينيه عن أحد الرجال حتى وقعت عينيه عليه فناداه بصوت أجش مما جعل الرجل يجري ناحيته ويقف أمامه مصغيًا إليه ولكن الحاج بنفس الصوت الأجش المسموع للجميع قال:

– مفيش لا راجل ولا ست ولا عيل من ولاد الدهان يبقى عايش بكرة الصبح .. مش عايز أسمع عن حد منهم طلع عليه النهار.



لقد كان يوجه كلامه للرجل ولكن الحقيقة أن الرجال سمعوا الكلمات جيدًا واستوعبوا أنها موجهة لهم وعليهم تنفيذها، وبالفعل تجمع الرجال والرجل الذي كان يقف مع الحاج يأمرهم بما سيفعلون.

***

بدأت الحرب بين العائلتين وها هي أصوات الرصاصات تنتشر في البلدة التي قرر سكانها اللجوء للبيوت مما جعل شوارع البلدة خالية إلا من أبناء (الدهان) (والسلاموني) وقد فهم كلا منهم أن بقاء إحدى العائلتين يعتمد على القضاء على الأخرى، كمائن وأصوات صراخ ودماء وأجساد تملأ الطرقات والمذبحة مستمرة حتى بدأ رجال (السلاموني) يدخلون منازل عائلة (الدهان) ويطلقون الرصاص على الجميع بجنون مما جعل أبناء (الدهان) يفهمون أن هناك أمرًا بقتل الجميع حتى النساء والأطفال، وهذا ما لم يحدث بين العائلات من قبل، فلم تكن النساء والأطفال طرفًا في تلك المشاجرات، ولم يكن من شيمهم قتل النساء والأطفال فهذه أفعال جنونية .. وربما لهذا وقف الحاج (عبد الفتاح) على قدم واحدة وساد الهرج والمرج بين طوابق منزله والحاج يصيح بهم أن يجمعوا ما استطاعوا من الأطفال والنساء من منازل العائلة ويتتبعوه، بينما يفتح غرفة نومه ويزيح الدولاب قليلًا ويسحب حقيبة السفر الضخمة ليضعها على الأرض فاتحًا إياها كي يتأكد من نقوده .. فهو لا يحب الاحتفاظ بأمواله في البنوك ولكن يحتفظ بها سائلة معه، كان المبلغ في الحقيبة يتخطى الثلاثة مليون جنية ببضعة آلاف، أغلق الحقيبة وسحبها بصعوبة للخارج فوجد أحد أحفاده يساعد أمه في الخروج فناداه وأعطاه الحقيبة لكي يضعها في إحدى

السيارات التي سيستقلونها، ثم خرج ووقف في مدخل المنزل من الداخل وقال:

- كل حرمة فيكم تنزل بدهبها وصيغتها، إحنا مش عارفين هنعرف نرجع ولا لأ

صاح الحاج بالعبارة عدة مرات كي تسمعها النساء جيدًا ثم أمر أحد أحفاده الآخرين أن يخرج ويقوم بتشغيل ثلاثة سيارات الجيب كي تكون جاهزة للمغادرة .. كان الحاج قد ارتدى عباءة سوداء وشال من نفس اللون وطاقية بيضاء وراح يضع مسدسًا في إحدى جيوبه ويعلق بندقية كلاشينكوف قديمة على إحدى كتفيه ويتأكد من توافر الذخيرة في جيوبه، لقد علم أن عائلة (السلاموني) يقتلون أفراد العائلة بدون التفريق بين الرجال والنساء ولذلك وجب عليه إخراج أكبر عدد من نساء العائلة وأطفالهم خارج القرية بسرعة، لو كانت المواجهة بين الرجال فقط لما شعر بهذا الخوف على عائلته ولكن تلك المواجهة تختلف فهي تعني القضاء على نسل العائلة من الأساس.

النساء تنزل السلم متجمعين من الطوابق العليا وهم يجرون الأطفال أو يحملهن بين أيديهن، ظهر هنا حفيد الحاج وهو يخبره أنه قام بإدارة ثلاثة سيارات كما طلب وجاهزين للمغادرة، لم يكذب الحاج خبرًا وأمر الجميع بتتبعه حتى وصلوا لمكان تجمع السيارات الملاكي والنصف نقل التي تمتلكها العائلة فأشار للنساء بدخول السيارات, ثم أشار لأحد أحفاده بقيادة سيارة وللآخر بقيادة سيارة ثانية وللحفيد الثالث والأخير بقيادة السيارة الثالثة التي سيركب معه فيها، بدأت السيارات في التحرك متتبعة



السيارة التي يستقلها الحاج وهو ينبه حفيده السائق لمعالم الطريق الذي سيتخذونه للخروج من القرية وأصوات الرصاص تتعالى.

***

في منزل الحاج (صبحي السلاموني) افترش هذا الأخير وسادة على الأرض بعدما عاد منذ ربع ساعة، كان قد أمر إحدى الفتيات بإعداد الشيشة له، توقفت الفتاة لثوانٍ غير مصدقة طلبه وصوت الرصاصات يملأ القرية ولا يهدأ، لكنه صرخ فيها فجرت لتعدها، وها هي تأتي بها وترص الفحم على حجر المعسل، تناول الحاج مبسم الشيشة وهو ينظر أمامه بجمود، أخذ يسحب الأنفاس ومبسم الشيشة لا يتحرك من أمام فمه والدخان يخرج من أنفه، نظرت له الفتاة طويلًا ومشاعر مختلطة تنتابها بين حزن وحسرة وألم، شعرت كأن العالم ينهار فجأة وهي لا تملك إلا أن تراقب انتهاءه.

وسط أصوات الرصاص سمعت الفتاة طرقات الباب فجرت تفتحه ليدخل أحد رجال العائلة والعرق يتساقط من وجهه ويغرق شاربه الضخم مختلطًا بالأتربة، يحمل بندقية خرطوش على كتفه من حزامها الجلدي، قال بأنفاس لاهثة:

- كله تمام يا جدي، الرجالة قربت توصل لبيت كبير (الدهان)

وكان (صبحي السلاموني) لم ينتبه لكلماته ظل ينظر أمامه لا شيء سوى أنفاس الشيشة تخرج من أنفه بانتظام، نظر الرجل للفتاة فنظرت له والدهشة ترتسم على كل منهما، دقيقة مرت في صمت حتى أبعد (صبحي) المبسم قليلًا وهو يقول بخشونة:

- مش هتلحقوا توصلوله .. أنا عارف (عبد الفتاح) كويس، هيلم اللي هيقدر عليه من فلوسه وعياله ويهرب بيهم من البلد

- والعمل؟

- خلي أي حد يطلع وراه يحاول يجيبه

أعطى الرجل ظهره لصبحي وهو يغادر المنزل ولكن صوت الحاج جاءه فجأة:

- استنى

نظر له الرجل بأدب ولهفة، رمى (صبحي) مبسم الشيشة ومد يده داخل جلبابه وأخرج حافظة نقوده، قلب فيها حتى أخرج ورقة صغيرة، أعطاها للرجل وهو يقول:

- اتصل بالرقم ده، واللي يرد عليك قوله الحاج (صبحي السلاموني) عايزكم دلوقتي حالًا في البلد، وقولهم إن رجالة العيلة هيستنوكوا على أول البلد علشان يدخلوكوا.

نظر الرجل للورقة فلم يجد إلا رقمًا ولا وجود لاسم، ذهب إلى الهاتف لينفذ ما سمع، بينما أمسك (صبحي) بمبسم الشيشة مرة أخرى وعاد لسكونه والأنفاس تخرج من أنفه وصوت الرصاص مازال يدوي.

***

خرجت السيارات منذ عشر دقائق وقد قرر الحاج أن يذهبا إلى خارج القناطر نهائيًا مقتربين من الطريق المؤدي لشبرا، ففي شبرا سيتمكن من

إخفاء النساء والأطفال في منزل أحد معارفه .. ولكن خيبت آمال الحاج بمجرد أن رأى في المرآة الجانبية سيارة مرسيدس سوداء تظهر على الطريق لتقترب منهم، كيف علم أبناء (السلاموني) بخروجهم بالسيارات على طريق القناطر المتجه لشبرا؟؟

وكيف لحقوا بهم بهذه السرعة!! لم يأخذ الحاج الكثير من الوقت للتفكير فأمر حفيده بإبطاء سيارتهم ثم أشار بيده من النافذة للسيارتين الأخريين كي تتقدماه وحفيده يبطئ السيارة أكثر حتى أصبحت السيارة المرسيدسخلف سيارة الحاج.

من داخل السيارة المرسيدس انطلق صوت سائقها يصرخ بقوة:

- اقف يا (دهان)

فجأة خرج الحاج بنصفه العلوي من نافذة السيارة وهو يمسك ببندقيته الآلية ويقوم بتوجيه فوهتها إلى السيارة المرسيدس ويطلق دفعة رصاصات اصطدمت بعضها بجسد السيارة فقام سائقها بالانحراف لليسار بقوة والخروج من الطريق بينما سيارة الحاج تبتعد بسرعة بعد أن تأكدت من وقوف السيارة المطاردة على جانب الطريق.

انطلق الحاج بسيارته بسرعة ليلحق بحفيديه حتى صارت سيارة الحاج هي التي تقود السيارات الأخرى كالسابق أخرج رأسه من النافذة، وقال لأقرب السيارات إليه بصوتٍ عال:

- اسمع .. فيه أرض زراعية هنلاقيها قدامنا بعد شوية وقدامها بيت لسه بيتبني، اركنوا جنبيها لما نوصل عندها.

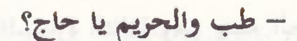
أومأ الشاب برأسه بالموافقة وأبطأ ليبلغ السيارة الثالثة وهو يتبع الحاج وقد رأى بالفعل قطعة الأرض الزراعية وأمامها المنزل الجديد.

***

توقفت السيارات أمام المنزل وخرج الحاج ومعه حقيبة النقود وهو يصيح في الجميع بأن يخرجوا ويتبعوه، خرجت النساء والأطفال وهم يتبعون الحاج الذي دخل المنزل الخالي من الأبواب المكون من أربعة طوابق وقام بفتح ضوء السلم لتنتشر إضاءة حمراء من مصباح صغير معلق في السقف الأسمنتي بسلك مهترئ، غمرهم دفء شديد كأنه يأتي من مدفئة ضخمة بمجرد الدخول عوضهم عن برد الطريق، صعد الحاج السلم الأسمنتي وخلفه النساء والأطفال وهو يتحسس طريقه حتى وصل لأول شقة على يسار المدخل في الطابق الأرضي، وجد بابها الخشبي مفتوحًا فدخل هو أولًا يتحسس الحوائط حتى وجد قابسًا قديمًا فضغط عليه وأضاء المصباح الصغير الأحمر المعلق في سقف الشقة هبت على أنوفهم رائحة متعفنة فأطلق الحاج عبارة سريعة عن الفئران الميتة وروائحها، أدخل النساء للشقة وأمرهم بعدم إصدار أي صوت حتى يأتي لهم في الصباح، توزعت النساء في الشقة بعد أن ترك الحاج معهم الحقيبة وأمرهم بأن يغلقوا زر الإضاءة كي لا يعرف أحد موضعهم، غادر المنزل متجهًا إلى حفيديه اللذان ينتظرانه داخل السيارات، حتى أدخل رأسه داخل نافذة إحدى السيارات وهو يقول:

- طالما كانت فيه عربية ورانا يبقى ولاد (السلاموني) هيحصلونا دلوقت بالعربيات، إحنا هنكمل على شبرا كأننا بنوصل النسوان ونرجع البلد تاني ونلحق الرجالة هناك، لغاية ما ربنا يحيينا بكرة .





- طب والحريم يا حاج؟

- ما تخافش عليهم، ولاد (السلاموني) حمير مش هيعرفوا بوجودهم هنا، المهم يللا بينا نطلع على شبرا لا نلاقي العربية جاية ورانا وأنا عايزهم يفتكروا إننا مكملين وما وقفناش.

كاد الحاج يركب السيارة لولا أن أحد أحفاده قال وهو يخرج رأسه من نافذة سيارته:

- يا حاج إنت ضامن البيت دة إن محدش ساكن فيه؟ دة شكله متجهز من جوه.

- ماتخافش دة بيت (أبو خطوة) معرفتي من زمان وارث الأرض دي عن جدوده وباني البيت ده عليها من سنين طويلة بس لا عايش فيه ولا حد بيقرب منه.

كانت هذه آخر عبارة يقولها الحاج قبل أن يدخل للسيارة وتغادر السيارات المكان متجهين إلى شبرا.

***

منزل (أبو خطوة) يعتبر علامة على هذا الطريق، المسافرين وسائقي الأتوبيس والميكروباص الذين يعملون على الطريق الموصل بين القناطر وباسوس يعلمون هذا المنزل جيدًا ويعتبرونه علامة على الاقتراب من (باسوس)، رغم ذلك لا يعلمون وقت بناءه، وجدوه منذ سنين طويلة بنفس هيئته هذه، الطوب الذي بني البيت به يميل للون الرمادي، أو لربما الأتربة التي تراكمت عليه من الخارج هي ما حولت لونه، بالإضافة للطابق الأرضي

ترى أربعة طوابق أخرى بارتفاع كبير، سقف كل طابق مرتفع كما نرى في العمارات القديمة بأحياء وسط البلد، بني المنزل على مساحة 300 متر هذا غير الأرض الجرداء التي تحيط به بمساحة أمتار قليلة ثم تبدأ الحشائش وبعض البرسيم على مساحات متفرقة.

الأراضي الزراعية كثيرة في تلك المنطقة على جانبي طريق السيارات، لكن تلك الأراضي لا تحتوي على منزل بهذه الهيئة وعلى الطريق المباشر للسيارات، بناء عمارة سكنية على الأراضي الزراعية مخالف بكل الأحوال والحكومة لا ترحم من يقوم بهذا، أما (أبو خطوة) فهو لغز لمن سمع به، فالبعض يقول بأنه كان شيخًا لطريقة صوفية قديمة وله العديد من الأتباع والمريديين لدرجة أن له مقام لجثته في مكانٍ ما بمصر، والبعض يكتفي بالقول بأنه صوفي وله العديد من الكرامات كما أن له العديد من العلاقات برجال الدولة قديمًا، وهم من قاموا بتسهيل إخراج التصاريح اللازمة لبناء هذا المنزل، والبعض يروي عنه أنه تاجر آثار شرير اكتسب ماله من الحرام لكن تاب الله عليه واشترى هذه الأرض وبنى عليها منزله الذي لم يسكنه لأسباب لا يعلمها أحد، مع كل هذا اللغط لن تستطيع إيجاد الحقيقة الواضحة، لكن على كُلٍّ بقي هذا المنزل وحيدًا على الطريق يتحدث الناس حوله ويروون القصص بدون الاقتراب منه.

في الطابق الأرضي والذي تكون من شقتين، جلست نساء عائلة (الدهان) في الشقة التي تركهم بها كبير العائلة، عددهم كبير يتخطى العشرين امرأة وأربعة عشر طفلًا، أعمار النساء متباينة بين السادسة عشرة والخمسين عامًا، يرتدي أغلبهم فساتين سوداء ولف بعضهم أغطية رأس سوداء على رؤوسهن على عجالة، تتنوع صلة قرابتهن بكبير العائلة من بين

بناته وزوجات أبنائه وأبناء أشقائه، أما الأطفال فتتراوح أعمارهم ما بين العامين إلى العشرة أعوام، كلهم أحفاد الحاج (عبد الفتاح الدهان) وأبناء أقاربه.

يمكنك أن تتخيل اجتماع كل هذه المجموعة الخائفة في مكان مغلق كهذا وفي ظروف غريبة كالتي عاشوها في السويعات القليلة الفائتة، بعض الأطفال يبكي فتصرخ بعض النساء بهم ليصمتوا فتصرخ بقية النساء في النساء التي صرخت في الأطفال، وتظل الدائرة بلا توقف، الخوف وقود مجاني لتلك اللحظات، خاصة عندما تجلس داخل شقة لطخت حوائطها بالأسمنت وتركت بعض الحوائط على الطوب الأحمر، الإضاءة الصفراء الباهتة التي تأتي من المصابيح العتيقة المعلقة في الأسقف ترمي بظلال الجالسين على الحوائط فإذا رفعت إحدى النسوة أيديهن لتعدل هندامها يرى البقية ظلًا ضخمًا يتحرك على الجدار، أجواء كفيلة بانتشار عدوى الخوف فضلًا عن استخدامه كوقود.

(مي) هي الوحيدة التي تمالكت أعصابها أو تظاهرت بذلك، هي حفيدة أحد أشقاء الحاج (عبد الفتاح) لكنه يعتبرها ابنته هو، فتاة في الثامنة عشر جميلة الملامح ذات صوت رقيق تستخدمه في بعض الأحيان للغناء لأطفال العائلة، في الحقيقة هي تفعل كل شيء لإرضاء هؤلاء الأطفال اللذين يعتبرونها أختًا كبرى أو أمًا ثانية، ولد بعضهم على يديها وتربى الآخرين بجانبها، تمتلك عشرات الحكايات الأسطورية والتي طالما التف حولها أطفال العائلة ليستمعوا لها منصتين، باختصار كانت هي الحل الوحيد ليتوقف الأطفال عن الصراخ والبكاء.

نهضت من جلستها وخلعت طرحتها السوداء لتظهر ضفائر شعرها البني الذي التمع في تلك الإضاءة، أشارت للأطفال كي ينتبهوا لها وقالت:

- مين عايز يسمع حكاية أول مرة أحكيها

انتبه بعضهم فأكملت هي:

- حكاية حكتهالي ستي زمان وقالتلي ما أقولهاش لحد

توقفت أصوات البكاء وانتبه الكثير من الأطفال، كان الجميع يجلس في صالة الشقة فسارت هي إلى غرفة جانبية وفتحت بابها الخشبي ثم تحسست الحائط من الداخل حتى وجدت زر الإضاءة فضغطت عليه ليضاء مصباح أصفر معلق في منتصف الغرفة الواسعة، وقفت على باب الغرفة ونظرت للأطفال قائلة:

- أنا هحكي الحكاية دي مرة واحدة واللي مش عايز يسمع هيفوته كتير

نهض بعض الأطفال ليدخلوا الغرفة وتبعهم البقية يقدمون رجلًا ويؤخرون الأخرى، حتى أصبح الجميع داخل الغرفة بينما بعض النساء في صالة الشقة يمصمصون شفاههن وهم يرددون عبارات على غرار (وده وقته .. عالم فايقة ورايقة).

واربت (مي) باب الغرفة وطلبت من الأطفال الجلوس على الأرض المليئة بالرمال مكونين دائرة وجلست هي في طرف الدائرة تبتسم لهم كي يطمئنوا، قالت بصوتها العذب وهي ترسم بعض الجدية على وجهها لتناسب الحكاية:



- كان ياما كان يا سادة يا كرام ولا يحلى الكلام إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام

ردد الأطفال السلام بعد عبارتها فأكملت:

- عاش في بلدنا زمان ولد اسم (حسن الرماح)، فارس وابن فارس، يلعب بالنبوت والرمح، ويركب الفرس والجمل، ينضرب بيه المثل في القوة والأخلاق، أهل البلد كلهم عايشيين في حماه، بيحبوه ويبجلوه، وهو كمان حبهم وعاش علشانهم، امتلك كل القلوب، إلا قلب واحد بس، قلب (جميلة) بنت عمه، اللي حبها لكنها ما حبتوش.

عندما تحدثت (مي) عن الحب نظر الأطفال لبعضهم البعض وقد ارتسم الخجل على الفتيات، برغم سنهم الصغير إلا أن هناك بعض المشاعر قد تكونت بين الفتيات والفتيان من الأطفال، ربما لم يفسروها جيدًا لكن الحديث عن الحب كان يؤجج مشاعرهم.

- في يوم من الأيام صحي أهل البلد كلهم على خبر غريب، (جميلة) اتخطفت، خطفها (جابر النوري) اللي كان عايز يتجوزها لكنها رفضته

لاحظت (مي) أن أحد الأطفال ينظر لشيءٍ ما خلفها وحدقتا عينيه تتسعان فزعًا، نظر بعض الأطفال خلف ظهرها وشهق بعضهم وصرخ البعض الآخر، نظرت خلفها فوجدت في ركن القاعة ومن وسط الظلام وجه ينظر لهما، بسملت (مي) وهي تزيح الأطفال للوراء وتنظر للوجه الذي تقدم أكثر فظهرت معالم لجسده الذي يشبه البشر، صرخت (مي) فصرخ بقية الأطفال، هنا تلاشى الوجه والجسد ببطء كأنه دخان.



انفتح باب الغرفة وظهرت إحدى النساء تستفسر بلهفة عما يحدث فاندفع الأطفال جريًا لصالة الشقة يحتمون بالنساء الجالسات اللذين يتسائلون عما يحدث، حاولت (مي) بعدما خرجت أن تشرح ما شاهدته للنساء لكن الأطفال سبقوها، انتشر الخوف بين الجميع وتعالت أصوات البكاء، اتهمت بعض النساء (مي) بأنها حكت للأطفال قصة مرعبة على الأغلب وهذا هو السبب في تخيلاتهم، مرت دقائق والنساء يطمئنون الأطفال و(مي) تتنقل بين كل الأطفال تربت على ظهورهم وتواسيهم حتى وصلت لأخر طفلة تبكي فاحتضنتها حتى توقفت عن البكاء.

توقفت الطفلة عن البكاء وهي بين يدي (مي)، لكن صوت البكاء استمر، نظر الجميع للأطفال الصامتين ثم نظروا لبعضهم البعض، من أين يأتي صوت البكاء، رفع إحدى الأطفال يده مشيرًا لركن مظلم في صالة الشقة بجانب ممر يؤدي للغرف، نظر الجميع للركن المظلم فتبينوا بعد ثوانٍ جسد شخص متكوم به على نفسه يسند ظهره للحائط، نهض الجسد فجأة ليظهر كأنه هيئة امرأة، اتجهت المرأة ناحية الممر ودخلته.

نظر الجميع لبعضهم البعض بينما نهضت (مي) ونهضت بعض النساء بتحفز، فجأة أضيأت غرفة في الممر بضوء أبيض قوي، خرج الضوء الأبيض يسير في الهواء ماشيًا بين الممر حتى وصل للصالة، وانطفأ لتظهر بضعة أجساد في موضع الضوء، هنا صرخت النساء بقوة.

***



(2005)

خبر صغير بجريدة المساء

تلقى قسم أول شبرا الخيمة بلاغ من المواطن (عبد العاطي السيد) المقيم بمنطقة المؤسسة، بأنه أثناء دفن والده أمس اكتشف أن قفل مقبرة أسرته بمقابر باسوس لم يستجب للمفتاح الذي يحمله، عندما كسر القفل وعند إدخال الجثة اكتشفوا رفات جثة غريبة بالقبر، لأنه وحسب تصريحه لم يكن بالقبر سوى جثة واحدة، أما رفات الجثة الثانية فقد فكانت بلا كفن، تم تحويل الرفات للمعمل الجنائي ولم يستدل على شخصية صاحب الجثة

***

(2005)

انتهى (أليكسندر كونستنتين) من إعداد القهوة وصبها في كوب صغير وجده في أحد أدراج المطبخ، ذهب لمنضدة السفرة المتواضعة في صالة الشقة ووضع الكوب وجلس على المقعد وهو ينظر لساعته، موعد السيجارة بعد دقيقة ونصف من الآن.

أخرج علبة سجائر (كيلوباترا) وسحب سيجارة وهو يمررها تحت أنفه يشتم رائحتها بتأنٍّ محاولًا إيجاد بعض ذكرياته القديمة في مصر قبل أن يعود لوطنه الأصلي، عشرات السنين مروت بسرعة غريبة يتعجب لها كل لحظة.

طرقات على باب الشقة توحي بأن صاحبها عديم الذوق لم يعلمه والداه الأدب، نهض وهو ينظر لساعته بقلق، موعد السيجارة اقترب ولا يجب أن يؤجله، فتح الباب فطالعه (حمدي) بصلعته الناصعة وشاربه الكث الغير مهندم.

- سلاموا عليكوا يا مستر

ابتسم (أليكسندر) له وهو يعود للصالة قائلًا:

- قلتلك يا أستاذ (حمدي) إني بتكلم عربي بلهجة مصرية كويس جدًا

أغلق (حمدي) الباب ودلف للصالة ليجلس على مقعد السفرة بجانب (أليكسندر) وهو يبتسم بلزوجة ويقول:

- ما ده اللي مخليني لامؤاخذة مستغرب، بصراحة مش عارف ليه سايح زي سيادتك ييجي حلوان ويأجر شقة مفروشة، وكمان بتتكلم مصري .. لا مؤاخذة يعني يا مستر ليا حق أقلق

- إنت شوفت الباسبور الخاص بيا واتأكدت

قالها (أليكسندر) وهو ينظر لساعته للمرة الأخيرة وهو يضع السيجارة في فمه ويشعلها بقداحة سوداء قديمة تقشرت جوانبها عن لون أصفر باهت، سحب نفس طويل تبعه برشفة قهوة و(حمدي) يقول:

- ما هو أنا الإنجليزي بتاعي مش قد كده، لقطت الإسم بس والباقي ما عرفتش، حضرتك قلتلي إنت منين لامؤاخذة؟

- (بيلاروس)



– دي في إسرائيل؟

فلتت من (أليكسندر) ضحكة وقال:

– القلق المصري من اسرائيل زي ما هو من زمان ما اتغيرش .. (بيلاروس) دي كانت دولة تابعه للإتحاد السوفيتي زمان قبل انفصالها

– واتعلمت مصري ازاي وامتى؟

أخذ (أليكسندر) أنفاس طويلة من السيجارة اتبعها برشفة قهوة وهو يقول بدون أن ينظر لحمدي:

– درست اللغة العربية بلهجتها المصرية في معهد الاستشراق في (موسكو) لمدة 3 سنين

– استشراق .. إنت ولا مؤاخذة ملحد؟

لم يضحك (أليكسندر) هذه المرة بل نظر له وقال بجدية:

– أنا مسيحي، معهد الاستشراق يا أستاذ (حمدي) خاص بالدراسات عن الشرق، تقدر تسميه معهد الدراسات العربية.

– أه .. لامؤاخذة فهمت غلط

– سنة 1966 بعتني الاتحاد السوفيتي لمصر أيام رئاسة (ناصر)

– (ناصر) مين؟

– رئيس الجمهورية العربية المتحدة (جمال عبد الناصر)



- أه أه.. والإتحاد السوفتي بعتك ليه ولامؤاخذة؟

- كنت خبير تصنيع في مصنع من مصانع حلوان

- إيه ده، إنت كنت هنا في حلوان؟

ابتسم (أليكسندر) وعينيه تتجه للأعلى يسارًا وكأنه يتذكر شيئًا ما وقال:

- كنت عايش في فيلا في مدخل حلوان مع خبراء سوفييت تانيين وقدامنا...

قاطعه (حمدي) مندهشًا وهو يقول:

- هو ده البيت اللي إنت عايز تشتريه هنا في حلوان

- مظبوط.. برغم إن ملكيته تابعه لسه للهيئة السوفيتية اللي كنت شغال فيها لكن طالما ناس سكنوه يبقى أخذوه انتفاع بوضع يد على ما أفهم

- إنت تعرف وضع اليد كمان

- سيبك أعرف إيه ومعرفش إيه، طمني، مالك الفيلا وافق على البيع؟

- سبحان الله، بتتكلم مصري حلو أوي، أنا مش مصدق إنك سايح

لم يرد عليه وظلت ملامحه جامدة فضحك (حمدي) بإحراج ضحكة متقطعة بلا معنى وتنحنح ثم قال:

– كلمتهم بس هما طالبين سعر قد تمنه مرة ونص، أنا رأيي يا مستر تسيبك من البيت ده وأنا بقى هجيبلك شقة عجب في عمارة لوز عند ش.. ..

قاطعه (أليكسندر) وهو ينظر أمامه

– اتفق معاهم ولو جاهزين بكرة نبدأ الإجراءات

مرت ثوانٍ صامتة وهو يدخن سيجارته حتى قال (حمدي) بحسرة:

– أنا لامؤاخذة مستحرم إنك تتظلم كده

– مفيش ظلم .. بالعكس .. قيمة الفيلا دي معنويًا عندي ما تتقدرش بفلوس

قال عبارته ثم رج كوب القهوة وشرب بقيته على مرة واحدة

– عليا الحرام إنت مصري

***

(2005)

حلم (جعفر) كثيرًا بالاتصال بعالم الجن، اشترى العديد من الكتب بلا فائدة، قابل الكثير من الشيوخ والمدعين بصلتهم بهذا العالم فاكتشف أنهم لا يمتلكون إلا الحديث، يبهرونك بالحديث المخيف لكن بلا فعل، بعد شهور دله أحد من تعرف عليهم على (عمر فضل الدين) ذلك الشاب المتصوف الذي انحدر من عائلة طويلة تتعامل مع الجان وقد حمل هو آخر

معارفها، متصوف له الكثير من الخبرة بعالم الجان، من دله عليه أخبره بأنه يجلس كل ثلاثاء من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء في مسجد (الحسين) أمام المقام، لا يتحدث كثيرًا مع الغرباء ولا يحب إفشاء علومه الخاصة لأحد، حتى طريقته الصوفية التي يتبعها لا يعلمماهيتها أحد ممن حوله، في الغالب لن يقبل بتعليمه لكن لا ضير من المحاولة.

يوم الثلاثاء ذهب للمسجد وصلى المغرب، انتظر قليلًا ثم دخل إلى المقام، مواصفات (عمر) كما عرفها هي لحية خفيفة تغطي وجهه مع نظارة نظر وجبهة عريضة، دخل (جعفر) للمقام باحثًا بين الجالسين على الأرض عن مواصفات (عمر)، لم يستغرق بحثه طويلًا، ليس لأنه وجده، لكن (عمر) هو من كان ينظر إليه، اصطدمت عين (جعفر) بعمر الجالس على الأرض ينظر هو إليه بعمق، تسمر (جعفر) قليلًا بموضعه وهو يتأمل (جعفر) بالبدلة الرمادية التي يرتديها وربطة العنق المميزة، ملابسه الغالية والمنمقة جذبت انتباهه للحظات حيث أنه توقع رؤيته بجلباب وعباءه وربما مسبحة بيديه، تذكر وهو يتأمله أن (عمر) هو الآخر يتأمله، اقترب منه بحذر وجلس على الأرض بجانبه، كاد أن يتحدث لولا أن قال (عمر):

- إنت (جعفر) مش كده؟

صدم (جعفر) لأول وهلة لكنه وضع فرضية أن من دله عليه هو نفسه الشخص الذي أبلغه بحضوره.

- وحضرتك الشيخ (عمر) .. مظبوط؟

لم يتوقف (عمر) عن تأمله، مرت الثوان على (جعفر) كالساعات وعين (عمر) تطالعه من خلف زجاج نظارته حتى قال:



- تقدر تقولي (عمر) على طول، إزيك يا (جعفر)

كاد (جعفر) يبتسم لطريقة (عمر) في الحديث كأنه يعرفه منذ زمن وهذه المقابلة روتينية بشكلٍ ما، لكنه رد بأدب:

- الحمد لله، أنا كنت جايلك علش....

قاطعه (عمر) قائلًا وهو ينظر للمقام:

- جاي علشان تتعلم كل حاجة عن الجن .. بس للأسف الموضوع مش سهل زي ما إنت فاكر

- أنا ما قلتش إنه سهل، الحكاية بس....

قاطعه (عمر) مرة أخرى وهو ينهض من جلسته قائلًا:

- تعالى معايا نقعد على أي قهوة

قال عبارته وسار ناحية باب الخروج من المقام فتبعه (جعفر) وهو يحدث نفسه بقلة ذوق (عمر) وتعامله الغريب معه كأنه تلميذ خائب ليس له رأي يسمح له بعرضه في أي مناقشة، وكأن (عمر) قد سمع أفكاره فقال بدون أن ينظر له وهم في طريق خروجهم من المسجد:

- معلش يا (جعفر) بس أصلي مريض ضغط وكل شوية يرتفع عندي، إحنا نقعد على القهوة نشرب حاجة وأهدي أعصابي شوية ونتكلم براحتنا.

سارا في الشوارع القريبة من مسجد الحسين بدون أن يتكلم (عمر) حتى دخلا لمجموعة حارات ثم توقفا أمام (قهوة) بلدي قديمة بجانب بعض ورش تصنيع النحاس، جلسا فطلب (عمر) كركدية أو كما يطلق عليه

البعض العناب وبجانبه شيشة معسل، وطلب (جعفر) شايًا، لم يُخفِ (جعفر) نظرة اندهاشه من الشيشة التي طلبها، ابتسم (عمر) قليلًا منذ أول اللقاء وقال:

- ما تستغربش من المعسل، أنا بشر مش ولي من أولياء الله، وحتى الولي نفسه مش نبي، والنبي مش إله.

لم يفهم (جعفر) كلماته، أو بالأحرى لم ير فيها عمقًا ما أو رسالة ليستقبلها هو، لكنه هز رأسه بالإيجاب، بينما لاحظ احمرار وجه (عمر) الذي يدل فعلًا على ارتفاع ضغط دمه، إذن فهو مريض ضغط كما قال، نظر له هذا الأخير وابتسم أكثر قائلًا:

- إنت أول مرة تشوفني مش كده؟

لم يفهم (جعفر) المغزى من السؤال لكنه هز رأسه بالإيجاب، هنا حضر القهوجي ومعه الشيشة التي وضعها أمام (عمر) وصينية معدنية بها الشاي والعناب، تناول (عمر) مبسم الشيشة وأخذ يسحب الأنفاس ومعالم الراحة تظهر على وجهه، بعد بضعة أنفاس قال ببساطة:

- عايز تتعلم ليه العلوم اللي ليها علاقة بالجن؟

- فضول

- يبقى تقرأ عن العالم ده وتشبع فضولك، لكن تدخله من غير سبب يبقى كأنك بتحضر قنبلة نووية في معمل طرشي، لا الانشطار النووي هيحصل ولا المعمل هيسلم من الإشعاعات النووية.

– أيوا بس فضولي هيقتلني، نفسي أعرف كل حاجة عن العالم ده وأتعلم كل حاجة فيه

– عمرك سمعت عن دكتور بيعالج كل الأمراض ويعرف كل حاجة عن الطب؟ طب فيه مهندس يعرف كل حاجة عن الهندسة؟ مش ممكن واحد يقدر يعرف كل حاجة عن علم لأن العلم بطبيعته متطور، أو نقدر نقول إننا بنكتشف فيه كل يوم حاجة جديدة ممكن تغير نظرتنا ليه، من الآخر كده حتى لو دخلت في عالم الجن مش هتتعلم منه إلا جزء ما يجيش 1% من العلوم اللي المتعاملين معاه عرفوها لحد دلوقت.

– آسف في اللي هقوله بس أنا حاسس إنك مضخم موضوع الجن ده أكتر من اللازم

سحب (عمر) أنفاس أخرى من الشيشة تبعها ببعض من العتاب وقال:

– تعرف أنا عندي كام سنة؟ 43 سنة، درست فرع واحد بس من العلوم دي على إيد جدي من وأنا عندي 7 سنين، كان بيعلمني ساعتها مبادئ الرياضة والهندسة والفيزيا، ولما كبرت شوية علمني عن الصخور والإشعاع والموجات الصوتية وخواصها و...

قاطعه (جعفر) ذاهلًا وهو يقول باستنكار:

– حضرتك بتتكلم عن إيه؟ إيه علاقة ده بالجن؟!

– كل ده في فرع واحد من علوم الجن، فرع (الرصد)، رصد المقابر وفك رصدها.

لم يظهر على (جعفر) معرفته بما يتحدث به (عمر) فأكمل هذا الأخير:

- يعني إزاي أحمي مقبرة أو مكان مدفون فيه حاجة، أو أفك الحماية من عليها، وعلشان أكمل في العلم ده اتعلمت اللغة الأرامية الأم والسريانية الشرقية والهيروغليفية والعبرية القديمة ولسة بتعلم في لغات تانية، عرفت كتير عن الهندسة المعمارية والكهربية والهندسة الفلكية والكيميائية، وعلم التربة وكتير أوي مش ممكن تصدقه، وفي وسط كل ده اتعلمت اتصل بعالم الجن.

- إيه لازمة كل العلوم دي وانت معاك الجن.

أطلق (عمر) ضحكة اختلطت ببعض سعاله من المعسل وقال:

- الجن مالهمش لازمة من غير العلوم اللي بنتعلمها .. أساسًا كلمة جن في العربي معناها كل شيء مخفي أو متغطي عنك، زمان كل الشعوب اللي اتكلمت بالآرامي والعربي كانت بتعتبر أي حاجة ما بتشوفهاش من علوم الجن، البكتيريا بالنسبة ليهم جن، الفيروس جن، الكهربا وتأثيراتها جن، حتى الأفاعي والحيات والعقارب اللي بتستخبى في جحورها اعتبروها جن لحد ما تخرج من الجحر ويشوفوها، كل شيء ما قدروش يمتلكوا أدوات لقياسه لكنهم شافوا تأثيره اعتبروه جن، لكن البشر لما قدروا يشوفوا البكتريا ويقيسوا وجودها بشكل علمي خرجت من إطار الجن وبقت علم متداول.

- يعني كده خلاص؟ مفيش الجن اللي احنا نعرفه؟



- تقصد العفاريت .. أو الكائنات المخيفة اللي احنا بنسمع عنها، أهو ده بقى حاجة ما تقدرش تنكر وجودها أو تنفيه، حاجة بعض الناس مصممين إنهم شافوا تأثيرها لكنهم لسه ما عندهمش أداة علمية واضحة يقيسوا وجودها، ساعتها بيظهر ناس زيي وزي أجدادي، بيحاولوا يرصدوا طرق تقربنا من عالم الجن، تجارب مش علمية لكن ساعات بتحط قوانين، وجيل ورا جيل قدروا يحصروا مجموعة طرق وقوانين علشان تتواصل مع العالم ده، لكن لأننا معناش أدوات قياس ولا طرق نتأكد بيها إلا بالتجربة المباشرة فدة بيعرض كل اللي بيدخل عالم الجن للخطر، علشان كده لازمنا شوية علوم واقعية تدعمنا في حياتنا علشان نتعامل مع الجان.

صمت (جعفر) قليلًا وقد نظر أمامه لإحدى ورش النحاس ثم نظر لعمر قائلًا بخيبة أمل:

- إنت كده صعبت الموضوع عليا، قولي إن مش هينفع تعلمني وخلاص

ترك (عمر) مبسم الشيشة على المنضدة الصغيرة بجواره واعتدل بجلسته على المقعد وقال بجدية:

- ما تخافش، كده كده هعلمك اللي أقدر عليه، بس هيكون فيه مقابل

لم يرد (جعفر) عليه وانتظر حتى يكمل هو كلامه، فقال:

- المقابل هو إنك هتساعدني لما أحتاجلك، أنا هدلك على الطريق وانت هتكمل فيه لوحدك، ساعتها ممكن تكون اتعلمت حاجات تانية غيري



واكتسبت خبرات أكتر، يعني ممكن طرقنا تختلف، ساعتها لو احتاجتك هطلب مساعدتك .. ها اتفقنا؟

- اتفقنا

***

الساعة قاربت على الواحدة بعد منتصف الليل، فتح (جعفر) باب غرفته وهو يحمل كيس بلاستيكي ضخم، نظر جيدًا حوله وهو يسير بالمنزل كي لا يفاجأ بخاله أو بخادمتهم أمامه، لقد حان الموعد ليبدأ ما خطط له طويلًا، شهور طويلة يحلم بالاتصال بعالم الجان بلا فائدة، مئات الجنيهات أنفقها على كتب السحر المباعة على الأرصفة وتجاربها بلا فائدة، وعشرات المقابلات مع من ادعوا اتصالهم بالجان بلا جدوى، لكن (عمر) حكاية أخرى، خمس جلسات هي كل قضاها معه ليعرف منها أن كل الكتب التي اشتراها قديمًا صحيحة نسبيًا، بالتحديد 90٪ منها صحيح والباقي تم تحريفه خصيصًا كي لا يتلقاه من تعلموا شفاهة النطق الصحيح للعزائم وطرق كتابة الطلاسم والخواتم، الكتب تعطي طرق مختلفة لاستخدام العزائم والطلاسم لكن بدون المعرفة المسبقة بها تفشل الطريقة، على تسعون ورقة كتب (عمر) لجعفر نصوص كاملة أصلية وبعض الطرق الأساسية التي تمكنه من فك شفرة كتب السحر التي كان يمتلكها مسبقًا

لذا فالليلة سيخوض (جعفر) أولى تجاربه عن علم، ولكن عليه أولًا أن يبتعد عن الأنظار، في منزل خاله الذي يقيم فيه منذ وعى الدنيا، تحرك بخفة محاولًا كتم صوت طقطقة الكيس البلاستيكي حتى وصل إلى غرفة الخزين في المنزل والتي تحوي بابًا يقوده إلى مصنع أسلاك النحاس الذي



يمتلكه خاله والذي تعود على النزول إلى مصنعه المقام في الطابق الأرضي من المنزل، و(جعفر) أيضًا استخدمه كثيرًا طوال حياته وخاصة أنه كان يساعد خاله في إدارته في بعض الظروف، لذلك فهو يمتلك نسخه من مفتاح هذا الباب ومفتاح باب المصنع لم يكن يستخدمها كثيرًا.

فتح الباب ونزل درجات السلم حتى وصل إلى باب المصنع الخالي من العمل في هذا التوقيت، أشعل الأضواء واختار ركنًا لا تشغله الآلات، فتح كيسه البلاستيكي مخرجًا ما به.

مجموعة الأوراق التي كتبها (عمر) وشرحها له، طبق أبيض اللون مسطح، حقنة بلاستيكية وسكين صغير وكتاب سحر امتلكه منذ شهور، ومبخرة نحاسية حصل عليها من أحد المحال بمنطقة الحسين ومعها بعض الفحم سريع الاشتعال، ولاصق طبي للجروح وقطن وقداحة.

مد يده لجيبه وأخرج كيس صغير شفاف احتوى على ثلاثة أنواع من البخور خلطهم مسبقًا عند أحد العطارين بشبرا.

افترش الأرض ليلتقط أنفاسه، فما سيقبل عليه إما سيغير مجرى حياته وإما سيصيبه بنوبة فشل أخرى وفي الغالب ستكون الأخيرة لأنه لن يجرب ثانية.

ظل جالسًا لدقيقة كاملة حتى انتظم تنفسه وشعر بحالٍ أفضل، نظر حوله ثم قال لنفسه بصوتٍ عال:

- دلوقتي نبدأ أول حاجة.. صرف العمار

نهض وهو يقول بصوت حاول أن يجعله متماسكًا:

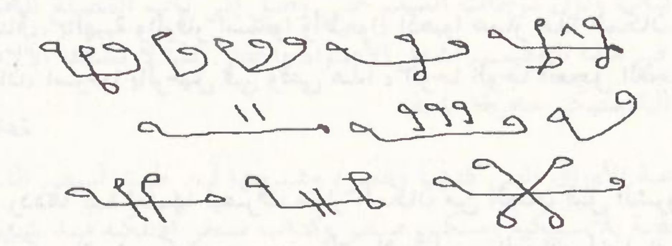


- يا يغموش يا يغموش مرش مرش مربوش مربوش جل الجليل صاحب الاسم الكبير، الأرض بكم ترجف والرياح بكم تعصف، والأودية بكم تخفق والجبال بكم تتزلزل، وأسماءه نار محرقة تحيط بكم، الكلام كلام الله والعبد عبد الله والأمر أمر الله، بحق الملك طارش أعزم عليكم يا معاشر الأرواح والأعوان أن تنزلوا على عمار هذا المكان بالسلاسل والأغلال في الأعناق، بالهيبة والوقار اسمعوا وأطيعوا، اذهبوا عمار هذا المكان من طريق الجان، اسرعوا بالرحيل في وقتي هذا ، الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة

رددها كما تعلمها ليصرف عمار المكان من الجان قبل الشروع في أي شيء كي لا يشتبكوا مع من سيأتي لاحقًا من الجان، أخذ نفسًا عميقًا ورددها للمرة الثانية، كاد أن يرددها للمرة الثالثة والأخيرة كما قال له المتصوف ولكنه رفع رأسه للأعلى ليجد مصابيح الإضاءة ترتعش بسرعة، دهش من نفسه عندما شعر بالخوف لأول مرة منذ بدأ هذا الطريق، هذه العلامة تعني أن العمار غادروا المكان، وتعني أيضًا أنه يسير في الطريق الصحيح، عند وصوله لهذه النقطة أجبر نفسه على الابتسام برغم ارتعاش شفتيه، جلس على الأرض بهدوء وهو ينظر حوله كأنه يتوقع أن يظهر له وجه جني فجأة في الهواء ليفزعه، نظر إلى كتاب السحر الصغير وأمسكه وهو يفتحه على الصفحة التي ثنى طرفها، أعلى الصفحة كتبت عبارة (جلب خدمة طلسم التيجان)، خلع الحزام الجلدي من سرواله وربطه أعلى مرفق يده اليسرى بقوة وعينه تجري على الكلمات المكتوبة في الصفحة والتي تقول (يكتب بماء زعفران على طبق أبيض الطلسم التالي)، ابتسم ثانية وهو يتذكر ما تعلمه .. عند ذكر ماء الزعفران في الكتابة فهذا يعني شيء آخر،



بلع ريقه وهو يأخذ المحقن البلاستيكي وينزع غطاءه، ضرب كثيرًا على أحد عروق ذراعه حتى ظهر العرق واضحًا، غرس طرف المحقن في العرق وملأ المحقن حتى آخره، ألم نفسي يتملكه من فكرة أن يخطئ في سحب دماءه، سحب المحقن ووضع قطعة القطن بسرعة ثم اللاصق الطبي.



تنفس الصعداء وهو يمسك بالمحقن ثم يقترب من الطبق وينقل رسمة الطلسم الموجودة في الكتاب إلى الطبق بدماءه مستخدمًا سن المحقن

انتهى منها ثم أشعل الفحم بالقداحة ونشر عليه خليط البخور فتصاعدت أدخنة قليلة من المبخرة ليس كما توقعها، نظر لما هو مكتوب في الكتاب بتمعن ثم أمسك الورق وقلب فيه حتى وصل لصفحة تتكلم عن نفس التعويذة المدونة بالكتاب ولكن بنطقها الصحيح، قرأ من الورقة بصوتٍ عال:

– اهيا شراهيا اهيا شراهيا آل شداي سمعيل تاهيل فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد بشمخ دالا هامو شيطيثون .. دنوا ملخوثوا ديموثون .. كورعش ارعيشطرخ لاخون .. دهموث ارخا ارخم ارخيمون .. ثيخوثيم ازيش ارقش دار عليون .. حيثموا ميثوا احيون منون .. اهيا شراهيا



ادونـاي اصـباؤت صـبارتون .. دهميثـا دهليلـوا الـه ميططرون .. نـور بـورق ارعيش ارغشيش لغشون .. شبيرا شرو اسمخ اشفا اشفون .. ملكوت مالخ ملخ مليخا مالخون .. بحق دعوة التيجان دعوة إليكم وبحق سطوته عليكم أن تنزلـوا حتـى يـراكم النـاظر بعينيـه ويكلمكـم بلسـانه ويسـألكم خدمتـه، احضروا أينما تكونوا فإنكم...

لم يكمل (جعفر) بقية الكلمات عندما اشتم أنفه رائحة غريبة، ليست كرائحة البخور بـل تقترب مـن رائحة اللحـم المحترق، وقعت عينـه على الطبق الموضوع أمامه فوجد الطلسم المكتوب بدماءه قد تغير وأصبح عبارة عن خط طويل مائل كأنه ثعبان يتلوى.

هنا سمع فحيح من وراءه، نظر بسرعة خلفه فوجد ثعبان أسود اللون يرفع رأسه منتفشًا في وضع الترقب، شهق (جعفر) وهو يتراجع للخلف .. فجأة سمع صوتًا في أذنه يقول بهدوء:

– لبيت وحضرت بمقامك يا ابن آدم

تسارعت أنفاس (جعفر) وأغمض عينيه وفتحهما ليجد الثعبان في نفس موضعه، قال بصوت متحشرج خائف:

– إنت مين؟

– خادم دعوة التيجان، قل مطلبك

لـم يعرق (جعفـر) بحياتـه مثـل تلـك اللحظـة، بـدا وكأنـه فقـد التحكـم بمسام جلده، اعتدل بصعوبة في جلسته على الأرض وقال بصوته المرتعش:



– عايز خدام من الجن

– كم خادم؟

قالها الصوت في أذنه فرد (جعفر) بسرعة:

– عشرة .. عشرين .. مية .. أكبر عدد

– قل معي ما سأردده

نطق (جعفر) وراء الصوت كل ما قاله:

– أنا (جعفر) بن (صابر) أقسم بالملوك العلوية للأيام السبع، بروقيائيل وعظمته وجبرائيل ورفعته وسمسائيل وقوته وميكائيل وهيبته وصرفيائيل ونفحته وعنيائيل وسطوته وكسفيائيل وقبضته، وبحق قسم آصف بن برخيا عليكم عن سليمان عن داوود الذي أخذه عند باب الهيكل الكبير ببابل .. أقسم بأن أذكر الدعوة التيجانية 1000 مرة كل يوم قبل انتصاف الليل، وأن أصوم عن كل روح عشرة أيام من كل شهر، وإن تهاونت حق علي العقاب ووجب علي الامتثال، يعطل العهد حتى أعيده، فإن كثر علي العقاب حق علي الموت، هذا عهدي وميثاقي معكم فلا أنقضه

كان يردد الكلمات مرعوبًا وخاصة أنه فهم فداحة ما فعله وعلم ما معنى المسؤولية التي كان يتحدث عنها (عمر) عندما حذره في البداية من الدخول في هذا العالم، سمع تحذيره باستهزاء لكنه الآن يفكر جديًا في التراجع، لكن تحذير آخر تذكره، عند جلب أي جان عن طريق العزائم لا يتراجع عما بدأه وإلا سيتم عقابه بشدة بقية حياته .. هذا إن قرر الجني تركه ليعيش.



سمع الصوت يقول:

- نعاهدك على السمع والطاعة وإن تهاونا حق علينا ما ينزل من عقاب ملوك التيجان السبع، لا يفض لنا عهد حتى تقبض روحك

شعر (جعفر) بألم يبدأ بعينيه ويجتاح رأسه تدريجيًا حتى اهتزت الرؤية أمامه، فجأة اختفى الثعبان وسمع صوتًا طبيعيًا في أذنه يقول:

- أهلًا بيك يا (جعفر)، أنا (سالم) واحد من خدمتك، الصداع اللي عندك هيختفي كمان شوية ما تقلقش، دلوقتي تطلع لبيتك، وتحت مخدتك هتلاقي ورقة عليها طلسم، بكرة تشتري خاتم فضة وتحفر عليه اللي مكتوب على الورقة، علشان نعرف نجيلك لما تحتاجنا

تحامل (جعفر) محاولًا نسيان الألم وقال:

- يعني إنت دلوقتي في خدمتي؟

- أنا و139 واحد كمان، وبما إني دلوقتي في خدمتك وهفضل كده لحد ما تموت، ففي نصيحة عايز أنصحهالك.

- نصيحة!!!

- هي متأخرة شوية، ومش هتفيدك خلاص دلوقت بس لازم تعرفها، النصيحة إني لو كنت مكانك .. ما كنتش عملت العهد ده، إنت دلوقتي اخترت طريق معين لمستقبلك .. ومن خبرتي أقولك في الغالب هيكون ده آخر اختيار ليك

***

فتح (حمدي) لأليكسندر بوابة المنزل الحديدية وهو يغالي في دعوته

– اتفضل يا مستر، يجعلها يا رب عتبة سعد ويديك خيرها ويكفيك شرها

سار (أليكسندر) في الحديقة الصغيرة و(حمدي) يتقدمه

– بس برضه إنت غلطان يا مستر علشان قلتلك بص بصة على البيت مرة تانية لأن اللي سكنوه بنوا دور فوقيه وغيروا فيه فأكيد مش هيبقى اللي في بالك يعني ولا مؤاخذة

لم ينطق (أليكسندر) وهو يسير وعينيه تتحرك بسرعة تتأمل مظهر المنزل الخارجي الذي تغير لونه للأبيض وواضح للعيان أن الطابق الثالث تم بناءة حديثًا وبشكل غير احترافي، فتح له (حمدي) باب المنزل الرئيسي فوجد أثاث قديم مختلف الأذواق يملأ البهو الرئيسي للمنزل، لكن وسط تلك القطع وجد بعض قطع الأثاث الأصلية التي تعرف عليها ومازالت على حالها.

– بص يا مستر عايز أقولك إنك مش هتعرف تبيع البيت ده إلا بعد خمس سنين لأن القانون المصري لامؤاخذة بيجبر الأجانب ما يتصرفوش في أملاكهم إلا بعد المدة دي.

كانت كلمات (مستر) و(لامؤاخذة) التي يستخدمها (حمدي) في كل جملة تكاد تقتل (أليكسندر) غيظًا لكنه مع ذلك حافظ على هدوءه وهو ينظر له ويهز رأسه علامة موافقة ثم ينظر لساعته ويخرج علبة السجائر ويشعل لنفسه سيجارة.



- لامؤاخذة يا مستر إلا حضرتك بتشرب كيلوباتر سوبر ليه، دي سيجارة ولامؤاخذة بنت حرام.

اختار (أليكسندر) مقعدًا بجانب مطفأة سجائر وجلس قائلًا:

- ريحة تدخينها بتفكرني بمصر، كانت جميلة أوي زمان، وشبه سجاير الاتحاد السوفيتي كان بينتجها، دلوقت راح جمالها وبقت ريحة بسيطة بتفكرني بأجمل سنين عمري

- حضرتك ولامؤاخذة بتتكلم عن السجاير ولا مصر؟

- الإتنين

قالها وأخرج من جيبه شيك مطوي سلمه لحمدي وهو يقول بلهجة تقريرية:

- نسبتك وفوقيها مكافأة صغيرة، الشيك على حساب البنك الأهلي .. تقدر تصرفه من فرع البنك هنا في حلوان، وأي حاجة تبع العقارات هكلمك إنت بس

أخذ (حمدي) الشيك مبتهجًا وهو يقول:

- أنا ممكن أبعتلك بنت أعرفها تيجي تنضفلك البيت، اسمها ولامؤاخذة (رشا) عندها أربع...

قاطعه (أليكسندر)

- شكرًا مش محتاج، إتفضل برا دلوقت



فزع (حمدي) من لهجة الطرد الواضحة ولكنه سرعان ما أقنع نفسه بأنه خواجة ويسيش بعملية بلا مجاملات، انسحب بعدما صافحه، بينما نهض (أليكسندر) يتجول في البهو يتوقف بين الحين والحين أمام مقعد أو مفرش من الأثاث الذي عاش عليه قديمًا بجانب زملائه، اتجه ناحيه المطبخ وعينيه تحاول التقاط كل شيء تغير أو بقي على حاله من الستينات حتى الآن.

دخل المطبخ فطالعته رائحة عطنة تعودت عليها أنفه في لحظات، لقد اشترى المنزل بأثاثه البالي كي لا يفقد عامل الوقت، لكنه لم يتوقع أن يعامل أهل المنزل الذين سبقوه المنزل بتلك الطريقة المهينة، على كل الأحوال من الجيد أنهم لم يجددوا فيه أو يهدموه ويعيدوا بناءه، فقد راهن على أن كل شيء في موضعه.

وها قد حانت اللحظة ليعرف نتيجة رهانه، نظر بعينيه عند طرف المطبخ الواسع عند باب خشبي قديم متهالك، غرفة الكرار، عرفها منذ وصوله لمصر قديمًا وعرف أن زملائه الذين سبقوه لمصر قد بنوا هذا المنزل على الطراز المصري العادي ووضعوا غرفة الكرار التي يخزن بها المصريين البقوليات والقمح والمخلل لفترات طويلة.

وقف أمام الباب وفتحه ليجد مساحتها التي لا تزيد عن مترين في مترين خالية إلا من أرفف خشبية فارغة خلعها بسهولة ووقف يتأمل الدهان الرمادي القديم المتآكل وتلك الثقوب الكثيرة التي تراصت بجانب بعضها البعض بطول غرفة الكرار لتوفر التهوية للطعام المخزن.



ابتسم بحنين وهو يخرج من إحدى جيوبة قطعة معدنية تشبه المفتاح لكنها طويلة جدًا، بدل أسنان المفتاح كانت ماسورة رفيعة بطول 20 سم تنتهي بزخرفة معدنية، أخذ يتلمس بأصابع يده اليسرى الثقوب حتى توقف عند الثقب السادس من الأعلى الموجود على الطرف الأيمن، وضع طرف المفتاح داخله حتى دخل بالكامل.

استمع بدقة وهو يدير المفتاح نصف دورة لليمين، تكة معدنية أتته فابتسم أكثر، أدار المفتاح دورة كاملة إلى اليسار فأتت تكة أخرى، ثم نصف دورة لليمين، أتت تكة عالية هذه المرة انفتح معها حائط الكرار للداخل كالباب.

بمجرد انفتاح الباب اشتعل مصباح خلف الباب وظهرت حجرة داخلية بحجم ثلاثة أمتار في ثلاثة أمتار، على أحد حوائط تلك الحجرة الداخلية رسمت صورة بحجم نصف الجدار تآكلت في بعض المواضع لكنها كانت واضحة، صورة لدرع حربي كبير وأمامه سيف وعلى السيف رسمت نجمة استقر داخلها رسمة تبين مطرقة ومنجل متقاطعين، تحت الرسمة نحتت ثلاثة أحرف بزخرفة غريبة (...)، تأمل (أليكسندر) ذلك الجدار بفخر ثم عبر هذا الباب للداخل وهو يغلق على نفسه الباب ليعود المطبخ لهدوءه ورائحته العطنة مرة أخرى.

***



بعد أسبوع

جلس (عمر) وسط بعض الناس في أحد جوانب مسجد الحسين يستمع إلى أحدهم وهو ينشد شعرًا عن الصوفية وهو يهز رأسه مستمتعًا مغمض العينين، فجأة ابتسم وفتح عينيه وهو ينظر ناحية باب المسجد، مرت لحظات وهو يتأمل تدافع الناس ناحية الباب حتى وجد (جعفر) يقف عند المدخل ينظر له، تأمل (عمر) ملابس (جعفر) الغير مهندمة ووجهه المنتفخ غالبًا من قلة النوم فنهض وهو يعتذر للجالسين معه ويتجه صوبه.

وقف أمام (جعفر) محاولًا ألا يصطدم بالناس ومال على أذنه وهو يقول بصوتٍ حاول أن يجعله مسموع لكنه خفيض في نفس الوقت:

– طبعًا مش عارف تدخل جامع الحسين

لم يظهر أي تعبير على وجه (جعفر) فسحبه (عمر) من يده للخارج وارتدى حذاءه وهو يقول:

– فيه عهد على معظم قبائل الجن إنها ما تدخلش الجامع ده وجوامع تانية لو كانوا تابعين لخدمة حد، زيك كده

سارا معا مغادرين حيز منطقة الحسين و(عمر) يتحدث بينما (جعفر) يسير صامتًا بجانبه.

– أنا راكن عربيتي قريب من هنا، تعالى معايا المكتب بتاعي علشان فيه حاجات لازم نتكلم فيها وكمان احتمال تحضر مقابلة مهمة.

عندما وصلا للسيارة قال (عمر) ساخرًا:



- حد برضه ما يسيبش خدمته وهو داخل الجامع .. الشغلانة لمت فشخ

***

أوقف (عمر) سيارته عند عمارة حديثة الإنشاء بشبرا الخيمة بينما تحدث (جعفر) لأول مرة منذ تحركا من منطقة الحسين وقال:

- ما كنتش أعرف إن الشركة اللي إنت شغال فيها في شبرا

خرجا من السيارة فجرى بواب العمارة يرحب بعمر بحفاوة زائدة و(عمر) يمد يده في جيبه ليخرج بضعة أوراق نقدية يضعها في يد البواب الذي كاد أن يقبل يد هذا الأخير فرحًا.

دخلا العمارة و(عمر) يقول:

- تقصد إن الشركة قريبة من بيتك .. على العموم أنا مش شغال في الشركة، أنا صاحبها، وصاحب العمارة دي كلها وكمان مش دي الشركة الوحيدة عندي، فيه 6 شركات تانية في القاهرة واتنين في اسكندرية وكام شركة في الصعيد

توقف (جعفر) أمام المصعد الكهربي وهو ينظر لعمر نظرة تجمع الدهشة بعدم التصديق بينما قال هذا الأخير وهو يفتح باب المصعد ويدعو (جعفر) للدخول:

- نطلع الشركة وهفهمك كل حاجة



وصلا للطابق التاسع فخرج (جعفر) ليجد شقة علقت بجانبها لافتة (الشركة المصرية للإنشاءات والمقاولات)، وقف أمام الباب شابان يدخنان سيجارة ويتحدثا، نظرا في البداية لجعفر نظرة جانبيه سريعة، عندما تبعه (عمر) من داخل المصعد اعتدلا في وقفتهما وألقيا السجائر المشتعلة أرضًا، لم يُعِرهما (عمر) أي انتباه وهو يشير لجعفر بالدخول للشركة معه.

طراز المكاتب والأثاث الداخلي للشركة أنبأ (جعفر) أنه يساوي ثروة صغيرة، تخطى الكثير من المكاتب مع كثير من التحيات لعمر حتى وصلا للمكتب الذي علقت على بابه لافتة (مدير الشركة)، إن كان أثاث الشركة قد تكلف ثروة صغيرة فبالتأكيد أثاث هذا المكتب تكلف ثروة ضخمة، مساحة واسعة وتحف ملقاه بشكل مستفز في كل ركن بالمكتب، منضدة اجتماعات طويلة وركن للجلوس وخرائط معلقة على الحائط وأكثر من ماكيت لفيلا أو عمارة يزين بعض المناضد، أما المكتب نفسه فهو قطعة فنية بلا شك.

جلس (عمر) وراء المكتب ودعا (جعفر) للجلوس أمامه وهو يقول:

– المفروض دلوقت أطلب من البوفية إتنين قهوة مظبوط زي الأفلام العربي .. ولا إيه رأيك؟

– ما بحبش القهوة

– ولا أنا .. تشرب عناب معايا؟

هز (جعفر) رأسه بالإيجاب فرفع (عمر) سماعة هاتف قريبة منه وضغط على إحدى الأزرار وانتظر .. ثم قال:



- اطلبيلنا اتنين عناب من البوفية يا (سارة) وقوليلهم يزودوا التلج

استمع لصوت محدثته على الطرف الثاني ثم قال:

- لسه واصل حالًا؟ بعد ما دخلت يعني؟ طب خليه يتفضل، واطلبيله قهوة زيادة بسرعة.

نهض من خلف مكتبه وباب المكتب يفتح ليدخل رجل في منتصف العمر يرتدي ملابس تدل على ذوق وثراء قديم، يسبقه عطره الباهظ وهو يدخل للمكتب ويهش وجهه عند رؤيه (عمر) الذي احتضنه محييًا إياه بودٍّ شديد.

- أعرفك يا (جعفر) على الباشمهندس (هيثم)، صاحبي وفي نفس الوقت أهم عميل لكل شركاتي.

صافح (هيثم) (جعفر) بينما (عمر) يكمل مبتسمًا:

- وده (جعفر) ما يتخيرش عنك كده يا (هيثم)، صاحبي وما بخبيش عنه حاجة، هو لسه جديد في الشغل بس أنا أضمنه برقبتي .. عايزك تتكلم قدامه براحتك على الأخر.

تفحصه (هيثم) بشك لثوان في حين قال (عمر) وهو يعود ليجلس خلف المكتب:

- ما قلتلك ما تخافش يا أخي، قولي سفرية كندا كانت كويسة؟

- الحمدلله اتوفقنا في كل حاجة

- والمكسب؟



- غطيت التكاليف وطلعت هامش ربح كويس أوي أوي .. بس مش هلعب الحكاية دي لحسابي تاني.

- ما إنت اللي عملتلي سبع رجالة في بعض وقلت عايز أكبر وأمول العملية كلها والمكسب ليك، وأنا ساعتها قلتلك خطرها ما يستاهلش كل التعب ده علشان خاطر كام مليون

- حرمت خلاص، خليني سمسار زي ما أنا وادينى جاي وجايبلك شغل جديد أو بالتحديد استشارة.

- قبل الشغل قولي .. سألتلي على الراجل اللي قلتلك عليه؟

- أه.. (أليكسندر كونستنتين)، جوا مصر وبرا مصر ملوش أي سوابق سواء في السمسرة أو الشرا أو البيع أو أي علاقة بشغلنا، لكن أنا دورت أكتر وراه ما لقيتش أي حاجة فقلت...

قطع حديثه عندما طرق باب المكتب وانفتح ليأتي عامل البوفيه بالمشروبات ويوزعها على الجالسين، بعد خروجه قال:

- فقلت أسأل حبايب ليا في كام حتة لحد ما جيبتلك تفاصيل دخوله مصر آخر كام سنة.

أتبع آخر جملة بأن أخرج ورقة من جيبه أعطاها لعمر وهو يقول:

- دي قايمة بدخول (أليكسندر) من مطارات مصر أو خروجه منها في آخر عشر سنين، جواز سفره سليم ومكتوب فيه إنه من بيلاروسيا، مواليد



1944، مش متجوز، دخل مصر سياحة 3 مرات بشكل طبيعي، وآخر مرة قريب أوي ومستقر فيها بعد ما اشترى بيت في حلوان

نظر (عمر) للورقة يتأملها وهو يتمتم شاردًا:

– حاسس إني عارف الإسم ده، أو شوفت الراجل زمان

– أنا كمان حاسس إني سمعت الإسم ده قبل كده.

قالها (جعفر) فنظر له (عمر) نظرة غير ذات معنى، ثم نقل بصره لهيثم قائلًا:

– طب عرفتلي دخل مصر قبل العشر سنين اللي فاتوا؟

– صعب عليا لكن ممكن أحاول تاني.

– وموضوع إنه بيتكلم مصري ده ما تعرفش سببه؟

– روس كتير بيتكلموا مصري، ممكن يكون لقط كام...

قاطعه (عمر) وهو يفتح درج مكتبه الأيمن ويخرج علبة سجائر قائلًا:

– لا يا (هيثم) .. المصري بتاعه مش طبيعي، لما كلمني في التليفون كنت بتعامل معاه إنه مصري عادي، لحد ما عرفني بإسمه وإنه عايز يقابلني في شغل، سألته فقالي إنه مش مصري.

– طب ما كنت تقابله وتعرف حكايته ونسأل عليه بعديها براحتنا

أخرج (عمر) سيجارة وأشعلها ثم قال:



– مش مرتاح .. حاسس إن الحكاية كبيرة

– وهو إيه في شغلنا يريح، المهم قولي فاضي لاستشارة سريعة على الماشي؟

– قول يا حبيبي.

– بيت في البدرشين صاحبه شاكك إن تحتيه حاجة، وعايزيين نلاقي المدخل الصح.

رفع (جعفر) حاجبيه دهشة وهو يحرك نظراته بينهما بينما (عمر) يقول وهو يسحب أنفاس سريعة من السيجارة:

– فيه ممول للحفر؟

– دكتور (نور الدين) ومعاه ظابط خدمته في البدرشين هيكون حماية.

– طبعًا جبتم أكتر من شيخ علشان يفك الرصد.

ابتسم (هيثم) وهو يتناول فنجان القهوة ويرتشف منه:

– اه .. بس هما اللي جابوا لوحدهم، ولما فشلوا في الآخر جابوني علشان أوصلك.

– دكتور (نور) طبعًا عارف طريقتي في الشغل من زمان، لكن صاحب البيت والظابط عارفين؟

– أضمنهوملك... موافقين على مليون قبل التنفيذ وبعد الفتح 5 مليون بغض النظر عن أي حاجة هيلاقوها تحت، بس فيه طلب، لازم الفتح يتم النهاردة علشان نقل الحاجة هيبقى صعب لو عدى يومين كمان.

هرش (عمر) في رأسه وهو يتمتم:

– أنا مش مرتاح للظابط ده، إنت عارف إن الغدر وارد في شغلانتنا، وكمان لازم النهاردة، كده الموضوع يقلق الواحد.

أطفأ سيجارته ونظر لهيثم قائلًا:

– بسبب الاستعجال ده الفلوس يتغير نظامها، 2 مليون قبل الفتح، و5 مليون بعده، تروح تجيب الفلوس وتجيلي بيهم كمان 3 ساعات، وأجي معاك على البيت على طول.

نهض (هيثم) مبتسمًا ومد يده يصافح (عمر) ويقول:

– ماشي يا مولانا، أنا هروحلهم دلوقت ولو الحكاية نفعت أجيلك بفلوسك بعد ما أخصم الـ 15% نسبتي.

نهض (عمر) وهو يبتسم له ويقول:

– على البركة، بلغ سلامي لدكتور (نور)

غادر (هيثم) المكتب في حين نظر (عمر) لجعفر وهو يقول:

– ها .. فهمت إحنا كنا بنتكلم عن إيه؟

ابتلع (جعفر) ريقه وقال مترددًا:



- عن تهريب الآثار

تناول (عمر) كوب العناب وارتشف منه رشفة مستمتعًا به ثم قال مبتسمًا:

- مش للدرجة دي .. أنا ما بهربش حاجة، أنا أفتحلهم المقابر وأدخلهم جوا وهما يتصرفوا.

لم يرد (جعفر) وخيم الصمت فترة بينهم وصوت رشفات العناب تخرج باستمتاع من فم (عمر)، مر ما يقرب من دقيقة حتى قال (عمر):

- طب أنا ليه كشفتلك شغلي وجيبتك معايا النهاردة؟

هذا هو السؤال الذي دار بعقل (جعفر) منذ قليل لكنه لم يجرؤ على البوح به.

- أنا هقولك يا (جعفر)، قبل ما تجيلي بأيام طويلة شوفت حلم...

نهض (عمر) بعد عبارته وسار ليجلس على أريكة في طرف الغرفة وهو يقول:

- الحلم ممكن يكون تخاريف، خيال، رغبة، لكن ممكن يكون رؤيا، وفي حياة زي اللي أنا عايشها الحلم حاجة مهمة أوي، ولازم أحترمه حتى لو كان هلوسة

ثم نظر لجعفر قائلًا:

- وأنا حلمت بيك، شوفتك وانت جايلي جامع الحسين، وشوفت نفسي وأنا بعلمك، وشوفتك وانت معايا واحنا بنفتح مقابر كتيرة، وشوفت



حاجات تانية كتير كلها تخصك، علشان كده أول ما شوفتك عرفت إسمك...

عدم التصديق يبدو ظاهرًا على ملامح (جعفر) وهو يتطلع لعمر، لكن هذا الأخير أكمل كلامه:

- ما تستغربش، مش كل حاجة جن وعفاريت، فيه عالم تاني أكبر مني ومنك ومن الجن والعفاريت، ممكن يبعتلنا رسايل في شكل بسيط زي الأحلام، وأنا واثق في العالم ده، وواثق فيك، إحنا طريقنا مع بعض دلوقت، من النهاردة هعلمك حاجات كتير، هتكون دراعي اليمين، هحميك وتحميني واللي يجرى عليا يجرى عليك.

***



الفصل الثاني

خيوط متشابكة





(2007)

هرشت قليلًا في شعرها الأسود اللامع وهي تفكر بجدية في الطريق الذي سيجعلها تصل سريعًا لمبتغاها، يجب أن تتعرف عليها في البداية، اسمها (صفاء عبد الرحمن عبد العزيز) وهو اسم في رأيها لا يصلح لأن يكون اسم صحفية مشهورة كما تريد لنفسها، لذا فقد اختارت اسم عائلتها ودمجته باسمها فأصبح اسمها هو (صفاء الباجوري)، فتاة انتهت هذا العام من دراستها الجامعية في كلية الآداب قسم الإعلام، عملت أثناء فترة دراستها تحت التدريب في أكثر من جريدة ثم عملت محررة صحفية في أكثر من خمسة جرائد وعدد من المواقع الإلكترونية الصحفية التي قامت فيها بتحرير عشرات الأخبار والنقل الحصري، نعم نقل فهي للأسف مازالت صحفية مبتدئة ولا تمتلك مصادرها الخاصة حتى يمكنها نقل الأخبار الجديدة، لذلك فهي تنقل الأخبار الحصرية من المواقع والمجلات التي تتابعها للجرائد والمجلات التي تعمل بها كمحررة، ولكن حان الوقت لتأخذ أولى خطواتها في عالم الصحافة، ظلت تفكر لأيام في مغامرة صحفية وإن كانت لم تسمع بتلك المغامرات اليوم في عالم الصحافة إلا كتاريخ قديم..

قديمًا الصحافة كانت ذا طابع خاص بها فلم تظهر قديمًا عشرات الصحف الصفراء التي تقوم بنسخ الخبر من صحف أخرى ثم تقوم جريدة أخرى بنسخ نفس الخبر وهكذا حتى تكتشف في النهاية أن الخبر ما هو إلا تأليف من المحرر أو الصحفي ليتمكن من إثارة خيال القارئ، طلب منها أكثر من مرة بطريقة غير مباشرة أن تؤلف أخبارًا صحفية وحكايات أقل ما يقال عنها أنها تثير غريزة القارئ الجنسية، فعلًا كانت هناك مبالغ لا تقل عن 200 جنية في المقالة الواحدة عرضت عليها لتؤلف تلك الحكايات



المثيرة وتعطيها لأحد الصحفيين لينشرها بأكثر من جريدة ولكنها تؤمن بمبادئ صحفية راسخة.

أو لنقل مبادئ أخلاقية في المقام الأول، تدعمها المبادئ الصحفية التي عشقتها في أسماء مثل (موسى صبري) و(هيكل) و(صلاح منتصر) و(فهمي هويدي) و(إبراهيم عيسى) والكثير والكثير من الأسماء التي تجعلها ترفض أي عرض في سبيل تحقيق طموحها الصحفي، لذلك عندما فكرت في تلك المغامرة التي يمكن أن تخوضها لتضع لنفسها موضع قدم بين صحفيِّ الصف الثاني على الأقل حتى يمكنها الارتقاء في السلم الصحفي قليلًا بدلًا من أن تعيش وتموت محررة صحفية على الهامش تقوم بنقل الأخبار من جريدة إلى جريدة كالآلة الناسخة.

والآن يا ترى كيف ستكون المغامرة الصحفية؟؟

كانت تفكر في كل هذا وهي تجلس في غرفتها ليلًا أمام الكومبيوتر الموضوع على مكتبها تدق بيدها على الكيبورد عابثة، هل تتخفى مثلًا مغيرة هيئتها لتقوم بدور شحاذة؟؟ لا لن تستفيد شيئًا وتظل مغامرة مكررة، إذن تدخل للعالم السفلي لبيع المخدرات لتقوم بعمل مغامرة صحفية عن شخصيات حقيقية.. لا في ذلك خطورة على حياتها وخاصة وهي فتاة فتصبح المخاطر مضاعفة عليها، وربما كان هذا هو سبب قلة المغامرات الصحفية للفتيات، وربما ندرتها .. امممممممم ابتهج وجهها وهي تطلق صرخة خافتة وقد وجدت الفكرة.

لتحصل هذه المرة على الشهرة من خلال عالم السحرة والعفاريت فهو عالم مشوق ويجذب القارئ العربي في أي مكان .. ولكن قام قبلها



العشرات بالمغامرات الصحفية في ذلك العالم وهناك المئات بل وربما الآلاف قاموا بتأليف الكثير والكثير من الحكايات الخيالية عن هذا العالم .. لقد أهلك من قبلها هذا العالم فلن تضيف هي جديدًا، إلا إذا .. هرشت في رأسها مرة أخرى مفكرة وهي تنظر لشاشة الكومبيوتر، ثم اقتربت من لوحة المفاتيح وهي تقوم بكتابة عبارة (بيت مسكون) في مربع البحث على موقع google، شعرت بقشعريرة محببة لها وهي ترى النتائج تتراص لها عن البيوت المسكونة، لقد اختمرت الفكرة في رأسها ستقوم بمغامرة مجنونة .. ستقضي ليلة في منزل مسكون بالعفاريت.

***

مرت ساعتان ونصف و(صفاء) تجلس أمام الكومبيوتر متحفزة وهي تقوم بفتح عشرات المواقع والمنتديات والمقالات عن المنازل المسكونة في العالم الغربي والعربي وقد شغلها هذا الموضوع بالفعل وقد لاحظت عدم وجود مغامرات صحفية من هذا النوع مثل قضاء أحدهم ليلة في شقة أو منزل مسكون، ربما لأن الصحفي سيرتاح أكثر لو جلس أمام أوراقه وهو يشرب كوبًا من الحلبة بجانب بعض شطائر الجبنة الرومي وقليل من الليمون المخلل، يكتب مقالة عن بيت (أم صباح) الذي يسمع من يسكنون بقربه أصوات المرحومة (أم صباح) وهي تسب الدين لصباح أو تقطع نعلها على رأس (أبو صباح)، وفي النهاية يدخل الشيخ أو القسيس أو المعالج الروحاني ويقوم بصراع طويل مع روح (أم صباح) حتى لتشعر أن المعالج سيخرج مطواة من ملابسه وهو يقول صائحًا عيب كده يا أم صباح دا الناس هتاكل وشي وفي النهاية ينجح المعالج ويعود من يسكنون بالقرب من



بيت (أم صباح) للهدوء ويعيش الجميع في سعادة .. وتنتهي المقالة بانتهاء شطائر الجبنة الرومي والليمون المخلل.

إذن يجب عليها أن تقوم بقضاء ليلة كاملة في شقة ما وتقوم بتصوير الليلة بكاميرتها، لا بل ستحصل على شهرة عالمية لو قامت بكتابة سلسلة مقالات أسبوعية عن أيام قضتها في منازل مسكونة وكل أسبوع ليلة جديدة تقضيها، ثم تجمع تجاربها في سلسلة كتب بهذا الشكل عن ليالي قضتها في تلك المنازل وصور لها وتحليل دقيق .. شعرت (صفاء) بالفرحة تكاد تقتلها وهي تتخيل المستقبل المبهر والشهرة القادمة، ولكنها مازالت تبحث على شبكة الانترنت بلا فائدة سوى تقارير غير واضحة عن أماكن مسكونة بالجان أو بالأرواح ويبدو أن هناك الكثير من التدليس على تلك الأخبار، في النهاية هي صحفية وتعرف جيدًا الفرق بين الأخبار الحقيقية والأخبار المفبركة التي تم إضافة التحابيش عليها، فقد أضافت تلك التحابيش في الماضي، غيرت (صفاء) أكثر من مرة طريقة البحث وكلمات البحث علها تعثر على مكان في مصر يلفه الغموض ويمكنها دخوله.

فجأة شعرت أنها تتذكر شيئًا، كأنها ذكرى مبهمة في طفولتها لوالدها ضابط الشرطة وهو يتكلم مع أحد أصدقاء عن بيت مشهور تدور حوله الشائعات، نهضت من مقعدها وهي تهرش برأسها أكثر كأنها تبحث بين خصلاته عن تلك الذكرى.

ذهبت إلى باب غرفتها مقررة أن توقظ أباها ليخبرها بتفاصيل تلك الذكرى ولكنها توقفت وهي تقول لنفسها أنها لو سألته سيحاصرها بالأسئلة ليعرف سبب السؤال وربما قرأ شيئًا ما في عينيها مما سيجعله يشك في



الأمر كله وتضيع عليها الفرصة .. عادت لمقعدها وهي تحاول التذكر، استمرت لدقائق وهي تسترجع الحوار الذي دار في طفولتها، صديق والدها وزميله في العمل وهو يجلس في صالون الشقة ويقهقه بصوته الرفيع، لقد قال شيئًا عن ذكرياتهم القديمة ثم حكى لوالدها عن منزل بمنطقة لا تتذكر اسمها.

تعبت من التفكير فنهضت ومعدتها تخبرها بأن عليها أن تمدها بالطعام الآن، خرجت من الغرفة وذهبت للمطبخ لتفتح الثلاجة، أخرجت طبق جبن رومي وبعض الليمون من برطمان المخلل وبحثت في (النملية) عن خبز الفينو الذي يحضره والدها كل ليلة في طريق عودته، صنعت لنفسها بضعة شطائر من الجبن الرومي وبدأت بقضم أولهم على عجل وهي تقف في المطبخ، زارتها خاطرة مضحكة عن شطائر الجبن الرومي والليمون المخلل التي كانت تفكر فيهم منذ قليل.

فجأة .. تذكرت كلمة مهمة من حوار والدها وصديقه، كلمة (القناطر)، كان الموضوع كحبات المسبحة التي انفرطت، الذكريات عادت لعقلها وراء بعضها بسرعة، صديق والدها يحكي عن منزل بالقرب من القناطر يروي الناس عنه حكايات الأشباح والعفاريت، أحدهم قتل داخله.

قضمت قطعة كبيرة من شطيرة الجبن الرومي وهي تحاول تذكر أي كلمات عن المنزل، ابتلعت قطعة مخلل وهي تنظر للثلاجة شاردة تحاول تحفيز ذاكرتها .. بلا جدوى، أخذت طبق الشطائر والمخلل وعادت لغرفتها جالسة أمام الكومبيوتر تنظر لشاشته وفمها يمضغ بشكل لا إرادي

بقية القضمة بينما عقلها يسبح في حل لكيفية الوصول لمعلومات حول هذا المنزل.

فكرت مرة ثانية في فرضية سؤال والدها وكانت النتيجة غير مجدية، لو سألت أحد أصدقاءها الصحفيين ليستعلم لها عن منزل في القناطر بهذه المواصفات فهناك احتمال لضياع السبق في الوصول للمنزل، نظرت لشاشة الكومبيوتر ثم وضعت طبق الشطائر جانبًا وقررت البحث على الانترنت .. كتبت في خانة البحث (منزل مسكون القناطر)، وجدت صفحات ذكرت فيها كلمة (منزل) منفصلة عن كلمة (قناطر)، فبحثت من جديد بعبارة (قناطر ـ بيت مسكون)، فوجدت بعض الصفحات التي لا تؤدي لشيء .. استمر البحث بهذا الشكل حتى وجدت في أحد المنتديات شاب كتب موضوعًا غريبًا بلغة عامية ركيكة عن مكان قريب من بلدته في القناطر، مكان تدور حوله الشائعات منذ سنوات طويلة:

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أنا فرحان أوي بانضمامي لمنتداكم وفرحان أوي بالقصص الجميلة اللي قريتها هنا وكمان موضوع الجن واللبس والمس استفدت كتير من الملعومات دي وقلت أحط موضوع هنا في المنتدى لقصة أعرفها زي ما كتير من الأعضاء قبلي حطوا قصص سمعوا عنها. أنا عايش في مكان قريب من القناطر اسمه (شلقان) وفيه بيت مسكون نعرفه كلنا في الطريق اللي رايح على (باسوس) وبيودي على (المؤسسة) في (شبرا) ، البيت دة حكايته حكاية ، زمان من 17 سنة حصلت خناقة في قرية (أبو النور) بين عيلة السلاموني وعيلة الدهان المهم الخناقة دي كانت بالبنادق والمسدسات ووقع فيها من العيلتين ناس ياما، الناس قالت الحاج عبد الفتاح الدهان أخد الستات والعيال الصغيرة وركبهم



العربيات وهربهم برة البلد بس عيلة السلاموني ماسيبتهوش طلعوا وراه بالعربيات قام الحاج عبد الفتاح دة راح منزل الستات وعيالهم عند بيت أربع أدوار كان بيتبني جديد في الطريق ووراه أرض زراعية علشان يخبيهم لغاية ما الخناقة تهدى. عيلة السلاموني قدروا يعرفوا ان الستات مستخبيين في البيت دة وراحوا منزلين كام راجل جنب البيت واستنوا لغاية ما الليل جه وطلعوا دبحوا في الكل، اللي أخدله رصاصه في نافوخه واللي أخدله دفعة رشاش في بطنه، المهم الرجالة ماسابوش حد حي وخرجوا من البيت ورجعوا على البلد والناس بتقول تاني يوم الحاج رجع البيت علشان ياخد الستات والعيال شاف المنظر قام ما استحملش واتجنن، كان معاه بندقية آلي. خرج من البيت وفضل يضرب بيها أي حد يقابله. نسوان ماشية في الطريق. عربيات معدية. عيال صغيرة بتلعب. أي حد يقابله في الطريق. وكل ما يقابل حد في الشارع يزعق ويقول قتلتوهم ليه. لغاية ما اختفى ومحدش عارف هو فين. عيلة الدهان بيقولوا مات من الزعل واندفن يوميها وناس تانية تقول لسه عايش بس مستخبي جوه قرية (أبو النور) وسط عيلته علشان البوليس ما يقبضش عليه. المهم إن الخناقة خلصت واتحبس كتير من رجالة العيلتين لكن الغريبة بقى إن عيلة السلاموني فضلوا ينكروا إنهم قتلوا الستات والعيال اللي في البيت ده برغم إنهم اعترفوا انهم قتلوا ستات ورجالة وعيال جوه البلد لكن كلهم بيحلفوا إنهم ما قربوش للبيت دة. التحقيقات مشيت عادي واتشرحت الجثث وطلعت إشاعة إنهم لقوا فيه ستات حد اغتصبهم لكن باين إنها إشاعة لأن حتى في خناقات العائلات مفيش حاجة اسمها اغتصاب لست من عيلة تانية. حتى لو بيقتلها الراجل منهم بيقتلها وهو مخلي باله من عرضها. المكان اللي البيت فيه اتسمى الحادثة وبقى اللي يركب ميكروباص وهو رايح للقناطر وعايز ينزل في المنطقة هناك يقول



الحادثة معاك يا اسطى. أنا بقول إن المنطقة دي اتسمت الحادثة علشان الحوار ده وناس تقول لا هي اسمها كده من زمان. وعلى فكرة صاحب البيت قعد سنين مايقربش منه وفي الآخر راح يأجر الدور الأخير لناس مش من القناطر والناس دي كانت مابتكملش كام يوم ويقوموا يسيبوه وسنين على الحال ده كل اللي يجيي ما يرضاش يكمل ومايرضاش يقول ليه لغاية ما صاحب البيت نفض له وساب البيت وركز اهتمامه على الأرض اللي وراه وظبطها. لكن سيبكم من كل اللي فات ده. اللي هقوله دلوقت غريب أوي. المنطقة اللي اسمها الحادثة كبيرة أوي وفيها محلات وعمارات جديدة. لكن الطريق اللي قدام البيت اللي بتكلم عليه اسمه (طريق جهنم) ، وأنا سمعت إن السبب في الإسم ده إن بعد الحادثة اللي حصلت فيه بشهرين لقوا عشر رجالة ميتيين قدام البيت ضاربين رصاص على بعض، ناس بتقول إنهم تجار مخدرات وناس بتقول بلطجية، وبعديها بسنة مات اتنين كمان قدامه بيقولوا عليهم مسجلين خطر، فبقت الناس تقول كأن اللي بيموت قدام البيت ده بيروح على جهنم عدل، فسموه طريق جهنم، جدتي الله يرحمها كانت بتقولي إنت حمار (الله يرحمك يا ستي) وكانت مصممة إن الطريق اللي قدام البيت كان اسمه طريق جهنم من زمان أوي، بس البيت دهأنا كل يوم أعدي عليه وانا رايح الشغل وانا جاي من الشغل وبصراحة نفسي أعرف هو فيه إيه من جوه والناس اللي بتسكنه بتشوف فيه إيه).

دعكت (صفاء) عينيها وهي تشعر بتنميل أسفل بطنها من الفرحة، جرت على مكتبها الذي تتناثر الأوراق والكتب عليه وبحثت تحت الأوراق والكتب وهي تلقيها يمينًا ويسارًا حتى وجدت مفكرتها الضخمة التي تدون بها كل الملاحظات التي تتعلق بالعمل أو حتى بالحياة الشخصية، لم



تستخدمها منذ أيام فتكونت ذرات تراب قليلة عليها، مسحتها بيديها وأحضرت قلمًا من درج المكتب وفتحتها على صفحة جديدة وأخذت تدون بعض الملاحظات.

عادت للكومبيوتر وأكملت بحثها وهي تضيف عبارة (طريق جهنم) إلى البحث فظهرت لها صفحات جديدة، اقتربت برأسها من شاشة الكومبيوتر حتى وجدت عبارة من مقالة منسقة ذات لغة جيدة منسوخة على بعض الصفحات لمنتديات مهتمة بالغرائب، دخلت إحدى الصفحات فوجدت مقالة طويلة عن بعض الأساطير التي تتعلق بمصر، جرت بعينيها بسرعة حتى وصلت لجزء صغير يتكلم عما أرادت:

(نأتي لحكاية منزل غير مشهور يتناقل بعض الناس في القرى القريبة من القناطر الخيرية حكايته، يقع المنزل على طريق القناطر بمنطقة (الحادثة)، قتل فيه من عشرون عامًا بعض نساء وأطفال عائلة (الدهان) بعدما كان ملجأ لهن أثناء هروبهن من صراع بين عائلتين في قرية (أبو النور)، قيدت الحادثة ضد مجهول حينها وبقي المنزل لتحوم حوله الشائعات، وخاصة بعد حالات القتل الغريبة التي وجدت أمام المنزل، وكلها لرجال أصحاب سوابق أو تحوم حولهم الشبهات أو فئة من المجرمين ممن يطلق عليهم (الأشقياء)، الكثير منهم قتل أمام المنزل أو داخله لذلك سميت المنطقة بعد فترة باسم (طريق جهنم)، إشارة منهم أن من يقتل هنا فقط من أصحاب السوابق الذين سلكوا بموتهم طريقهم إلى جهنم، وإن كان العقل الجمعي لعامة المصريين لا يطلق تلك التسميات بناء على الرمزية، فهناك من يؤكد أن لهذه المنطقة تاريخ قديم أتت منه تسمية (جهنم)، كلها احتمالات غير مؤكدة لكن الأقرب للمنطق والمباشرة هو أن الطريق سمي بجهنم حديثًا،



لكن الحقيقة أن من عاصروا الحادثة من القاطنين بالقرب من هذا المنزل سمعوا أن النساء والأطفال عند دخولهم المنزل حملوا معهم مال العائلة المقدر بالملايين وأنهم خبئوا المال عن أعين الجميع داخل المنزل حديث الإنشاء، الفكرة هنا أن من قتلهم في الغالب حصل على المال، لكن الأساطير تعظم في تلك التفصيلة أكثر وتقول بأن النساء استطعن إخفاء النقود قبل قتلهن، لكن الأغلب أن تلك الإشاعة ترددت كثيرًا حتى طمع البعض في البحث عن النقود، وكانت النتيجة أن المنزل أصبح كالمغناطيس بالنسبة للأشقياء، ومن الطبيعي أن يختلف بعضهم في مرحلة من مراحل البحث الوهمي عن الكنز فتطاير الرصاصات ويموت البعض ويهرب البعض، ويتحول منزل بسيط لأسطورة في قلب بعض القرويين والبسطاء)

فتحت (صفاء) فاها دهشة من المقالة وقد اشتعلت الفكرة في رأسها وهي تتخيل مظهر المنزل وسط الليل وقد التقطته عدسة كاميرتها والمقالة التي تمتلئ بصور من داخل المنزل والليلة التي ستدون أحداثها من مكوثها لليلة في هذا المكان، لقد اتخذت قرارها نهائيًا .. مغامرتها ستكون داخل هذا المنزل.

***

كانت نشيطة فعلًا، نشيطة ومرتبة جدًا فهي لا تتخيل مثلًا أن تقرر أن تبيت ليلة في المنزل المسكون فتذهب وهي تحمل حبلًا غليظًا وأجهزة استشعار وردار وأجهزة قياس حرارة، لا يمكن التفكير في الموضوع بتلك الطريقة الخيالية الساذجة التي تركتها لنا الأفلام الأجنبية، يجب عليها أولًا أن تحدد مكان المنزل بدقة ولكي تحدد ذلك فقد قامت صباحًا بالاتجاه



لأحد مواقف العتبة والتي كانت تسمع داخله تردد عبارة (قناطر) كثيرًا من داخل موقف سائقي الميني باص.

توقفت حتى وجدت إحدى السيارات فاستقلتها وهي توصي السائق بتنزيلها عند منطقة (الحادثة) ثم توصي فتاة أخرى وجدتها تركب بجانبها أن تنبهها عند الوصول إلى (الحادثة)، وعندما نبهتها الفتاة طلبت من تباع السائق بقلق أن ينزلها عند (طريق جهنم)، لم يبد على وجه التباع أي دهشة وهو يخبر السائق أن يتوقف عند (طريق جهنم) كأنه لا يجد دهشة من نطق الاسم، وبالفعل غادرت السيارة .. كانت (صفاء) تتعامل بذكاء منذ نزولها حيث أنها في البداية اختارت وقت الصباح لعدم وجود مخاطر عليها كفتاة ولاستمرار حركة السير في الطرق.

ثانيًا بمجرد مغادرة السيارة لم تنظر كثيرًا حولها وسارت على جانب الطريق كي لا تلفت لها الأنظار على أنها تبحث عن شيء، كانت المنطقة عكس ما تصورتها تمامًا فهي عبارة عن طريق سريع تسير فيه السيارات وعلى الجانبين منازل حديثة البناء وخلف المنازل مساحات خالية أو بعض منها مزروع، هناك بقالة مرت بها في طريقها ومخبز وورش سيارات وقطع غيار، كيف لها أن تتعرف على هذا المنزل!!! لم تسر كثيرًا حتى وجدت على الناحية الأخرى منزل مكون من أربعة طوابق كما قالت المقالة، وخلفه أرض زراعية مساحتها ليست بالقليلة ولكنها ليست قريبة من المنزل بل تبعد عنه حوالي عشرين مترًا .. المنزل من الخارج بالطوب الأحمر عكس معظم مباني المنطقة الجديدة التي دهنت واجهاتها .. القدم يبدو على المبنى والإهمال أيضًا.



هناك ملاحظة أخرى المنزل تبتعد عنه المنازل الأخرى من الجانبين بمسافة لا تقل عن خمسين مترًا وعلى الناحية الأخرى من الطريق لا توجد محلات أو ورش أو أي منازل أخرى، لقد وجدت المنزل أخيرًا وحان الوقت لبدء المغامرة الصحفية.

***

عاد العميد (عبد الرحمن) الضابط بمكافحة المخدرات لشقته، فتح باب الشقة بصعوبة بسبب أكياس الطعام التي يحملها، أضاء الأنوار وأغلق باب الشقة والأكياس على حافة التساقط، دخل بها جريًا إلى المطبخ ووضع الأكياس على الطاولة وهو يمسح عرقه، دخلت (صفاء) جريًا على الأكياس وشعرها يتطاير خلفها، فتحت الأكياس وكأنها تبحث عن شيء، وضع (عبد الرحمن) يده على الأكياس ليمنعها من الاستكمال، فقالت له:

– جيبت المشروم يا بابا؟

أشار بإصبعه ناحية خده وهو يقول:

– مش قبل ما تشكريني الأول

قفزت (صفاء) تقبله من خده بسرعة

– إيه الحرمان اللي إنتي فيه ده يا بت!!!

رسمت على وجهها تعبير اليأس وهي تقول بصوت رفيع:

– جبته ولّا لأ يا بابا؟



ضحك (عبد الرحمن) وفتح الأكياس ثم أخرج ثلاثة علب من المشروم المعلب من إحدى الأكياس فأخذتهم (صفاء) بينما خرج هو من المطبخ وهو يقول:

- هتأكليني إيه النهاردة؟

جاء صوتها من الداخل وهي تقول بفخر:

- صينية بطاطس بالفراخ والمشروم ورز

جلس على إحدى المقاعد في الصالة التي تقابل التليفزيون وفك أحد أزرار قميصه وهو يقول:

- ربنا ما يحرمك من المشروم يا حبيبتي

أمسك الريموت الموضوع أمامه على المنضدة وفتح التلفزيون، خرجت (صفاء) جريًا إلى والدها وجلست بجانبه وهي تحاول اتخاذ قرار بشأن سؤاله عن المنزل، شعرت أن بإمكانها أن تطلق رصاصة اختبار لعلها تعرف معلومة تفيدها عن المنزل الذي ستذهب إليه، تنحنحت ومسحت بيدها اليمنى على رأسها كما تعودت أن تفعل كلما شعرت بالقلق:

- بابا كنت عايز اسألك على حاجة

رد عليها ووجهه ناحية التلفزيون:

- قولي يا حبيبتي

- فاكر زمان وأنا صغيرة لما جه واحد صاحبك وكلمنا عن بيت مسكون؟



- بيت إيه؟ وصاحبي مين؟

قالها (عبد الرحمن) بدون أن ينظر لها فقالت هي:

- كان صاحبك بيشتغل في قسم في القناطر باين، وحكالنا عن بيت مسكون أو حاجة زي كده

نظر لها (عبد الرحمن) وقال بدهشة:

- وإيه اللي فكرك بالحكاية دي؟

- مفيش .. جت على بالي طشاش كده، بس مش فاكراها أوي، هي الحكاية كانت إيه؟

نظر والدها للتلفزيون وقال بنبرة عادية:

- مش فاكر التفاصيل أوي

- طيب

نهضت (صفاء) تنظر لوالدها نظرات تفحص وهي تسير ناحية المطبخ وعقلها يشغله فكرة أن يشك بها، ولكنها اقتنعت قبل أن تعود للمطبخ أنه من المستحيل أن يشك بأنها ستقوم بعمل تحقيق عن المنزل، اختفت داخل المطبخ فنظر (عبد الرحمن) للمطبخ نظرة طويلة ثم أطرق برأسه إلى الأرض وكأنه يفكر في شيء، ثوانٍ وعاد مرة أخرى إلى التلفزيون يتابعه.

***



فتحت (صفاء) عينيها وهي مستلقية على فراشها، ضوء الصباح بدأ بالظهور من خصاص نافذة الغرفة، لم تحرك جسدها برغم أن عليها الاستيقاظ الآن، ظلت واعية لفترة قليلة وهي مغمضة العينين وتفكر بالنهوض، لكن وعيها أصبح كالطائرة التي تطير أعلى ممر الهبوط، فإن لم يتحرك جسدها تعود الطائرة للطيران مرة ثانية حتى يسمح لها بالعودة، سبح وعيها بعيدًا وعادت للنوم ثانية لكن هذه المرة وجدت نفسها ترتدي فستان زفاف أبيض اللون.

استمتعت بالشعور وهي تعرف أنها تحلم، وكأن هناك مهندس خاص بالأحلام يقوم ببناء تفاصيله رأت تفاصيل جديدة تظهر فجأة تباعًا لها، وجدت نفسها تجلس في كوشة فرح مزينة بالورود، مقاعد ومناضد تظهر من العدم وتشكل أمامها قاعة أفراح وعليها ظهر رجال ونساء فرحين .. موسيقى جميلة بدأت فجأة، ظهر على يسارها في الكوشة شاب ببدلة العريس، لم تستطع النظر لملامحه جيدًا لكنها شعرت به يقترب من أذنها ويهمس بكلمة (بحبك).

فجأة سمعت صرخات تأتي من وسط معازيم الفرح والجميع يجري في كل اتجاه .. انتهى الحلم وفتحت عينيها تتأمل غرفتها، هذه المرة حركت أطرافها وهي تتذكر تفاصيل ما رأت، بغض النظر عن نهاية الحلم إلا أن فكرة الزواج جميلة بحد ذاتها، هكذا كررت لنفسها وهي تنهض لتتجه للحمام.

بعدما خرجت من الحمام وجدت والدها ينهي صلاة الصبح في غرفته، انتظرت حتى انتهى فأخبرته بأنها ستزور صديقتها (عفت) اليوم وستبيت

أيضًا، عارض في البداية لكنه مع الضغط عليها من جانبه قبل على مضض مخافة أن تحزن، ذهب لعمله بينما هي بدأت بالتجهيز لليوم، اتصلت بعفت التي لا تقل عنها جنونًا وأخبرتها بأنها ستقوم بمغامرة صحفية في تلك الليلة وأن عليها تغطية خروجها وكأنها تبيت بالفعل في منزلها وأخبرتها بمغامرتها القادمة.

طلبت منها أن تأتيها وتحضر معها كاميرتها الرقمية لتستخدم بجانب كاميرتها الشخصية، إحداها لالتقاط الصور الثابتة والأخرى لتصوير الفيديو، جاءت (عفت) ومعها الكاميرا وكشاف محمول، أخذت (صفاء) الكاميرا من يدها وتفحصتها وهي تفتحها لتأخذ يدها عليها مبكرًا قبل الدخول للمنزل.

دخلت المطبخ ترافقها (عفت) لإعداد غداء سريع وتركه على طاولة الطعام مع ورقة صغيرة لتنبيه والدها بأن يتناوله عند عودته، عند الساعة الثانية ظهرًا بدأت ترتدي ملابسها استعدادًا لتلك الليلة، ارتدت سروال جينز وحذاء مطاطي وتونيك طويل واسع بني اللون، غطت شعرها بثلاث طرحات متناسقة الألوان، ونظرت لنفسها في المرآة بعد انتهاءها من ارتداء الملابس .. لا تعرف لماذا تنامت لعقلها بعض الصور من فترة حياتها بالجامعة، أصدقائها .. من أحبتهم .. من أحبوها .. الكلام الجميل الذي كانت تسمعه من (جعفر) وهو يتغزل في عينيها، الرسومات بالقلم الجاف على الكتب الجامعية والتي كانت تنحصر في القلوب والحروف الأولى من أسمائهم، ابتسمت لنفسها في المرآة.

– إيه شكلك عاجبك؟

قالتها (عفت) وهي تقف على باب الغرفة



- أهو أحسن من شكلك

تركتها (عفت) واتجهت للمطبخ وأخرجت من الثلاجة علبة بولوبيف وعلبة تونة وأخذت شوكة من (المطبقية) وقامت بلف كل هذا في ورقة جرائد لتضعهم في حقيبة يد (صفاء)، هذا بالإضافة لزجاجتين مياه كبيرتين، أما (صفاء) فقد تسللت حتى دخلت غرفة والدها الذي لم يكن قد عاد من عمله بعد وفتحت أحد الأدراج وظلت تبحث حتى أخرجت تلك المطواة المعدنية الصغيرة التي يحتفظ بها والدها.

وضعتها في الحقيبة هي الأخرى بجانب الأقلام والورق الأبيض وكتاب القرآن الصغير، عند الساعة الرابعة والنصف غادرت هي و(عفت) الشقة وتلك الأخيرة تذكرها بشراء قداحة وبعض الشموع لأي ظرف طارئ إذا أصيب الكشاف بعطب، بعد شراء الشموع أصرت (عفت) على توصيلها لأقرب نقطة للمنزل، وتلك النقطة كانت مكانًا يدعى (المظلات) بشبرا، ومن هناك ركبت (صفاء) ذلك الميني باص القديم متجهة إلى القناطر وقد صارت الساعة السادسة.

وصلت (صفاء) إلى منطقة (الحادثة) وقامت بمغادرة الميني باص متجهة بخطى واثقة ناحية المنزل.

الحقيقة التي كانت تشق فيها (صفاء) أنها لن تواجه شيء بالمعنى الحرفي للكلمة، ربما ليس أكثر من خوف بسيط داخلي وبعض التخيلات ثم تلتقط صورًا من داخل المنزل وتقيم الليلة وقد شغلت كاميرتها الديجيتال لتصوير فيديو يستمر لساعات وتعود في الصباح لمنزلها وتكتب تلك



المقالة الطويلة التي ستصف فيها شعورها في تلك الليلة وترفق الصور ويكون عنوان المقالة مثلًا:

(ليلة في بيت الأشباح) أو شيء مثل هذا العنوان المهم أنها ستراسل المجلات والجرائد وستصبح مقالاتها الأسبوعية عن البيوت المسكونة ذات صدى واسع، ابتسمت لنفسها عندما وصلت لهذا الجزء في تفكيرها، ولكنها توقفت فجأة وقد اكتشفت أنها سارت بعد المنزل بأمتار، لم تلاحظه بسبب الإظلام التام الذي يحيط به فحتى أعمدة الإضاءة القريبة لا تلقي إليه بالضوء الكافي هذا غير الإظلام التام الذي يغرق فيه بسبب ابتعاد المنازل عنه وعدم وجود منازل حتى في الجهة المقابلة له.

عادت بخطوات بطيئة وهي تنظر للمنزل ثم توقفت أمامه، نظرت حولها جيدًا لتتأكد من عدم ملاحظة أحدهم لها، أخرجت الكاميرا من حقيبتها وألغت خاصية الفلاش الضوئي كي لا يلفت الضوء الأبيض الأنظار، ثم التقطت صورة للمنزل من الخارج، واقتربت أكثر وهي مازالت تلاحظ السيارات التي تمر من وقت لآخر بسرعة، وضعت يدها داخل حقيبتها وهي تتذكر كلمات (عفت) ((لو الكالون بتاع باب البيت زي مابتقولي كده معمول علشان ينفتح من بره بالمفتاح بس من غير إيد (مقبض) يبقى انتي هتحتاجي يا إما تفكي الكالون نفسه من مكانه، أو لو الكالون مش مسكوك يبقى هتحتاجي سكينة تدخليها من جنب الباب وتضغطي على اللسان علشان ينفتح)) زادت ابتسامتها وهي تتذكر باقي كلمات (عفت) بأنها لو فشلت في فتح المنزل يجب عليها العودة فورًا كي لا تلفت الأنظار وقد أعطتها مفكين وسكينًا صغيرًا، كانت (صفاء) تبحث عن السكين وهي تقف



أمام المنزل فحانت منها التفاتة لهذا الباب الصدئ الحديدي المليء بالتعاشيق.

الصدأ يملؤه حتى المقبض، أمسكته وأدارته فسمعت صوت تكة، الباب مفتوح!! ابتلعت ريقها وهي تنظر حولها وتفتح الباب الذي لم يصدر صوتًا كما توقعت هي، نظرت للداخل في الظلام ثم أخرجت المصباح التي أعطته لها (عفت) وأشعلته موجهه الضوء للداخل، للحظة فكرت بأن تغلق المصباح وتغلق باب المنزل وتفر هاربة ولكنها تذكرت المجد مرة أخرى وحاولت الابتسام وهي تخطو للداخل وتغلق الباب خلفها.

***

- ماما ماما قومي يا ماما فيه أصوات وحشة

قالت (سميرة) الطفلة ذات الستة أعوام العبارة السابقة وهي تهز والدتها لتصحو فاستيقظت الأم بعين زائغة وهي تسأل عما يحدث، فعبارة (أصوات وحشة) بالنسبة لطفلتها تبدأ من صوت دقات ساعة الصالة العالية وتنتهي عند أي صوت يصدر من شاب ينادي صديقه في الشارع.

استيقظ زوجها وهو ينهض مفزوعًا ليسأل الطفلة لكنه سكت لحظات هو والأم ينصتان إلى صوتٍ ما كي يتأكدا مما يسمعان، صوت بكاء واضح ونحيب قريب من منزلهم، غادر الرجل الفراش بسرعة وهو يمسك بساعته الموضوعة بجانب الفراش .. الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، توجه للشرفة لينظر يمينًا ثم يسارًا وفجأة تجمدت عينيه على تلك الفتاة التي تأتي من ناحية المنزل المجاور البعيد، استغرقت نظرته ثوانٍ وهو يرى بوابة المنزل المهجور مفتوحة وفتاة ترتدي حجابًا وتغطي وجهها بيدها تسير في الشارع



وهي تبكي وتتخبط وتهتز كالسكارى!!!! هذا هو البيت المهجور الذي تدور حوله الشائعات، ما الذي جعل فتاة تأتي من اتجاهه وتبكي بهذا الشكل، دقق النظر جيدًا يحاول أن يخترق الظلام الذي يحيط بالفتاة، ملابس الفتاة مليئة بالدماء ويديها أيضًا!!!!!!

***

مركز (المقطم) للصحة النفسية

طرق الممرض باب غرفة مدير المركز الدكتور/عادل محمد السويدي، فسمع صوت المدير يأذن له بالدخول، فتح الممرض الباب ودخل وهو يسحب (جعفر) معه برفق ليدخل ويقول للمدير:

- جيبت لحضرتك (جعفر) زي ما طلبت.

قام المدير من خلف مكتبه واتجه ليقف أمام (جعفر) ليتسلمه منه ثم يأمر الممرض بالذهاب، نظر المدير لطول (جعفر) الذي يقترب من المتران ووجهه حاد الملامح وشعره الأسود متناثر الخصلات في إهمال، وخاتمه الفضي الذي يزين بنصر يده اليمنى والذي يتعارض مع هيئته كأنه نغمة شاذة صاخبة وسط عزف كلاسيكي.

كان المدير يتحسر كلما رآه يجلس في الحديقة ينظر لأسفل كما ينظر الآن، لأنه يعرفه قبل دخوله لمصحته النفسية، يعرف (جعفر) منذ أن كان طفلًا، فهو صديق لخاله منذ أيام الطفولة وكان يراه من آنٍ إلى آخر بالصدفة مع خاله، سمع عن طموحه الإعلامي منذ صغره، وحلمه بأن يصل إلى وكالات الأنباء العالمية ليعمل بها، ولكن منذ عامان وبعد الحادثة دخل



للمصحة بسبب ما ظل يخبر به الجميع، ومازال مقتنعًا به، حالته شخصت بفصام حاد أدى إلى اكتئاب، يسمع أصوات ويرى أشخاصًا ليس لهم وجود منذ الحادثة، وبسبب عدم تصديق الجميع لما يراه أصيب باكتئاب وفشلت أساليب العلاج معه، ولكنهم مازالوا يحاولون والسبب اهتمام د/عادل المدير بنفسه بتلك الحالة.

أشار المدير لجعفر كي يجلس على أريكة بجانب المكتب ليرتاح، فذهب (جعفر) وهو مازال ينظر بعينيه للأرض كعادته إلى الأريكة التي وضعت أمامها منضدة عليها كوب يمتلئ بالمياه الغازية ومنفضة سجائر وجريدة اليوم، جلس (جعفر) على الأريكة بنظرة خاوية فجلس المدير بجانبه على الأريكة وأعطى الكوب له قائلًا:

– وأدي كوباية الكوكاكولا اللي بتحب تشربها زي كل أسبوع معايا

تناول (جعفر) الكوب من المدير بميكانيكية فقال له المدير وهو يشرب:

– ها يا (جعفر) عملت إيه الأسبوع اللي فات؟

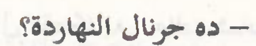
– ما عملتش حاجة

– طب لسه بتشوف الجني اللي إنت بتقول عليه بيكلمك

– من ساعة الحادثة وكلهم سابوني

توقع المدير نفس الإجابة التي يسمعها منذ عامين، ربما اندهش في البداية من استسلام (جعفر) له وللأطباء لعلاجه، ولكنه تعود على...





– ده جرنال النهاردة؟

قطعت تلك العبارة من (جعفر) أفكار المدير فابتسم الأخير وقال:

– اه، هو انت لسه ما قريتش جرنال النهاردة، أنا أعرف إنك بتقرأ الجرايد كل يوم الصبح مع الممرضين

كانت قراءة الجرائد والكتب هي هواية (جعفر) الوحيدة التي يفعلها بانتظام داخل المركز الطبي.

– بس ده جرنال (الأسبوع) دا أول مرة أشوفه.

قالها (جعفر) وهو يتناول الجريدة من على المنضدة، بينما قال المدير وهو ينهض ذاهبًا للمكتب باحثًا عن ملف (جعفر) الطبي الذي يتابعه بنفسه كل أسبوع:

– جرنال مش بطال، بشتريه من وقت للتاني، بتبقى فيه تحقيقات كويسة عن الفساد السياسي بحب أقراها.

أخذ (جعفر) يقلب في الصفحات حتى توقف عند خبر قرأه باهتمام والمدير يقف أمام مكتبه يفتح ملفه الطبي ويكتب ملاحظة جديدة في طرق العلاج

– على فكرة العلاج نجح معايا...

توقف المدير عن الكتابة ولثوانٍ لم يفهم ما قاله (جعفر)، نظر خلفه لجعفر الجالس مبتسمًا على الأريكة وقد ترك الجريدة بجانبه على الأريكة

– إنت قلت إيه دلوقت يا (جعفر)؟



ابتسم (جعفر) أكثر وقال بحماس:

- العلاج نجح معايا من 5 أيام وما بقيتش أشوف أو أسمع حاجة، كنت عايز أصبر على نفسي علشان أتأكد إني مابتخدعش لغاية ما اتأكدت، وقلت أعملك مفاجأة النهاردة علشان أفرحك يا عمو (عادل)

حمل وجه المدير مشاعر متضاربة من الدهشة والفرحة وعدم التصديق واقترب ليجلس على الأريكة بجانب (جعفر) وهو يقول بحذر:

- يعني إنت مابتشوفش جني بيكلمك؟؟

- خلاص ما بقيتش أشوفه

ظل المدير ينظر لعين (جعفر) طويلًا لعله يلاحظ كذبه إن كان يكذب، ولكن الصدق هو ما طل منهما!!، وما الداعي له ليكذب، في العامين السابقين بعدما أدخله خاله المركز كان يمكن لجعفر أن يطلب الخروج في أي وقت لأن حالته تجعله واعيًا في اتخاذ قراراته ولا يحتاج لوصي عليه، ولكنه استسلم للجلوس في المركز النفسي منعزلًا عن العالم الخارجي محاولًا إثبات وجهة نظره فيما يخص الحادثة وما حدث له بعدها، كان يمكن أن يطلب في أي وقت الخروج حتى بلا ادعاء أنه شفي، ولكنه الآن يقولها بلا ضغط، لقد تخلص من المرض.

- بتاخد الدوا في ميعاده؟

- آه، بصراحة من ساعة لما دخلت المستشفى وكنت بعمل نفسي أخدته، لكن من شهر بدأت أخده بانتظام.



- الكلام اللي إنت بتقوله ده لو صحيح يا (جعفر) فإنت تقدر تخرج كمان أسبوع أو اتنين بالكتير بعد ما نعملك شوية اختبارات، وتقدر تكمل علاجك وانت برا المركز

ابتسم (جعفر) وحانت منه نظرة خاطفة لم يلاحظها المدير للجريدة الملقاة بجانبهما على الأريكة، بالتحديد كانت النظرة لصفحة طويت عندها الجريدة، صفحة كتب فيها تحقيقًا يحمل عنوان ((صحفية شابة تبيت ليلة في منزل مهجور في مغامرة فاشلة كادت أن تودي بحياتها _ (صفاء الباجوري) تقول: لا أتذكر ما رأيته في تلك الليلة))

***

بعد شهر ونصف

داخل مقهى بمول (الزعفران) القريب من جامعة عين شمس، جلس (جعفر) على منضدته التي تعود الجلوس عليها منذ أربعة سنوات في نهاية دراسته بقسم الإعلام في كلية الآداب، لم يكن مقهى مميزًا ولم تكن مشروباته باهظة الثمن، برغم أنه لا يحتاج إلى رخص مشروبات المقهى لأن مصروفه من خاله في ذلك الوقت كان يكفيه ويفيض، لكنه احتاج لانعزال المقهى عن بقية مقاهي المول، فالمقهى في الطابق الثاني ولكن لتتعرف على وجوده فعلى شخص آخر داوم على الذهاب للمقهى أن يرافقك، فستضطر إلى سلوك ممرات كثيرة لتصل له، انعزال المقهى كان يوفر له لحظات جلوس هادئة إن كان وحيدًا ولحظات أكثر هدوءًا مع حبيبته وزميلة دراسته (صفاء).



ابتسم (جعفر) بمجرد تذكره لوجهها، اشتم رائحتها في مخيلته وهو يتذكر أول مرة تلامست أصابعهما، أول قبلة على يدها وهما يجلسان على تلك المنضدة، وجهها الأبيض الذي تلون بالأحمر بعدما مرر شفاهه على أصابعها، تذكر رعشة جسده عندما مررت يدها الحانية على ذقنه النامية، تذكر دفئها عندما احتضنها خلسة لثوانٍ وهي غير مصدقة وعطرها يختلط مع رائحة جسدها ليصنعان مزيجًا من رائحة الجنة كما تخيلها صغيرًا.

انقطعت تخيلاته فجأة لتتسارع دقات قلبه عندما اشتم عطرها ماديًا في المكان، نظر أمامه ليجدها تقترب، فتح فمه ليتنفس أسرع لأن أنفه لا تسعفه في سحب الهواء لجسده، هي (صفاء)، ولكنه لم يتوقع أن يهتز بهذا الشكل لمجرد رؤيتها، كانت تمثل له سنوات طويلة من السعادة التي افتقدها بعد الحادثة، حلم بمقابلتها كثيرًا بعد الحادثة ولكنه فضل الابتعاد كي لا تراه مريضًا نفسيًا في مستشفى تحمل له من الإشفاق أكثر مما تحمله له من الحب، لم يكن بالأمر تضحيات لأجل سعادته ولا كل ما يقال في الأفلام، فهو يعلم أنه يقدر على إسعادها، ولكن الأمر يتلخص في عبارة واحدة، هو لا يريدها أن تشفق عليه، يريد أن يترك لها صورة الشاب القوي القادر على حمايتها لا صورة المريض النفسي الصامت الذي ينظر للأرض دائمًا بيأس.

والآن حان وقت اللقاء، لم تتغير ملامحها ولكن أصبحت أجمل برغم الإجهاد، هل ظهرت شفتاها عما قبل؟؟ هل امتلأ خداها وتوردا أم أنه يتخيل؟ هل صار حاجباها أكثر جمالًا أم أنه يبالغ؟، برغم قليل من السواد تحت عينيها إلا أن تلك العينان الواسعتان مازالت تنظران له نظرتها التي أدمنها، نظرة الضعف التي تقول له احمني من الجميع، ربما لم يستطع أن

يتعرف على ألوان ملابسها كما تعود أن يفعل قديمًا، ولكن ملابسها كانت تظهرها كملكة في أرض خياله.

– إزيك يا (جعفر)؟

قالتها (صفاء) بفتور يختلط بعتاب وهي تنظر لعينيه مباشرة

– الحمد لله، انتي عاملة إيه يا (صفاء)؟

– كويسة .. لية مصمم نتقابل دلوقت؟ أسبوعين بتتصل بيا علشان تقابلني ومش عايز تقولي في التليفون عايزني ليه؟

– عايزُ أتطمن عليكي بعد المشكلة اللي كنتي فيها وتحقيق النيابة

– قلتلك قبل كده في التليفون إني كويسة وخلاص أنا عديت المرحلة دي

جاء النادل الذي يعرفهما جيدًا فابتسم لهما وتبادل التحية مع (جعفر) قائلًا:

– حضرتك غيبت عننا أوي يا (جعفر) باشا، نفس الطلب زي زمان؟؟؟

– أه نفس الطلب، واحد عصير لمون ليها وكاكاو ليا

عندما ذهب النادل نظر (جعفر) لصفاء فوجدها تدقق في عينيه وتقول:

– إنت بتكدب يا (جعفر)، إنت مش عايز تقابلني علشان تطمن عليا بس

- أه بكدب، مش هو ده الموضوع بس، لكن طالما إنتي بتقدري تعرفي صدقي من كدبي، يبقى هتصدقيني لو قلتلك إني لسه بحبك وعمري ما نسيتك

شعرت (صفاء) بقلبها يهتز داخلها من وقع كلماته ونظرة عينيه الصادقة، ولكنها تمالكت شعورها وهي تقول:

- إيه الحاجة اللي إنت عايزني فيها النهاردة

- عرفتي توصلي إزاي للبيت ده؟

- تقصد أنهي بيت؟

- البيت اللي قضيتي فيه ليلة علشان تعملي عنه تحقيق صحفي

- (جعفر) قولي الحقيقة، بعد ما سيبتني اشتغلت مع جريدة ولا مجلة؟

- بتسألي ليه؟

- لأن شكلك جايبني علشان تعمل تحقيق صحفي عن البيت اللي روحتله

- لأ يا (صفاء)، والله الموضوع مالوش دعوة بالصحافة

صرخت فجأة فيه:

- ما هو مش ممكن تسيبني فجأة من سنتين وتفتكرني من أسبوعين بس وأول ما تقابلني تبقى عايز تعرف تفاصيل عن تحقيق صحفي كنت بعمله، وفي الآخر تقولي الموضوع مالوش دعوة بالصحافة

وضع (جعفر) يده تلقائيًا على يدها الموضوعة على المنضدة فهدأت بمجرد أن شعرت بملمس يده وصوته الحاني يقول:

- إهدي يا حبيبتي

وجدت نفسها تصمت مستمتعة بدفء يديه الخشنة وهي تعلو يدها، تغطيها كأنما تدعو يده يدها للنوم بأمان في أحضانها، لانت ملامحها فجأة واقتربت من البكاء بدون سبب، بينما نهض (جعفر) من مقعده وهو ينظر حوله يتأكد من خلو المقهى من الزبائن في تلك الساعة المبكرة من اليوم، جلس على المقعد الملاصق لها، فنظرت له والعبرات تتكون في عينيها فقال لها:

- مالك يا حبيبتي؟

- خايفة يا (جعفر) من كل حاجة، مش فاكرة أي حاجة من اللي حصلي اليوم ده، خايفة

لف يده اليمنى حول خصرها وأمسك برأسها من الخلف بحنان يضمه إلى صدره ولكنها أبت أن تقترب منه، زاد من قوة يده ببطء فحاولت مقاومته ولكن انتصرت إرادته واستسلمت له تاركة إياه يضم رأسها بقوة لصدره، كانت تقاومه في البداية لأنها ما زالت تحمل قلبها المحطم بسببه قديمًا، ولكنها استسلمت، لأنها اشتاقت لتلك اللحظة، تلك اللحظة التي تمر بها الآن، تدفن رأسها في صدره وتغوص به أكثر، يده القوية تطوق رأسها من الخلف ويده الأخرى تلتف حول خصرها، تغمض عينيها وتتنفس رائحته، تهبط دموعها بغزارة تبلل قميصه وتشعر بشعيرات صدره التي تظهر من فتحة قميصه على وجهها تزيد من شعورها بالأمان أمام قوته ورجولته.

قَرَّبَ (جعفر) شفتيه من جبهتها وقبلها قبلة طويلة بلا صوت استمرت ثوانٍ قليلة، ثم أراح ذقنه على أعلى رأسها وظلا في هذا الوضع لدقيقة كاملة قبل أن ترفع هي رأسها والدموع تزين وجهها واحمر أنفها وخديها من أثر البكاء فزادت جمالًا، قالت له بصدق:

- حبيتك يا (جعفر) أكتر من أي حد في الدنيا

ثم أكملت:

- سيبتني ليه؟

- الموضوع ما كانش بإيدي، أنا دخلت مصحة للأمراض النفسية والعصبية من سنتين، وخرجت من شهر لما قريت اللي مكتوب عنك في الجرنال

مرت على (صفاء) لحظة من عدم التصديق مما سمعته، ثم تحولت فجأة نظرات عينيها إلى اللهفة، اعتدلت وهي تضع إحدى يديها على شعره في حنان واليد الأخرى على وجهه وقالت وهي تحرك يدها والشوق يعود بعد غياب عامان إلى عينيها:

- مصحة .. مالك، إيه تاعبك؟

لم يتحرك (جعفر) ولكنه ابتسم بطرف فمه بسخرية وقال:

- حصلتلي حادثة، مش فاكر من تفاصيلها غير ذكريات مش مترتبة، لقوني مرمي على الطريق وبخطرف، كل ما ترجعلي ذكرى وأحكيها لأهلي يفتكروني اتجننت، ما بقيتش عارف الحقيقة من الخيال، دخلوني مصحة



نفسية علشان أتعالج، ولما ما صدقوش كلامي استسلمت ليهم وأنا جزء مني عايز يصدق إني مريض ومحتاج أتعالج، وجزء تاني مصدق اللي بقوله، ولما قريت بالصدفة اللي حصلك في الجرنال، قلتلهم إني بقيت كويس وعملت نفسي اتعالجت، حطوني أسبوعين تحت الملاحظة وعملولي اختبارات علشان يتأكدوا، ولما اتأكدوا خرجتلك

– وليه ما قلتليش

قالتها وقربت رأسها من خده وقبلته بحنان ففتح فمه مذهولاً لردة فعلها، لم يُجِب عليها فابتسمت له بحب وهي تمرر يدها بين خصلات شعره، تركها تفعل ذلك مستمتعًا بإعادة ذكرياته القديمة عن مراهقتهما سويًا ولحظات سرقته لقبلة منها أو عناق دافئ أو كلمة هامسة، تركها لدقائق وهي تمرر يدها بحنان كأنها تعبث برأس طفلها الصغير، حتى حاول تمالك نفسه وهو يقول:

– ممكن أسألك إنتي وصلتي للبيت ده ازاي؟؟

استيقظت (صفاء) هي الأخرى من لحظات مراقبتها لتعبيرات وجهه وهي تمرر يدها على شعره ويد أخرى على وجهه كالسابق، وتنحنحت وقالت:

– أنا كنت بدور على الانترنت على أي بيت مسكون أقضي فيه ليلة أصور جواه كام صورة وأكتب مقالة عنه وتتنشرلي في أي جرنال علشان أتشهر، ولقيت حد بيحكي حكاية البيت بالعامية في منتدى على النت، فرحت عاينت البيت قبليها، وبعديها دخلته في...



قاطعها بدهشة وهو ينظر لها:

- دخلتيه ازاي؟ جيبتي مفتاحه منين؟

- لأ أنا لقيته مفتوح

- كملي

- دخلت البيت وكل اللي أنا فاكراه إني طلعت الدور الأول خفت أكمل وأطلع للأدوار اللي فوق وما أعرفش أنزل لو حصل حاجة، كنت متأكدة إنه مش هيحصل حاجة، لكن برضه كنت عايزة أبقى قريبة من باب البيت لأي سبب، ولقيت باب الشقة مفتوح، دخلت الشقة لقيت زرار النور جنب الباب، قلت أجرب وأفتحه لقيته بينور الشقة فعلًا، لكن أول ما النور ولع أنا مش فاكرة أي حاجة غير وأنا بجري وسط الطريق وراجل ومراته بيهدوني وناس كتير بتخرج من عمارات على الجنبين.

- في الجرنال كان مكتوب إن معاكي كاميرات ولقوا منهم كاميرا متكسرة، صحيح؟

- آه، لقوا واحدة متكسرة والتانية مش عارفة هي فين

فجأة خرج النادل متجهًا إليهما مبتسمًا، قائلًا لجعفر بأدب وهو يضع ورقة الفاتورة أمامه على المنضدة:

- آسف والله يا باشا لكن أنا مضطر أسلم (الشيفت) بتاعي دلوقت علشان عندي ظروف وماشي، واللي هيستلم مني هيجيي كمان ربع ساعة وعايز أقفل الحساب قبل ما ييجي.



- مفيش مشكلة

قالها (جعفر) بابتسامة دبلوماسية وأخرج حافظة نقوده وفتحها وقرأ بعينيه السعر سريعًا، في الفترة التي ركز عينيه على الفاتورة زاغت عين (صفاء) بلا قصد لتذهب لمحفظته المفتوحة تتأملها، وقعت عيناها على بطاقته الموضوعة في جيب شفاف ظاهر وتظهر صورته وبجانبها اسمه، قرأت الاسم سريعًا في البداية ولكنها تسمرت وهي تعيد قراءته بعينيها (جعفر صابر عبد الفتاح محمد الدهان).

بعدما دفع (جعفر) النقود للنادل وجد عينيها معلقة على بطاقته الشخصية الظاهرة، نظر لعين (صفاء) فوجد الخوف يتكون داخلها، اقترب منها بهدوء ولكنها أزاحت مقعدها للوراء ونهضت وسارت بعيدًا و(جعفر) يحاول النداء عليها.

***

خرجت من المقهى وهي تنظر حولها حتى غادرت الطابق الثاني ثم الطابق الأول ثم غادرت المول، أوقفت تاكسي من أمام المول وطلبت منه إيصالها لمنطقة قريبة من المول، لم توقف سيارة الأجرة لتعود لمنزلها لأن أي تاكسي من هذا المكان لن ترضى بالوصول إلى منزلها بسهولة، لكنها خافت أن يتبعها (جعفر) ففضلت أن تطلب من أي تاكسي أن تقلها لمنطقة قريبة ليرضى سائقها وفي نفس الوقت تبتعد عن المكان الذي يجلس فيه (جعفر)، جلست في السيارة وهي تفكر في آخر سؤال سأله لها (جعفر) وحمدت الله أنها لم تُجِب إجابة كاملة، لقد كان سؤاله يدور حول الكاميرا المحطمة التي وجدوها في المنزل، لقد سلمتها النيابة الكاميرا الرقمية

المحطمة، ولكن لم يفتحها أحدهم اعتقادًا منهم أنها تلفت، وفعلًا تلفت الكاميرا لكن كارت الذاكرة لم يتلف، أخرجته من الكاميرا واحتفظت به، خافت أن تشاهده، ومازالت خائفة، تخاف مما حدث لها، كل ما حدث لها مسجل على كارت الذاكرة.

فتحت حقيبتها ومدت يدها وهي تخرج كارت الذاكرة الصغير الذي تحمله دائمًا، تنظر له وتفكر، لقد أرادت أن تخبر (جعفر) اليوم بعدما عاد لها لتشاهد ما عليه معه، كانت تثق فيه ليحميها ويعطيها القوة لتشاهد ما في هذا الكارت

***

نفس اليوم

(قهوة بوسط البلد)

جلس العميد (عبد الرحمن) والد (صفاء) على تلك المنضدة المنعزلة داخل قهوة، هي منضدته منذ شبابه يأتي لهنا من وقتٍ لآخر يدخن بعض السجائر بدون علم (صفاء) التي أقنعته منذ طفولتها بالتوقف عن التدخين، وفعلًا توقف عن التدخين فترة ثم أقنع نفسه بأن عليه أن يختلس بضعة سجائر من وقتٍ لآخر بدون علمها، لذا أصبحت هذه القهوة هي دورة المياة التي كان يدخن السجائر فيها بعيدًا عن والدته ثم يتناول بعض اللبان بالنعناع ليخفي قليلًا من رائحة السجائر، ما أشبه اليوم بالبارحة.

لكن جلساته على القهوة وتدخينه كثر في الأيام السابقة .. بعد الحادثة التي تعرضت لها (صفاء)، لكن اليوم لم يأت للقهوة للتدخين، بل جاء

لإجراء مقابلة هامة، منذ أربعة أسابيع تواصل مع أحد أصدقاءه بأمن الدولة ليخبره بضعة معلومات عن المنزل الذي قضت فيه (صفاء) ليلتها، بدلًا من أن يبحث له دله على شخص أخر يعرف الكثير حول هذا المنزل هذا الشخص هو المقدم (سليمان جابر عبد السيد) الذي يعمل بإدارة (إنتربول القاهرة) بمصلحة الأمن العام، لم يفهم (عبد الرحمن) في البداية علاقة الإنتربول بالمنزل لكن صديقه أخبره بأن المقدم (سليمان) قبل انتقاله للإنتربول عمل بالمباحث الجنائية وهناك حقق في بعض الجرائم المتعلقة بالمنزل وجمع بعض المعلومات عنه، لكنه خارج مصر في تكليف رسمي.

منذ أيام تلقى (عبد الرحمن) من صديقه اتصال ينبئه فيه بأن (سليمان) عاد من الخارج وشرح له كل شيء وهو جاهز للقاءه، تم تحديد موعد في القهوة اليوم وها هو ينتظره قبل موعده بعشر دقائق يدخن بقلق.

دخل شاب في الثلاثينات طويل، وسيم، يحمل بيده اليمنى حقيبة جلدية وينظر بعينيه يتفحص رواد المقهى، على الأرجح هذا الشاب هو (سليمان) وقد أتى قبل موعده، هذا ما أخبر به (عبد الرحمن) نفسهوهو ينهض ليشير للشاب، فعلًا ابتسم الشاب وهو يقبل عليه ويمد يده مصافحًا وهو يقول بود:

– (عبد الرحمن) باشا .. صح؟

ابتسم له (عبد الرحمن) وهو يصافحه بقوة ويقول:

– نورتني يا (سليمان) باشا، إتفضل

جلس (سليمان) على مقعد مجاور له ووضع حقيبته على الأرض بجانبه، نادى (عبد الرحمن) على القهوجي، فطلب منه (سليمان) عصير.

- أعتقد يا (سليمان) باشا إنك عارف سبب المقابلة...

- أول ما رجعت مصر عرفت اللي حصل لبنت حضرتك، أرجو إنها تكون بخير دلوقت.

اعتدل (عبد الرحمن) بمقعده وقال بمجاملة:

- الحمد لله، أنا يهمني أعرف إيه حكاية البيت ده آخر عشر سنين، بنتي مش فاكرة اللي حصل وفيه دم لقوه عليها، خايف يكون حد ضربها أو إتخانق معاها.

- ليه آخر عشر سنين بس؟

- لأني خدمت في القناطر لحد التسعينات وعارف إن حكاية العفاريت والكلام الفاضي دي كلها تخاريف، لكن بعد ما بعدت عن القناطر أكيد حصل حاجة فيه.

- إنت سمعت عن الحادثة اللي حصلت فيه سنة 93؟

قالها (سليمان) بوجه بلا تعبير فرد (عبد الرحمن):

- كلنا سمعنا عن اللي حصل، الستات والعيال اللي اتقتلوا في بيت (أبو خطوة)، بس أنا قلتلك سيبك من شغل العفاريت بتاع الناس الجاهلة ده.

جاء القهوجي بالعصير ليضعه أمام (سليمان) الذي قال:

- خلاص، طالما سيادتك محتاج معلومات معينة ومحددة فأنا تحت أمرك، اسأل وأنا أجاوب.

- إيه اللي حصل آخر 10 سنين في البيت ده؟

تناول (سليمان) رشفة من العصير ورد بلهجة تقريرية:

- من سنة 1998 لحد سنة 2004 لقينا قدامه 4 جثث، المباحث الجنائية فشلت إنها تتعرف على هوية أصحاب الجثث

- يعني إيه لقيتوا الجثث قدامه؟

- البيت نفسه ما فيهوش مشكلة، لكن قدام البيت كان أهالي المنطقة بيلاقوا جثة كل فترة ويبلغوا عنها، في الأربع مرات أخدنا إذن من صاحب البيت وفتشناه كويس وما لقيناش أي حاجة غريبة، بيت مهجور محدش عايش فيه

- الجثث مالهاش علاقة ببعض؟

- نهائي

أخرج (عبد الرحمن) علبة سجائره وقدم لسليمان سيجارة لكنه رفضها بأدب فتناول (عبد الرحمن) سيجارة وأشعلها وهو يقول:

- أيام خدمتي في القناطر طلعت إشاعة عن إن فيه فلوس موجودة جوا البيت، سابها (عبد الفتاح الدهان) مع الستات والعيال اللي اتقتلوا، ممكن تكون الجثث ليها علاقة بالإشاعة دي؟ يعني حاولوا مثلًا يدوروا على الفلوس؟



– كل حاجة ممكنة

– يعني مفيش أي رابط ممكن يربط بين الجثث، يعني اتقتلوا ازاي مثلًا؟

– محدش فيهم اتقتل، كلهم ماتوا بالشيخوخة...

– نعم!!!!!!

خرجت عبارة (عبد الرحمن) بصوتٍ عالٍ لدرجة أن رواد القهوة نظروا إليه للحظات بدهشة، تنحنح (عبد الرحمن) وقال بصوت خافض لسليمان:

– أسف يا سيادة المقدم، بس يعني إيه ماتوا بالشيخوخة؟

– الطب الشرعي أثبت إن كل الجثث ماتت بشكل طبيعي بعد ما أعضاء الجسم وصلت لمرحلة الإنهيار ومش قادرة تكمل، أعمارهم كانت بين ال 70 وال90

– أنا مش فاهم حاجة، يعني إيه؟

– إنت طلبت إجابة على أسئلتك، ودي إجابة على قد السؤال، لكن بيت (أبو خطوة) حكايته مش من عشر سنين، دي حكاية كبيرة أوي ومتشعبة، من سنة 98 زي ما إنت سألتني ظهرت جثث، لكن مش دي كل الجثث اللي ظهرت .. الجثث بتظهر من قبل كده، وفيه ملف كامل في إدارة البحث الجنائي بيتحدث كل كام سنة، أنا نفسي برغم إني اشتغلت كتير على الملف ده ما قدرتش أوصل لكل قضايا الملف.

– أومال مين يقدر يوصل؟

صمت (سليمان) للحظات وعينيه تحدق بعين (عبد الرحمن)، قال بتردد:

- اللي أنشأ الملف هو اللي ليه صلاحية الوصول لكل قضاياه...

- مين اللي أنشأه؟

- دكتور/جابر عبد السيد .. اللي هو والدي.

لم يتكلم (عبد الرحمن) من وقع الصدمة بل ترك (سليمان) ليكمل حديثه إن أراد، هذا الأخير لم يكذب خبرًا وقال:

- والدي اشتغل في مشاريع أمنية كتير من الستينات بسبب تخصصه في الفيزيا النظرية لما درسها في انجلترا، أما في السبعينات أخد صلاحيات كبيرة أوي من الرئيس (أنور السادات) بنفسه ومنها إنه يتعامل مع جهات أمنية بكل حرية ويستخدمها كمصادر جمع معلومات لأي مشروع بيشتغل عليه، في الفترة دي استعان بالمباحث الجنائية للتحقيق في أكتر من حادثة، ومنهم حوادث خاصة ببيت (أبو خطوة)، لكن من فترة طويلة بعد عن كل حاجة واتحولت كل ملفاته للأرشفة لكن فضل الملف بتاع البيت زي ما هو لأن الحوادث بتاعته ما خلصتش، اللي اشتغلوا على الملف قدروا يضيفوا قضايا لكن ما نقدرش نبص على كل القضايا السابقة.

كادت السيجارة أن تحرق أصابع (عبد الرحمن) عندما وصلت لنهايتها بدون أن يتناول معظمها، أطفأها وابتلع ريقه محاولًا إعطاء فرصة لعقله كي يستوعب ما سمعه، بعد فترة صمت للتفكير قال:

- ممكن أطلب منك إني أقابل الوالد

– آسف يا (عبد الرحمن) باشا بس ما أعتقدش إن والدي هيرضى بأي مقابلات.

– أرجوك .. أنا لازم أعرف كل حاجة عن البيت .. بنتي مش قادرة تعيش، ولا أنا قادر أستحمل حالتها وأنا شايفها مش فاكرة اللي حصلها في البيت، أرجوك حاول معاه أنا مش هاخد من وقته كتير.

– صدقني فيه معارف وأصحاب قدام بيحاولوا يوصلوله وهو بيرفض.

– طب محاولة واحدة أنا راضي بيها، كلمه دلوقت في التليفون ولو رفض مش هزعل، بس جرب وأنا هعتبر التجربة دي جميلة لوحدها في رقبتي.

شعر (سليمان) بالحرج وهو يهز رأسه بالإيجاب ويخرج هاتفه المحمول من جيبه وينهض مستأذنًا لمحادثة والده خارج القهوة .. خرج وغاب لدقيقتين ثم عاد وهو يقول:

– الوالد وافق لكن بيقولك إنك مش هتستفاد حاجة من مقابلته، النهاردة هو مستنيك بالليل الساعة 8 في الفيلا بتاعته.

***

وقف (جعفر) أمام سيارة خاله يتأملها وبجانبه وقف خاله يربت على كتفه وهو يقول:

– ها يا (جعفر) عايز تسوق إنت المرة دي ولا أسوق أنا؟



تأمل (جعفر) سيارة خاله الذي تربى معه وحملت ذاكرته صورًا كثيرة لتلك السيارة التي تحمل ماركة غير مشهورة (لادا سمارا)، نظر للونها الأسود وتذكر محاولاته الأولى لتعلم القيادة بها بعد التحاقه بالجامعة.

تذكر خاله عندما رفض أن يتركها له لتصبح ملكه ويشتري هو سيارة جديدة، وتذكر خاله وهو يغريه بشراء سيارة جديدة له كي لا يأخذ السيارة اللادا، وفي النهاية اتفقا على أن يستخدم الاثنان السيارة لحبهما الشديد لها، برغم أن خاله يمتلك مصانع كثيرة للنحاس داخل منطقة (باسوس) ويمكنك أن تصنفه من المليونيرات بسهولة.

إلا أنه مازال يحتفظ بتلك السيارة العتيقة مع إدخال بعض التعديلات عليها كتغيير الماتور والأجزاء الداخلية والتعديلات الشكلية الخارجية، وكذلك (جعفر) الذي كان يعشق تلك السيارة وبرغم ميراثه الضخم من والده إلا أنه لم يفكر في شراء سيارة جديدة واكتفى بمشاركة خاله في قيادة تلك السيارة التي تدخل في فئة (هاتش باك).

ولكن اليوم ليس ككل يوم، بعدما سمع خاله ما حدث مع (صفاء) قرر قرارًا غريبًا على (جعفر)، قرر أن يزور (جعفر) أهل والده اليوم لأول مرة منذ طفولته، سمع عنهم ويحفظ أسماءهم لكنه لا يتذكرهم، فقد ابتعد عنهم في سن الخامسة فلا يتذكر سوى ومضات لا تعني له الكثير، ولذلك هو يقف الآن أمام السيارة يفكر عما سيحدث عند اللقاء، من سيتذكره ومن سيتحاشاه، لقد كان يسمع أن أهل والده غلاظ القلب لهم من الأساطير ما يكفيهم ليظهروا كالوحوش الخيالية، وهذا ما يقلقه.

– أنا اللي هسوق، وإنت قولي على الطريق.

قالها (جعفر) وهو يدخل السيارة ويديرها بينما يجلس خاله بجانبه ويسيران بالطريق، تكلم خاله بحذر وهو يحاول أن يرقق كلماته:

- عارف إن قراري جه فجأة إنك تزور أهل أبوك، بس اللي إنت بتقول إنك سمعته ده لازم أهلك يعرفوه، أنا بلغتهم بالتليفون من ساعة وهما هيستنونا ويأمنوا دخولنا من أول البلد.

نظر (جعفر) له بطرف عينيه كأنه يصدق على كلامه لكنه لم ينطق فأكمل خاله:

- إطلع على طريق القناطر وافضل ماشي لغاية ما أقولك لف

- ألف فين؟

- هتلف وتدخل (أبو النور) دي بلدك اللي إتولدت فيها.

نظر (جعفر) له وظهرت الدهشة على وجهه فهذه المرة الأولى التي يعرف أنه ينتمي لتلك القرية مع أنه سمع عنها كثيرًا.

- عارف إني ما قولتلكش كتير عن زمان، كل اللي قلتلهولك حكاية البيت اللي على طريق جهنم، واللي حصل لأمك ولأهلك، لكن ماقلتلكش على تفاصيل علشان دا كان طلب عيلة أبوك.

قاد (جعفر) السيارة وهو يخرج من (باسوس) التي تربى فيها إلى الطريق السريع المؤدي للقناطر، ظل الإثنان صامتان حتى اقتربت السيارة من المنطقة المسماة بالحادثة، فقال خال (جعفر) بسرعة

- خلي بالك إحنا هنقف قريب



- عند البيت؟

- أيوه

ظهر المنزل من بعيد فشعر (جعفر) بنبضات قلبه وهي تتسارع، أعطى إشارة الانتظار من سيارته وتوقف على جانب الطريق، غادر الإثنان السيارة ونظر كل واحد إلى الآخر ثم عبرا الطريق وتوقفا أمام المنزل، قال خاله:

- واضح إن فيه حاجات كتير هتحصل الأيام الجاية

تقدم (جعفر) لبوابة المنزل الموصدة وهزها قليلًا وهو يقول:

- تفتكر الحكاية قربت تخلص يا خالي؟

- والله يابني أنا حاسس إنها لسه هتبتدي.

ابتسم (جعفر) بطرف فمه بينما قال خاله وهو يرفع كفيه أمام وجهه

- تعالى يا ابني نقرا الفاتحة لأهلك

رفع (جعفر) كفيه هو الآخر وبدأ في قراءة الفاتحة وهو يختلس النظرات للمنزل.. انتهى الإثنان من القراءة وعادا للسيارة ليكملا طريقهما.

***

تحرك رجال عائلة (الدهان) بالقرب من مدخل قرية (أبو النور) وهم ينظرون حولهم بتحفز، عددهم يفوق الثلاثون رجلًا، يقفون بجانب سياراتهم النصف نقل والسيارات الجيب أمام المدخل، يرتدي بعضهم الجلباب والبعض الآخر قمصان وسراويل، نظرة القلق توحدت على وجوههم بينما

يحمل كل فرد منهم بندقية آلية أو طبنجة يخفيها في ملابسه، المارين عليهم لم يفهموا سر تجمعهم بهذا الشكل، كأنهم ينتظرون شيئًا أو شخصًا، فتلك الوقفة لا تدل على الدخول في معركة، أما هم فقد اعتمدوا على كلمات كبير العائلة المعلم (سميح) الذي لا يتجاوز عمره الأربعين والذي أخبرهم بوصول رجل هام بعد قليل وعليهم حمايته حتى يدخل إلى القرية.

برغم صغر سن المعلم (سميح) إلا أن له كلمة مسموعة وسط شباب العائلة ورجالها وخاصة أنه كان أحد الناجيين من مذبحة العائلة منذ سنوات طويلة، وأصبح هو كبير العائلة بحكم أنه أحد أحفاد الحاج (عبد الفتاح الدهان) الكبير السابق للعائلة قبل أن يختفي.

ظهرت السيارة التي يقودها (جعفر) على الطريق بينما خاله يطلب منه التوقف بجانب الرجال المتراصين، خرج خاله من السيارة وقال لأحد الرجال:

– عايزين نقابل المعلم (سميح).

رد عليه الرجل بفضول:

– إنت مين؟ وعايزه في إيه؟

ضحك خال (جعفر) ثم قال للرجل:

– المعلم (سميح) كان معايا على التليفون قبل ما أجي، وهو بلغكم إن محدش يسأل.

كاد أن يرد عليه الرجل لكن أحد الواقفين تدخل واقترب من خال (جعفر) وهو يقول مرحبًا:

– نورت البلد، إركب عربيتك واحنا هندخل معاك البلد، إمشي ورا عربيتي وأنا هوصلك

– على بركة الله.

سارت سيارة (جعفر) وسيارات رجال العائلة تحيط بها في موكب ضخم لفت نظر أهل القرية، وانتشرت التساؤلات بينهم عن سر الموكب ومن يحميه ووجهته، تغيرت القرية وزادت المنازل التي بنيت حديثًا ورصفت بعض الشوارع وتغيرت معالمها، مقاهي جديدة ومطاعم مختلفة وجو عام لا يدل على الدماء التي تعودت رمال القرية أن تشربها منذ سنوات. نظر خال (جعفر) لخارج السيارة وهو يقول مبتسمًا:

– والله زمان يا ولاد الدهان

نظر له (جعفر) وقال:

– مش عايز تقولي برضه فيه إيه؟

لم يرد عليه وظل ينظر مبتسمًا خارج نافذة السيارة، توقف الموكب أمام عمارة واجهتها من الطوب الأحمر في إحدى الشوارع الجانبية، نزل الرجال من سياراتهم بسرعة ونزل (جعفر) وخاله أيضًا، وهذا الأخير ينظر حوله برهبة لهذا العالم الغريب الذي سمع بعض حكاياته من خاله لكن لم يره قط، خرج من المنزل المعلم (سميح) مبتسمًا بمجرد سماعه لصوت السيارات، كان (سميح) طويل القامة ممتلئ الجسد يرتدي جلباب بني

اللون ويمسك سيجارة بيده اليسرى، يحمل الكثير من الوسامة التي اختفى بعضها مع امتلاء وجهه، صرخ وهو يسرع الخطى ناحية خال (جعفر) قائلًا:

– يخرب بيتك يا (مسعد) واحشني يا جدع

احتضن خال (جعفر) بقوة وخال (جعفر) (مسعد) يقول مبتسمًا:

– فين أيامك يا (سميح)، تخنت ولظلظت كده ليه ياض، كان نفسي أشوفك من زمان

أبعد (سميح) (مسعد) قليلًا عن حضنه وقال:

– لولا الظروف كنا هنبقى مع بعض كل ليلة، على العموم تتعوض

نظر (سميح) إلى (جعفر) المرتبك وقال لمسعد:

– هو ده؟

ابتسم (مسعد) بفخر وهو يهز رأسه علامة الإيجاب، اقترب (سميح) من (جعفر) فاتحًا ذراعًا قائلًا:

– رجعت لعيلتك يا ابن (الدهان)

احتضنه بقوة وهو يربت على ظهره، بينما (جعفر) يتمتم بصوت خفيض:

– إيه الأجواء الأوفر دي

نظر (سميح) للرجال وقال:

- سمعوني أحلى تحية بسلاحكم.. تحية ما إتعملتش لحد قبل كده.

نظر الرجال بعضهم إلى بعض بدهشة، فتغيرت ملامح (سميح) للقسوة وهو يقول بصوت جهوري:

- سمعوني التحية.

رفع أحدهم بندقيته الآلية وشد أجزاء الإطلاق وعدلها على وضع الضرب الآلي ثم أطلق دفعة طلقات من سلاحه للأعلى جعلت (جعفر) يجفل ويغمض عينيه لثوان، أعد بقية الرجال أسلحتهم وأطلقوا النيران بكثافة شديدة وصوت الطلقات المتقارب جعل القرية كلها تنتفض، أما (جعفر) فقد ارتبك أكثر وهو يحاول أن يتحاشى العشرات من فوارغ الطلقات التي تتطاير حوله.

اقترب (سميح) منه واضعًا يده على كتفه وهو يدخله من باب المنزل إلى صالة فسيحة تمتلئ بالمقاعد والأرائك، تبعهم (مسعد) للداخل وصوت الطلقات يأتي من الخارج بلا انقطاع، جلسوا على المقاعد وأصوات زغاريد تتعالى من داخل المنزل بلا أن يعرف (جعفر) مصدره، نادى (سميح) على نساء المنزل فانفتحت غرفتين بجانب الصالة وبعض النساء والفتيات بأعمار مختلفة يخرجن وهن يدارين شعورهن بطرح ملونة واشتركن جميعًا في ارتداء العباءات السوداء

- تعالوا سلموا على (جعفر)

قالها (سميح) وهو يشير بيده لجعفر ثم يوجه كلماته له قائلًا:

- دول بنات عيلتك يا (جعفر)، سلم عليهم ما تنكسفش.

نهض (جعفر) بخجل وارتباك و(سميح) يشير لكل فتاة وامرأة يخبره بصلة قرابته بها واسمها وإن كان تعثر (جعفر) في استقبال كثرة المعلومات التي سمعها عنهم، أمرهم (سميح) بإعداد الغداء وجلس وهو يرحب بجعفر والخال.

- بقولك إيه يا (سميح)، بلاش الغدا دلوقت، نأجله بعد المهم.

قالها الخال، سحب (سميح) نفسًا طويلًا من سيجارته وأطفأها في مطفأة على المنضدة المقابلة لهم وهو يقول:

- الأكل جاهز، ناكل لقمة وبقية رجالة العيلة هييجوا يسلموا وبعد....

قاطعه الخال:

- اسمع كلامي وخلينا نتكلم في المهم

نظر له (سميح) نظرة طويلة مفكرًا ثم نهض وهو يقول:

- ماشي، تعالى ورايا يا (جعفر)

توقفت أصوات الرصاص و(جعفر) ينظر لخاله بعدم فهم فأشار له بأن يتبعه، اتجه (سميح) ناحية إحدى الغرف ودخلها و(جعفر) يتبعه بخطوات بطيئة.

غرفة نوم بسيطة الترتيب، فراش كبير وسجادة ودولاب وتسريحة، الأثاث قديم نوعًا ما لكنه نظيف كأنه لم يستخدم بعد.

- إقفل الباب وراك.



قالها (سميح) فأغلق (جعفر) الباب

- دي أوضة نوم الضيوف، بس محدش يقدر يقرب منها إلا بإذني

اتجه إلى الدولاب وفتحه وهو يقول:

- بعد الخناقة الكبيرة اللي حصلت زمان كل بيت من بيوت عيلة (الدهان) بقى فيه حاجة شبه ده.

أزاح ملابس معلقة داخل الدولاب وجذب مقبضًا خفيًا فانفتح قعر الدولاب الخشبي ليصبح بابًا جرارًا أتى من وراءه ضوء أبيض ساطع.

- وعيلة (السلاموني) عملوا كده في بيوتهم برضه، في كل بيت باب يدخلك من ناحية ويخرجك من ناحية تانية.

نظر لجعفر وقال مبتسمًا:

- تعالى ورايا.

تبع عبارته بنزوله درجات سلم باتجاه الضوء الأبيض و(جعفر) ذو العين المتسعة دهشة يتبعه وقدميه تأبى التقدم بسرعة كأنها ترفض خوض تلك التجربة الجديدة ودخول هذا العالم الغريب، حتى جاءه صوت (سميح) من الأسفل يستحثه على القدوم.

أحنى قامته قليلًا وهو يدخل للدولاب ودرجات السلم أصبحت واضحة له، نزلها بحرص وهو يتأمل ما حوله بعينيه المتسعة، ممر متسع مضاء بمصابيح (نيون) معلقة وجدرانه ذات طلاء أبيض اصفرَّ بفعل الزمن، على جانبي الممر الواسع خمسة أبواب خشبية عريضة، انتهت درجات

السلم و(جعفر) يسير في الممر متأملًا الأبواب و(سميح) يقول وهو يخرج من جيب جلبابه سلسلة مفاتيح:

– تجارة عيلتنا أساسًا كانت في النحاس، لكن دلوقت بقينا نشتغل في الخراطيم والمواسير واتوسعنا ومصانعنا كترت، بعد الحادثة تعبنا كتير علشان نرجع السوق تاني وما بقيناش نصدر للمحافظات وبس، لأكمان بنبعت ليبيا والسودان من 8 سنين، ما كانش ممكن نعمل كل ده من غير خبرة قديمة تنصحنا وتدلنا على الطريق.

في نهاية الممر باب خشبي ضخم مميز توقف عنده (سميح) ووضع المفتاح في مزلاج الباب قائلًا:

– تعرف مين اللي سماك (جعفر)؟

فتح الباب وأشار للداخل قائلًا:

– جدك .. الحاج (عبد الفتاح الدهان)

في الداخل يجلس الحاج (عبد الفتاح) على وسائد يدخن الشيشة.

***

فتحت (صفاء) باب الشقة لتجد والدها يجلس مسترخيًا على الأريكة مغمض العينين، أغلقت الباب بهدوء كي لا توقظه لكنه فتح عينيه مفزوعًا

– إتأخرتي ليه يا حبيبتي؟

جرت عليه وقبلت رأسه فربت على ظهرها وهي تجلس بجانبه



- دا أنا ما أخدتش ساعتين في مشواري

- أنا ما رضيتش أتصل بيكي كل شوية علشان عارفك بتزعلي

- ما أنا قلتلك في التليفون إني هشتري شوية طرح وهرجع قبليك، ألا صحيح إنت جيت بدري ليه؟

- فين اللي اشتريتيه؟

رفعت كيس بلاستيكي صغير وهي تقول:

- فاكرني بكدب عليك!!!

ابتسم نصف ابتسامة

- أنا ما قلتش كده، أنا بس خايف عليكي

نهضت متجهة للمطبخ وهي تخلع دبابيس طرحتها

- أنا محضرة الأكل من الصبح في التلاجة، هسخنه و. ..

قاطعها

- أنا جيبت أكل جاهز معايا، هتلاقي الشنط في المطبخ، غيري لبسك وتعالي ناكل

غيرت اتجاهها لغرفتها بينما نظر هو للكيس الذي تركته بشك، فتحه ومد يده داخله ليخرج بعض الطرح الملونة، شعر بالخجل وهو يعيدهم مرة ثانية ويمسح بيده على وجهه.

أما في داخل غرفتها فقد وقفت (صفاء) أمام الكومبيوتر وفتحت حقيبة يدها لتخرج كارت الذاكرة وتضعه أمامها، هل تشاهده؟ في هذه القطعة الصغيرة كل ما شاهدته تلك الليلة وأخفته ذاكرتها.

جلست على أقرب مقعد وهي مازالت تنظر للكمبيوتر مفكرة.

***

في وسط صالة تتناثر عليها الوسائد ذات الطابع العربي يجلس الحاج (عبد الفتاح الدهان) وقد غزت التجاعيد وجهه وخصلات شعره البيضاء القليلة تناثرت بلا انتظام على جانبي رأسه، مبسم الشيشة العاجي لا يغادر فمه إلا لإخراج الدخان بينما تجلس امرأة في الستين في طرف الغرفة وقفت احترامًا عند دخول (سميح) الذي أشار لها بالجلوس.

هنا دخل (جعفر) من الباب والحاج يُبعِد مبسم الشيشة عن شفتيه ويبتسم

- (جعفر) رجع يا جدي.

فتح الحاج ذراعيه وقال بصوت أجش:

- تعالى يا ابني

اقترب (جعفر) والدهشة والخوف يسيطران على ملامح وجهه وجثا على ركبتيه مقابل الحاج فمد هذا الأخير يديه في الهواء حتى اصطدمت بوجه (جعفر) فأمسك برأسه بين كفيه وضمه إليه بلهفة، قبل رأسه وقال:

- دعيت ربنا كتير إنه يطول في عمري علشان أخدك في حضني وتعوضني عن اللي راحوا.

- خالي قاللي إنك موت من زمن

- حلفت ما أموت قبل ما أخد حق اللي راحوا

أشعل (سميح) سيجارة ونفس دخانها وهو يقول:

- جدي عايش معانا ومحدش يعرف بوجوده إلا أنا واخواتي الإتنين والست (عفاف) اللي مات ابنها وجوزها يوم الحادثة وبتخدمه من يومها لحد دلوقت.

ردت المرأة الجالسة بأدب وهي تنظر للأرض بصوتها المبحوح كأنما تسجل موقف لا أكثر:

- أهم حاجة في دنيتي هي رضا الحاج عني يا سي (سميح)، ربنا يطولنا في عمره.

أبعد الحاج (جعفر) قليلًا عنه وهو يتلمس بيده اليمنى ملامح وجهه كأنه يتعرف عليها، نظر (جعفر) لعينيه بتساؤل حتى فهم ما أصابه:

- جدي من عشر سنين جتله مشكلة في عينيه، ما رضيش يتعالج والموضوع وصل للعمى الكلي، ولسة مش راضي حتى نكشف.

- ليه يا جدي كده

قالها (جعفر) بعتاب فابتسم الحاج أكثر وقال:



- لما أشفي غليلي أبقى أفكر أتعالج

افترش (سميح) الأرض بجوار الجد وسحب نفسًا طويلًا من السيجارة وقال بارتباك لجعفر:

- هو إنت فاكر إيه اللي حصل ليلة الحادثة؟

***

- مش فاكر إلا (مي) وهي بتحكيلنا حكاية .. وفاكر صوت رصاص كتير و(مي) متصابة وبتحط على وشي وجسمي من دمها وبتقولي غمض عنيك وما تتحركش، وشوية مشاهد مالهاش معنى.

قالها (جعفر) بصوت حزين فامتدت يد الحاج تمسح على شعره بحنان وهو يقول:

- كان نفسي تكون فاكر مين اللي عمل كده، بس الله يكون في عونك في اللي شوفته

- يعني لسه فاكر (مي)؟

قالها (سميح) فردت (عفاف) بشكل لا إرادي:

- ألف رحمة ونور عليها

أكمل (سميح) قائلًا:

- لقاك الحاج في حضنها بتعيط يوميها

انسالت دمعة من عين الحاج مسحها بإصبعه بسرعة وهو يقول:

– أول ما النهار شقشق سبقت (سميح) واخواته ورجعت على بيت أبو خطوة، على السلم لقيت 3 جثث مضروبين بالرصاص من ولاد (السلاموني)، جريت على الشقة وشوفت المصيبة، ولاد الكلب ما سابوش حد حي، سمعت صوت عيل بيبكي، كنت إنت في حضن (مي)، غمضت عنيها وخدتك على كتفي وجريت وأنا مش شايف قدامي، وهربت بيك على بيت خالك

– طب وليه اختفيت يا جدي؟؟

رد (سميح) بسرعة:

– علشان البوليس اتهمه إنه اللي قتل الـ 3 رجالة اللي على السلم، البوليس حضروا ورقهم، إن الـ 3 دول قتلوا الستات والعيال، فجه الحاج وقتلهم، كان لازم يختفي، أنا عارف إن فيه حكايات كتير عن اللي حصل بس هي دي الحقيقة

تنحنح الحاج قائلًا:

– قومي يا (عفاف) اعمليلنا شاي.

نهضت (عفاف) لتدخل المطبخ بينما وجه الحاج لجعفر كلماته:

– أنا وصيت خالك يبعدك عن البلد وعن مشاكلنا، مش عايزك تشيل في يوم سلاح ولا تنام على فرشتك خايف من الغدر بتعد الساعات لحد ما النهار يطلع، وحلفت عليه ما ترجع لحضن أهلك إلا لما أجيب تارهم، لكن خالك صمم يرجع بيك دلوقت .. قال لسميح إن فيه أمل نعرف مين اللي قتل أمك



قال (جعفر) بهدوء

- من شهر فيه صحفية أعرفها دخلت البيت، قضت ليلة فيه وخرجت وشها كله دم.

- إيه اللي حصلها؟

قالها الحاج وهو يعتدل فرد (جعفر):

- هي مش فاكرة أي حاجة، كان معاها كاميرات وحاولت تصور بيهم لكن الكاميرات كلها اتكسرت...

- واشمعنى راحت البيت ده بالذات؟

قالها (سميح) بشك فرد (جعفر) بسرعة:

- كانت بتدور على بيت مسكون تعمل عنه مقالة صحفية، وانت عارف إن البيت ده طالع عليه شهرة إزاي...

- إطلع انت يا (سميح) علشان كل حاجة تبان طبيعي، واللي يسألك عن حفيدي قوله بيريح في أوضة المسافرين.

نهض (سميح) مغادرًا الشقة بسرعة بينما نظر (جعفر) إلى جده الذي قال:

- في الليلة اللي قامت فيها العركة بينا وبين ولاد (السلاموني)، جمعت كل فلوسي السايلة في شنطة سفر كبيرة وحطيتهم في البيت مع النسوان، أنا لما رجعت لقيت 3 جثث من ولاد (السلاموني) كل واحد فيهم ماسك سلاحه وواخد طلقة في دماغه، لو هما اللي قتلوا النسوان

والعيال يبقى مين اللي قتلهم في نفس المكان؟ وشنطة الفلوس البوليس لقاها وحرزها، يعني محدش كان ناوي يسرقها، اللي حصل الليلة دي محدش شافه إلا اللي اتقتلوا واللي قتلهم .. وانت...

نظر (جعفر) للأرض صامتًا ثم نظر لجده قائلًا:

– تفتكر البيت مسكون بجد يا جدي؟

– مش عارف .. (أبو خطوة) صاحب البيت كان صاحبي في شبابي قبل ما يموت وابنه يورث البيت وبعديها حفيده دلوقت، زمان لما اتعرفت على (أبو خطوة) كان البيت موجود ومبني على حالته دي، سألته كتير ليه مش عايز يعيش فيه، كان يقولي إن أبوه وصاه إنه لا يعيش في البيت ده ولا يبيعه .. حتى زمان كان فيه حكاية حصلت قدامي شوفت فيها واحد كان عايز يشتري البيت ده بالعافية، وكان وراه ناس تقيلة أوي في البلد.

رفع (جعفر) حاجبيه قائلًا:

– يعني إيه ناس تقيلة!!!

– يعني ناس من الحكومة يا ابني، (أبو خطوة) كانت حياته قصاد البيت، ساعتها هربته وحميته عندي في بيتي، لحد ما ظهر واحد محترم كان تبع الحكومة برضو، وهو اللي وقف جنبنا وطمن (أبو خطوة) وخلاه ما يبيعش البيت، الراجل الطيب ده بقى صاحبنا فترة طويلة أوي لحد ما أبو خطوة مات، كان عايش معانا كأنه واحد من عيلتي، علمني كتير أوي في حياتي، وكان نفسي أشوفه قبل ما أموت، لكنه اختفى زي ما قلتلك.

– يعني ممكن يكون الراجل ده عارف حكاية البيت ويدلنا على سره؟!



- كل حاجة ممكنة

ظهرت (عفاف) فجأة تحمل صينية الشاي التي أودعتها على الأرض بجانب الحاج وقدمت كوب إلى (جعفر) وأمسكت بالكوب الآخر لتضعه في يد الحاج الذي رشف منه رشفة صغيرة وقال:

- تسلم إيديكي يا (عفاف)، خشي أوضتك واقفلي على نفسك لحد ما أنادي عليكي

بعدما انصرفت وَجَّهَ الحاج اتجاه وجهه ناحية (جعفر) الذي قال:

- اسمه إيه الراجل ده يا جدي؟

- اسمه (جابر) .. أيوا .. دكتور (جابر عبد السيد) .. ربنا يديله الصحة لو كان عايش بقى

***

عاد (سميح) لصالة المنزل فوجد (مسعد) خال (جعفر) يتقلب في مقعده بقلق، جلس بجانبه فعاجله (مسعد) قائلًا:

- فين (جعفر)؟

- قاعد مع الحاج دلوقتي

قالها (سميح) بصوت خفيض

- والله وحشني الحاج

– وانت كمان وحشته، إنت عارف هو بيعزك قد إيه، كفاية إنه استأمنك على (جعفر)

– وأنا حاولت أكون قد الأمانة

– إنت كنت قدها وقدود.

تنحنح (سميح) وكأنه يريد أن يقول شيئًا ما، ثم قال:

– ألا إيه حكاية الحادثة اللي دخل بعديها (جعفر) مستشفى المجانين؟

– مجانين إيه يا (سميح) الملافظ سعد يا أخي.

– لا مؤاخذة، طب إيه اللي حصل؟

– من زمان و(جعفر) كان مهتم بقراية كتب العفاريت اللهم احفظنا يعني، فجأة لقيته لابس خاتم فضة منقوش عليه شخبطة غريبة وبقى يغيب كتير برا البيت ويرجع يتعامل طبيعي معايا، أنا قلت أكيد طالما مركز مع مذاكرته وبينجح بتقدير كل سنة يبقى مفيش مشكلة، لكن في يوم قاللي إنه طالع رحلة تبع الكلية لاسكندرية، هيقعد فيها أسبوع، قلت وماله، عدت 3 أيام ولقيت أمين شرطة جايلي من المديرية ومعاه طلب استدعاء علشان أروح أستلم (جعفر) من قسم القناطر، روحت هناك لقيته مش فاكر أي حاجة في آخر كام شهر، لكن عارفني وعارف نفسه، الظابط قاللي إن أهالي منطقة الحادثة لقوه مغمى عليه على الأرض قدام البيت.

– أنهي بيت يا (مسعد)؟

– البيت اللي اتقتلت فيه أمه .. لقوا هدومه مليانة تراب ومتقطعة ووشه فيه شوية جروح خفيفة، وجسمه مليان كدمات كأنه وقع من على جبل، لما فوقوه قعد يصرخ ويقول كلام ملوش معنى عن البيت، ولما راح قسم البوليس أعصابه هديت لكنه ما إفتكرش أي حاجة .. المهم لما أنا استلمته ورجع معايا البيت ما بقاش يعرف ينام، دايمًا تجيله كوابيس، ويسمع أصوات، ويقول كلام غريب أوي

– كلام زي إيه؟

– إن كان معاه خدمة من الجن، وإن كلهم ماتوا، وكلام محدش كان فاهمه عن واحد اسمه (إبن عربي) أو (إبن العربي)، مش فاكر، آه .. وكان بيقول إن فيه اسم عمال يسمعه كتير أوي .. (جابر عبد السيد)، مش عارف مين ده

***

جلس (عبد الرحمن) على المقعد المجاور للسائق في سيارة (سليمان) الذي تولى قيادتها متجهًا بها لمنزل والده، عندما التقط (عبد الرحمن) من ساعة من أمام العمارة التي يقطن بها وأقنعه بأنه يوصله بسيارته ذهابًا وإيابًا، مرت الساعة وهما لا يتحدثان تقريبًا إلا في بعض الأمور العادية كالسياسة وبعض شؤون الضباط الذين خدما معهم، لكن عند تلك النقطة قال (سليمان):

– آه على فكرة نسيت أقولك يا (عبد الرحمن) باشا .. إوعى تعرف حد خالص إنك زورت والدي أو إنك عرفت طريق بيته.



نظر له (عبد الرحمن) نظرة طويلة ثم قال:

- هو والدك كان شغال في المخابرات العامة؟

مرت ثوانٍ و(سليمان) منشغل بالطريق أو كأنه يمثل الانشغال بالطريق، قال بعدها:

- لأ هو مش ظابط من أساسه، لكن شغله ليه صلات بيهم

- أنا لحد دلوقت ما عرفتش هو طبيعة شغله إيه؟

- هتصدقني لو قلتلك إني ما أعرفهاش كلها لسه!!!

- إزاي يا سيادة المقدم؟

- من أول ما اشتغلت في الداخلية وأنا أسمع عن والدي، القيادات الكبيرة بس هي اللي تعرفه، بيتكلموا عنه بخوف، كأنه كان بعبع ليهم، ومحدش عايز يقول اتعرف عليه إزاي ولا كان مجال شغله إيه!!!

- يبقى استخبارات زي ما قلت

- صدقني لأ .. بس ممكن أقولك بعدين على قايمة مشاريع اشتغل فيها اترفعت عنها السرية، زي مشروع الطيارة الحربية حلوان وصواريخ القاهر والظافر، ومشروع تخصيب اليورانيوم اللي فشل في الستينات، مشاريع كتير حربية كان فيها لكن دوره إيه هي دي المشكلة .. على العموم إحنا خلاص داخلين على البيت أهو فتقدر تسأله على اللي إنت عايزه، بس ما تنساش إنه خلاني أقولك إنك مش هتستفيد حاجة، إنت اللي صممت

لم يرد (عبد الرحمن) وهو ينظر للصحراء التي تحيط بجانبي الطريق الذي تسير فيه السيارة بمدينة 15 مايو بحلوان، انتهى العمران منذ دقائق والظلام هو الذي يحيط بهم من كل جهة، لكن على مرمى البصر رأى مجموعة كبيرة من أشجار النخيل تحيط بمنزل من طابقين، كلما اقتربت السيارة منه ميز تفاصيل غريبة للمنزل.

بعيدًا عن الصحراء التي تحيط بالمنزل من كل جهة، إلا أن تصميمه المعماري أشبه بالقصور، لا ليست القصور الحديثة، بل قصور الطراز الإسلامي التي كانت منتشرة في عصر المماليك، عرف (عبد الرحمن) هذا من القباب التي تعلو المنزل ومليئة بالزخارف التي رآها من بعيد، زخارف من الزجاج الملون تضيء بألوان زاهية تنير في ظلام الصحراء الحالك.

المنزل محاط بسور طويل جدًا وله بوابة حديدية توقفت السيارة أمامها ونزل منها (سليمان) ليقف على طرف الباب الأيمن أمام جهاز صوتي صغير معلق على الجدار، ضغط (سليمان) على أحد الأزرار في الجهاز بضعة مرات، ثم ضغط زر آخر وقال:

- أنا جيت يا بابا، افتح الباب

مرت لحظات قليلة انفتحت البوابة الضخمة أوتوماتيكيًا ببطء على مصراعيها، عاد (سليمان) للسيارة ليدخل بها المنزل.

بمجرد ترجل (عبد الرحمن) من السيارة لم يستطع إخفاء انبهاره بما حوله، نافورة مياة ضخمة وسط مجموعة من أشجار الفواكة تتداخل ألوانها لتصنع لوحة فنية جاءت من مكان بعيد عن الصحراء المحيطة بالمنزل، الأعشاب ترسم على الأرض رسوم هندسية دقيقة مع الكثير من المقاعد

الخشبية المزخرفة بتعاشيق الخشب تتناثر في تلك الحديقة، إضاءة صناعية تأتي من الأرض والسماء ومن كل مكان ترسم خيالات على الأعشاب والمقاعد جعلت عين (عبد الرحمن) تتسعان ذهولًا.

سار (سليمان) في ممر رصف بالأحجار وسط الحديقة و(عبد الرحمن) يتبعه حتى وصل إلى بوابة خشبية طولها يقترب من العشرة أمتار، امتلأت بالزخارف الإسلامية التي تعرف عليها (عبد الرحمن) لأنه تربى في طفولته بأحياء الجمالية وعاصر تلك الزخارف ويستطيع تمييزها.

للباب مقبض صغير في أحد جوانبه أداره (سليمان) فانفتح باب صغير داخل الباب الأصلي، باب يسمح بمرور الأشخاص الطبيعيين، دخل الإثنان ليفاجأ (عبد الرحمن) برجل في الأربعينات من عمره يأتي مسرعًا وهو يقول:

- خلي الباب مفتوح يا (سليمان) بيه، أصلي لامؤاخذة خارج.

قالها الرجل وهو يهرول ناحية الباب، مظهره غريب لا يوحي أبدًا بانتماءه لهذا المكان، كأنه فأر يهرول داخل عرين الأسد، ملابسه غير المهندمة ووجهه الخبيث يعطيان شعورًا بالتقزز لمن يقترب منه، وقف أمام (سليمان) وهو يصافحه بحرارة بينما (سليمان) يقول له بملامح صارمة:

- إزيك يا (حمدي)، كنت بتعمل إيه جوه؟!

- الحمد لله يا كبيرنا، أصل الباشا الكبير لا مؤاخذة كان طالبني في مشوار كده.

هز (سليمان) رأسه بحركة بلا معنى ثم سار مبتعدًا و(عبد الرحمن) يتبعه حتى وصلا لحديقة أخرى داخلية.

كما توقع (عبد الرحمن) فإن تصميم هذا المنزل كان على الطراز الإسلامي بالفعل، داخل المنزل حديقة كبيرة في منتصفها نافورة تحيط بها أربع مسطحات مزروعة بورود ونباتات غريبة، نوافذ المنزل كلها من الأرابيسك، مع صوت خرير الماء من النافورة ومظهر النوافذ وتلك المقاعد ذات الطراز الإسلامي المتناثرة هنا وهناك شعر (عبد الرحمن) بالانبهار يقتله وهو يحاول أن يلحق بخطى (سليمان) الذي فتح باب جانبي ودخله، وجد (عبد الرحمن) نفسه يقف داخل قاعة ضخمة ربما كانت أكبر في المساحة من شقته نفسها.

سقف القاعة مرتفع كارتفاع أسقف المساجد القديمة وقبة مزخرفة تعلوه، أثاث القاعة نفسه كالمتاحف الإسلامية من الزخارف التي تملأ الحوائط إلى المقاعد والأرائك التي شكلت تناغمًا في تراصها بجوار بعضها البعض.

إحدى حوائط القاعة لم يكن حائطًا بالمعنى المتعارف عليه، بل كان كله من خشب الأرابيسك يظهر من خلفه خيال للحديقة الداخلية ونافورتها، عند هذا الحائط جلس (جابر) على مقعد تحيطه بضعه مقاعد خالية، وأمامه منضدة صغيرة عليها مطفأة سجائر خالية ونظيفة، أما هو فقد كان ينظر لساعته بصمت.

سار (سليمان) ناحيته بخطوات سريعة وهو يقول:

- أخبارك إيه يا بابا

لم ينظر (جابر) له وهو يقول:



- الحمد لله يا حبيبي .. الولاد كويسيين؟

وصل (سليمان) له فوقف بجانبه وهو يربت على ظهره بود قائلًا:

- كويسيين يا بابا وهجيبهم بكرة معايا

لم يرد (جابر) وظل ينظر لساعة يده صامتًا، فجأة ابتسم وهو يضع يده في جيب بدلته ويخرج علبة سجائر ويشعل منها سيجارة وهو يسحب أنفاسها مسترخيًا، هنا أشار (سليمان) لعبد الرحمن بيده ليأتي.

اقترب (عبد الرحمن) وهو يتأمل (جابر)، بدلته السوداء الفاخرة وحذاءه اللامع، وخاتمه، كل شيء فيه كان يلمع، حتى ملامحه العجوزة التي حملت وسامة قديمة مع شاربه ولحيته البيضاء، كل هذا كان يبرق، صلعته أضافت لسببٍ ما وسامة أكثر على وجهه، عينيه هي الأخرى كانت تلمع، كأنها عين ذئب عجوز لم يفقد قوته بعد، هذه العين ظلت تتابع (عبد الرحمن) وهو يقترب حتى أصبحت المسافة بينهما بضعة أمتار، هنا أخرج (جابر) نظارة طبية من جيب سرواله وارتداها وهو ينظر لعبد الرحمن وابتسامة تتكون على وجهه.

نهض (جابر) من مقعده ويده تمتد لعبد الرحمن الذي هرول عليه يصافحه باحترام، زادت ابتسامة (جابر) وهو يقول:

- معلش يابني أصلي كنت مستني الساعة تيجي 8 بالظبط علشان أشرب السيجارة في ميعادها.

هز (عبد الرحمن) رأسه علامة التفهم فهو لم يملك شيئًا ليقوله، أشار له (جابر) ليجلس أمامه على المقعد المقابل له فجلس، (سليمان) هو الآخر سحب مقعدًا وجلس بجانب والده.

- هتشرب إيه يا (عبده)؟

ارتبك (عبد الرحمن) بينما ظهر الإحراج على (سليمان) لكن (جابر) قال:

- أنا في سن والدك ويمكن جدك، فيها حاجة لما أقولك يا (عبده) .. ها إخلص يالا هتشرب إيه؟

اتسعت عين (سليمان) وهو ينظر لوالده لينبهه بينما ابتسم (عبد الرحمن) وقال:

- أشرب قهوة زيادة حضرتك

- حلو، أنا توقعت كده .. وطلبت قبل ما تيجو إتنين قهوة زيادة لينا وعصير لسليمان والطلبات هتخش علينا دلوقت.

نظر هنا (جابر) لسليمان وقال:

- بتبرقلي ليه ياد؟ إنت هتعمل نفسك كبير عليا؟

ثم نظر لعبد الرحمن قائلًا:

- تعرف (سليمان) ده، من وهو عيل صغير وعمال يبرق على الفاضي والمليان، حتى لما دخل كلية البوليس .. إيه البوليس دي .. بقت قديمة،



من ساعة ما دخلته كلية الشرطة، أه ما أنا اللي دخلته بالواسطة، تلاقيك إنت كمان دخلتها واسطة، ما هي بلد ماشية بالعكس

قال عبارته وأخذ نفسًا من سيجارته ثم نهض ليقف بجانب حائط الأرابيسك ينظر للخارج وهو يقول:

– من ساعة ما وعيت على الدنيا وكل حاجة زي ما هي، الزمن عمره ما إتغير، هو بيعيد نفسه كل شوية مش أكتر، وأنا اتعودت أشوف الإعادة كل يوم وما أزهقش .. علشان كده بنيت البيت ده.

نظر (سليمان) لعبد الرحمن نظرة اعتذار لكن هذا الأخير هز رأسه متفهمًا بينما (جابر) ينظر له ويقول:

– تعالى أقف جنبي يا (عبده)

نهض (عبد الرحمن) ليقف بجانب (جابر) الذي أشار للحديقة في الخارج وهو يقول:

– أنا بنيت البيت ده علشان أنقل نفسي لعصر قديم، أرجع لورا بكيفي، الفنان اللي كان بيبني البيوت القديمة كان بيعمل منها الزمان والمكان الخاص .. يعني شايف النافورة دي .. النافورة دي حواليها أربع مربعات مزروعين، المشهد ده إعادة تمثيل لمشهد سماوي .. بيمثل الجنة، نبع المية اللي في الوسط، والأربع جنان زي اللي في الأحاديث النبوية اللي بتوصف الجنة، اللي عاشوا في البيوت دي كانوا بينقلوا نفسهم للجنة جوا بيوتهم، زمان ومكان غير اللي إحنا فيه، محدش طاق يعيش الواقع، فهربوا...

عاد (جابر) ليجلس على مقعده ويطفئ السيجارة ثم يشير إلى (عبد الرحمن) ليعود هو الآخر، هنا انفتح باب القاعة ودخلت فتاة شابة تعقص شعرها خلف أذنها وتحمل صينية تراص عليها ما طلبه (جابر).

نهض (عبد الرحمن) لها احترامًا فقال (جابر) لها وهي تضع الصينية على المنضدة الصغيرة:

- تسلم إيدك يا (نهلة)

ثم نظر لعبد الرحمن قائلًا:

- دي بنت طيبة أوي أوي بتشتغل هنا من أول ما (سلوى) مراتي ماتت

ابتسمت الفتاة لجابر ممتنة ثم غادرت بينما جلس (عبد الرحمن) محرجًا بعدما علم أنها ليست أحد أقرباء (جابر)

- (سلوى) مراتي دي كانت ست زي العسل، شافت اللي ما شافوش حد في حياتها معايا، كانت بتخلي بالها مني كأنها أمي مش مراتي

أخرج (جابر) حافظة نقوده وسحب منها صورة فوتوغرافية صغيرة لامرأة عجوز مبتسمة وشهرها في وجه (عبد الرحمن) قائلًا بفرحة طفولية:

- شوفت حلوة إزاي!! .. دي آخر صورة اتصورتها قبل ما تموت، ما هي لسه ميتة من 3 سنين بس، الله يرحمها

أعاد الصورة للمحفظة وهو يقول بحنين:

- روحها طلبت الرحمة، الفاتحة ليها.

رفع (عبد الرحمن) يده أمام وجهه مقلدًا (جابر) و(سليمان) وتظاهر بقراءة الفاتحة، حانت منه التفاته ناحية (جابر) فوجده ناظرًا له، فجأة ابتسم (جابر) وقال وهو يخفض يده:

- فاكرني راجل عجوز بيخرف ويتكلم في مواضيع ملهاش دعوة ببعض مش كده؟

- لا أبدًا يا دكتور(جابر)

- مش عيب يا ابني، (سليمان) نفسه فاكرني بخرف ساعات، كلنا واحنا شباب افتكرنا العواجير بيخرفوا لكن لما هتكبر هتفهم

- أفهم إيه؟

- إن الخبرة اللي العجوز شافها ممكن تخليه يتكلم بعفوية وما يهموش حاجة، لأنه عرف النهاية، أما إنت لِسه بتدور على البداية

تنحنح (سليمان) وهو ينهض ليناول القهوة لعبد الرحمن ثم لوالده وهو يقول:

- سيادة العميد (عبد الرحمن) كان عايز يسألك عن البيت يا بابا

رشف (جابر) من القهوة واسترخى في مقعده قائلًا:

- طب ما يسأل، هو أنا مانعه من الكلام؟

ابتلع (عبد الرحمن) ريقه وقال بأدب:

- كنت عايز أسأل حضرتك على البيت زي ما قال (سليمان) باشا .. تعرف إيه عنه؟

- عن (سليمان)؟

- لا .. أقصد البيت

ابتسم (جابر) وهو يقول:

- إنت عايز تعرف إيه عن البيت؟، لأن مش كل اللي أعرفه هقولهولك

- إيه حكاية الجثث اللي ظهرت قدام البيت؟

- البيت ده ليه حكايتين، الحكاية الأولى إن (جمال عبد الناصر) لما مسك البلد كان شاب، ومتحمس، والشباب ممكن يعملوا أي حاجة علشان يوصلوا لهدفهم، كان نفسه مصر بين يوم وليلة تبقى دولة عظمى، حولها من دولة زراعية لصناعية، اشترى سلاح من الانجليز والأمريكان، لكنه فشل، بس الحماس غلبه ورجع يحاول تاني لحد ما جه الاتحاد السوفيتي واستغل حماسه .. يديله السلاح اللي يحبه مقابل شوية حاجات صغيرة تبان مالهاش لازمة، لكن لو جمعتها جنب بعض هتتخض، هتعرف إن (جمال) إتنازل عن حاجات كتير للروس مقابل السلاح

- وإيه دخل البيت بالكلام ده؟

قالها (عبد الرحمن) وهو يقرب قدح القهوة من شفتيه فقال (جابر):

- يمكن مالوش دخل دلوقت، بس أحب أقولك إن حكومة (جمال عبد الناصر) كانت عايزة البيت ده من (أبو خطوة) صاحبه، ومن بعديه

حكومة (السادات)، لحد ما كل حاجة خلصت وقدرت إني أوقف الموضوع ده سنة 1981

– أنا آسف .. لكن ما فهمتش حاجة

– مش لازم تفهم

بدأ الضيق يتكون على قسمات وجه (عبد الرحمن) وهو يحاول السيطرة على انفعاله، قال (جابر):

– الحكاية التانية هي اللي تخصك، اللي حصل سنة 1993 كان غلطة كبيرة، ما كانش لازم تحصل من الأساس، البيت انقتل فيه ناس كتير وده عمل تنشيط جديد ليه، بعد كده ظهر أربع أشخاص قدام البيت، كلهم ميتين بطريقة طبيعية جدًا، وزي ما (سليمان) حكالك عن موضوع الشيخوخة

– حكالي يا دكتور، بس أقدر أعرف حضرتك اكتشفت إيه من خلال الجثث دي؟

نهض (جابر) من مقعده وهو يضع قدح القهوة على المنضدة قائلًا:

– سيبك من اللي اكتشفته وتعالى ورايا، هاته يا (سليمان) في الأوضة بتاعتي، (عبده) بقى مننا وعلينا

على إحدى حوائط القاعة تراصت بضعة أبواب لخزائن ملابس زخرفت بالأرابيسك والمشغولات، فتح (جابر) إحداها ثم خطا لداخلها، وضع (عبد

الرحمن) قدحه هو الآخر على المنضدة ونظر لسليمان متسائلًا فقال هذا الأخير:

– دي أوضة ملحقة بالقاعة دي، بابا بيعمل فيها جزء من شغله بقاله كام سنة، يللا بينا

نهض (سليمان) واتجه لباب الخزانة المفتوح وخلفه (عبد الرحمن) يسير متوجسًا، رأى ممر قصير يفضي لباب في نهايته عليه نفس الزخارف الخشبية وقد تركه (جابر) مفتوح بعد دخوله منه منذ قليل، دخله (سليمان) وبعده (عبد الرحمن) ليجد غرفة ذات مساحة عادية كغرف شقته، لكن حوائطها امتلأت برفوف خشبية معلقة وضعت عليها عشرات الملفات الورقية مختلفة الأحجام، ملفات لا تظهر ما بداخلها ولكن يبدو من ضخامتها امتلائها بالأوراق على ما لاحظه (عبد الرحمن).

وسط القاعة وضعت منضدة طويلة تراصت عليها بضعة ملفات أخرى مغلقة، بجانب المنضدة وضعت لوحة بيضاء مربعة على مسند حديدي، لوحة من التي تستخدم للكتابة عليها بالأقلام الفلوماستر في المدارس الخاصة، لكن تم تثبيت أربعة صور فوتوغرافية بمقاس كبير عن طريق مغناطيس صغير ملون، كل صورة تحتوي على وجه لرجل عجوز مغمض العينين.

– دي صور للأربع جثث يا سيدي

قالها (جابر) وهو يقف بجانب اللوحة ويشير ناحية الصور وهو يكمل كلماته:

- أكيد انت عارف إن برامج التعرف على الوجوه اللي في البوليس المصري على قدها جدًا وصعب جدًا توصل للمدنيين العاديين اللي مالهمش ملفات جرايم، والتجاعيد اللي على الوشوش دي خلت من المستحيل تكون صورة بحث تعمل مطابقة مظبوطة للصور، يعني لما كنا بنحط الصور على الكومبيوتر كان بيطلع آلاف الاحتمالات للمطابقة

اقترب (عبد الرحمن) من اللوحة ودقق بعينيه في الصور وهو يقول:

- تفتكر إيه اللي يخلي واحد عجوز يدخل بيت (أبو خطوة)؟

اقترب (جابر) من اللوحة أكثر ليقف بجانب (عبد الرحمن) وهو يقول:

- سؤالك غلط، المفروض تسأل إيه اللي خلاهم يخرجوا برا البيت ويموتوا قدامه؟

نظر (عبد الرحمن) له مستفسرًا فقال (سليمان):

- فيه جثتين منهم شافهم شهود عيان وهما خارجين من البيت خايفين وبيبصوا حواليهم، كانوا بيحاولوا يجروا لكنهم ما بعدوش عن البيت كتير، كام متر ووقعوا ميتيين، برغم إن كل جثة فيهم ظهرت في فترة زمنية بعيدة عن التانية وبرغم إن شهود العيان مختلفين إلا إن وصفهم لخوفهم كان واحد، كأنهم بيهربوا من حاجة جوا البيت

أشار (جابر) بيديه للصور من اليمين لليسار بالترتيب وهو يقول:

- جثة رقم 1 ظهرت في 1998 ، جثة رقم 2 ظهرت سنة 2000، جثة رقم 3 ظهرت في 2004، جثة رقم 4 ظهرت سنة 2004 برضه

- (سليمان) باشا كان قاللي إن فيه جثث ظهرت قبل التواريخ دي من زمان، وإن حضرتك اللي تعرف كل حاجة عنها.

- مالكش دعوة، اللي ظهروا قبل التواريخ دي كنا عارفينهم، ودي حاجات ليها علاقة بالحكاية الأولى للبيت اللي ما تخصكش في حاجة، إنما الجثث دي ليها دعوة بحكايتك.

كان صوت (جابر) حازمًا وهو يقول العبارة السابقة، بل حملت نبرة صوته بعض الغضب أو هكذا خيل لعبد الرحمن، مرت لحظة صمت سار بعدها (جابر) ناحية المنضدة وأمسك أحد الملفات وهو يقول:

- الجثث دي مفيش شيء يربط بينها، إلا موضوع الموت بالشيخوخة، وإن ما معاهمش تحقيق شخصية واضح.

- تقصد إيه حضرتك؟

- فيه جثتين كان معاهم أوراق قديمة وتحقيق شخصية لكنه كانت الأوراق ممسوحة ومتقطعة هي وتحقيق الشخصية، مستحيل كنا نعرف حاجة منهم، حتى الملابس بتاعتهم كانت قديمة ومتقطعة كأنهم متشردين

- مش يمكن كانوا متشردين ودخلوا البيت يباتوا فيه؟

هنا تناول (جابر) أحد الملفات الموضوعة على المنضدة وفتحه وهو يقلب في أوراقه ويقول بدون أن ينظر لعبد الرحمن:

- الجثتين اللي بنحكي عنهم لابسين ساعات يد أصلية، هي اتبهدلت لكنها أصلية فعلًا، بص بنفسك على شكل جثة فيهم

قال (جابر) عبارته ثم سحب صورة فوتوغرافية ملونة من الملف ورفعها أمام عين (عبد الرحمن)، كانت الصورة لرجل عجوز تساقط شعر رأسه وظهر القميص الأبيض باليًا قديمًا برغم نظافته، كما كان حال سرواله أسود اللون الذي تمزق في أكثر من موضع، كان الرجل يرقد على فراش مستشفى.

– دي الجثة رقم 2، زي ما إنت شايف الصورة مش ملقوطة قدام البيت، لأن أهالي المنطقة افتكروا صاحب الجثة لسه عايش ونقلوه لمستشفى القناطر الخيري المركزي، الراجل ده الوحيد اللي شهود عيان سمعوه بيصرخ قبل ما يموت ويقول جملة واحدة أكتر من مرة .. كان بيقول (كنت عارف إني أستحق ده)

أعاد (جابر) الصورة مرة أخرى للملف، لكن (عبد الرحمن) قال فجأة:

– وبصماتهم وصلت التحقيقات لحاجة؟

نظر (جابر) و(سليمان) لبعضهما البعض في نفس الوقت، ثم ابتسم (جابر) وقال:

– البصمات كان طريقها مسدود هي كمان، ما وصلتناش لحاجة

وضع (جابر) الملف في موضعه السابق وهو يقول:

– دول ظهروا قدام البيت وكانوا بيموتوا، تعالى بقى نتكلم على اللي ظهروا وعاشوا .. بنتك (صفاء)، و(جعفر)

– (جعفر)؟؟

– احكيله يا (سليمان) عن اللي وصلتله



تنحنح (سليمان) ثم قال:

- شاب اسمه (جعفر) ظهر قدام البيت من حوالي سنتين، كان لبسه متبهدل وماشي يقول كلام غريب، الشاب ده دخل مصحة نفسية فترة وخرج بعد حادثة بنت حضرتك (صفاء)، اتصل بيها وقابلها النهاردة، وبشوية بحث عرفنا إنه كان مرتبط بيها قبل ما يظهر قدام البيت

- إنتوا بتراقبوا بنتي؟

قالها (عبد الرحمن) بغضب فرد (جابر):

- إهدى يا ابني، (سليمان) كان مكلف ظابط صاحبه يكمل تحريات على (جعفر) بعد ما خرج من المصحة، والتحريات كان منها مراقبة (جعفر)، ومن هنا عرفنا علاقته بيها عن طريق الجارسون في الكافية اللي كانوا بيتقابلوا فيه.

لم يتكلم (عبد الرحمن) لكنه واصل التطلع لوجه (سليمان) بحقد ظهر على عينيه، قال (سليمان) له:

- ما تحاولش تعرف (صفاء) إنك عرفت حاجة لأنها لسه في حالة صدمة من اللي شافته في البيت، ومحدش يعرف اللي شافته إلا هي، سيبها لحد ما تحكيلك لوحدها الأيام الجاية.

- شيل المراقبة من على بنتي.

قالها (عبد الرحمن) بنبرات بطيئة وهو يضغط على حروف كلماته، هنا قال (جابر):

– يا ابني محدش بيراقبها، اللي بيراقب هو (جعفر)، المهم إنك تهدى وتعامل بنتك بشكل طبيعي لحد ما تفتكر كل حاجة، وخصوصًا إنها اتخانقت مع (جعفر) في المقابلة النهاردة وما نعرفش السبب، لازم تسيبها تثق فيك يا ابني .. فاهمني؟

مرت فترة من الصمت و(عبد الرحمن) يغير اتجاه نظراته من (سليمان) إلى (جابر) الذي نظر لعبد الرحمن بهدوء، حتى قال هذا الأخير:

– أنا هسمع كلامك، لكن مش هصبر كتير علشان أعرف إيه حكاية (جعفر) ده

– أنا لما أجمع الخيوط الخاصة بجعفر هبعتلك (سليمان) يبلغك بكل التطورات

– وأنا هثق فيك وهستنى (سليمان)

– المهم إنك تسيب (صفاء) تتحرك براحتها علشان تثق فيك، ولو حكيت ليك أي حاجة تعرفنا علشان نفضل متابعين .. دلوقت يا ابني (سليمان) هياخدك يروحك لبيتك، بس إوعى تنسى، سيبها لحد ما تثق فيك...

لم يتكلم (عبد الرحمن) وهو يغادر الغرفة ويسير في الممر حتى بدون أن يلقي السلام على (جابر)، جرى (سليمان) ليلحق به بينما فتح (جابر) الملف الذي كان قد فتحه منذ قليل ونظر فيه وهو يقول بسخرية:

– تثق فيك .. دي (صفاء) راجعة البيت تاني يا (عبده)، وهتكشف كل حاجة.

***



الفصل الثالث

أفكار مجنونة



2007/12/13

أنا الراوي لتلك القصة، وكي يعرف الجميع ماذا يدور هنا فيجب علي أن أتكلم بدقة أكثر، اسمي (حسام عبد الوهاب) وهذا الجالس على المكتب يكتب بعض الأوراق ويرتبها هو (أحمد عصفور) مدير الإنتاج في شركتنا.

أما الرجل الذي يجلس على المقعد الجلدي وهو يهز قدمه فهو (عمرو صلاح) أحد المصورين التلفزيونيين من داخل الشركة.

وهذا الذي أخرج شطيرة جبن من حقيبته التي يحملها وأخذ يلتهمها هو (راضي محمد إسماعيل) الذي يعمل مونتير ومتخصص في الخدع الرقمية في مجال المونتاج، اسمه (راضي) وهو راضٍ فعلًا عن حياته.

أما الآن فنحن نجلس داخل إحدى الغرف في شركة (أحمد فكري للإنتاج الفني) وهي غرفة مهملة من قبل الشركة حيث لا يجلس بها أحد إلا فريقنا نحن، الغرفة هي ملجأنا الدائم نجلس بها طوال اليوم عندما لا نجد عملًا جديًا نفعله، غرفة واسعة نسبيًا بها مكتب وبعض المقاعد الجلدية ودولاب أوراق ومنضدة كومبيوتر وضع عليها -بالمصادفة- كومبيوتر متصل بالإنترنت من خلال شبكة الشركة.

أما ما نجلس فيه فهي شقة واسعة داخل وسط البلد وهي إحدى المقرات الغير هامة للشركة حيث تحتوي على الأعمال الإدارية والحسابية لشركتنا وقليلًا ما تجد أحد فرق العمل يحضر هنا إلا لو كنا في أول الشهر لاستلام مرتباتهم.



لو تحدثت عن نشاط الشركة فيمكنني أن أخفي بعض تفاصيلها ولكن سأفرج لك عن بعض التفاصيل الغير هامة مثل أنها اشتهرت بإنتاج مجموعة أفلام جيدة في السنوات السابقة كما أنها تقوم بالاشتراك مع شركات أخرى في إنتاج بعض البرامج والتي تباع للقنوات الفضائية.

نسيت أن أقول ما هي مهنتي في تلك الشركة، أنا أعمل معد برامج منذ عام .. نعم معد برامج ولمن لا يعرف مهنته فهو الشخص المكلف بإيجاد فكرة للبرنامج منذ البداية وتجهيز الحلقة والمعلومات والتنسيق مع الضيوف وفي بعض الأحيان يحدد بعض أماكن التصوير في التصوير الخارجي.

هي مهنة مطاطة جدًا فهناك معدين برامج لا يفعلون شيئًا تقريبًا كل حلقة من البرنامج ويتم وضع أسمائهم كنوع من المصالح الشخصية، ومعدين آخرين يقومون بكل شيء في البرنامج من الألف إلى الياء ولا توضع أسمائهم على برامجهم.

وأيضًا هي مهنة قليلة القواعد فيمكنك أن تجد كاتب صحفي معد برامج أو محاسب أو حتى مدرب البالية يمكنه أن يعمل معدًا للبرامج طالما هناك أصدقاء ومعارف.

كما اشتهرت تلك المهنة في بعض الأحيان بالنصب والاحتيال حيث انتشرت في فترة ما عن معدين برامج المسابقات الذين يتقاسمون المبالغ المالية مع المتسابقين الذين يفوزون في تلك البرامج وذلك من خلال تدريبهم على الأسئلة قبل الحلقة، هي مهنة مطاطة كما قلت سابقًا لذا فستجد بها الصالح والطالح وستجد بها الذكي والغبي والعاقل و ... المجنون مثلي، يقولون عني مجنون!!!

وما المشكلة هل ذلك لأفكاري الغريبة أم لخيالي الجامح؟ عملت بتلك الشركة منذ عام كمعد برامج تحت التدريب وعملت كثيرًا بطريقة مضحكة فكنت آتي كل يوم لمقر التصوير بدون أن أعرف ما هو نوع البرنامج الذي نقوم بتصويره، وعلي أن أقدم إعداد البرنامج قبل تصويره بنصف ساعة.

بالطبع كانت نوعية البرامج التي عملت بها في فريق الإعداد ليست تلك التي حلمت بها، لم أت لأعمل معد برامج كي أشارك في برنامج يظهر فيها رجل جالس يرتدي بدلة خضراء ويقول بكل وقار أن مصر جميلة رغم أنف الحاقدين .. ثم تتغير نبرته وتتصاعد في غضب وهو يسب ويلعن حزب أعداء النجاح وأعداء الوطن والحكومة.

ومن المضحك أن هذا الرجل في حقيقته يأتي لموقع التصوير بدون أن يعرف هو أيضًا عن ماذا سيتكلم ويجلس بجانبي ويطلب مني أن أكتب له إعداد لحلقة يتكلم فيها عن أهمية دور الحكومة في حل أزمة ارتفاع سعر حب العزيز في الآونة الأخيرة.

ويمكن أن نشكر مجهودات وزارة الداخلية في توفير حب العزيز لمحدودي الدخل، طبعًا لا ننسى مهاجمة الحكومة والداخلية في نفس الوقت على اهتمامهم بمشاكل حب العزيز وتأخرهم في حل أزمة عدم تواجد صوابع زينب بالأسواق .. للنفاق أصول قبل كل شيء.

كوكتيل جميل لو حاولت خرقه لطردت منذ أول يوم عمل هنا، وبالطبع كنت أنا الذي أكتب له مواضيع الإنشاء الطويلة التي يرغب بها وفي النهاية توضع على تترات البرنامج أسماء لامعة لفريق إعداد برامج كبير واسمي لا



يذكر في الغالب .. بل المضحك أن أحدهم أخطأ مرة وأنزل اسمي في التترات ولكنه وضعه مكان اسم (عامل بوفية) مما جعل عامل البوفية يثور ويتهمني بالتواطأ مع رجال المونتاج!!!!!

المهم أنني صبرت محاولًا إثبات نفسي ومتحملًا برامج كثيرة منها الكوميدي التافه والثقافي الأتفه والترفيهي المضحك والكثير من البرامج التي عملت بها كالترزي الذي يقوم بتضييق القمصان أو السراويل والملابس الداخلية للزبائن كي تناسبهم...

والآن حان الوقت لإثبات نفسي وقد جهزت إعداد برنامجي الذي حلمت به منذ كنت في الكلية عندما كان يحدثني أحد أصدقائي في الحي الذي عشت فيه قديمًا – قبل أن أنتقل مع عائلتي – يحدثني عن الجن والعفاريت والخوارق بأنواعها، يجمعنا في بعض الليال ويقص علينا ما قرأه أو سمعه من قصص العفاريت، اشتعلت الجذوة منذ هذا الوقت وحلمت ببرنامج الأول من نوعه .. (التعويذة).

(أحمد عصفور) مدير الانتاج شجعني أخيرًا على تنفيذ فكرتي، وهو صديق قديم طويل القامة ذو جسد رياضي يذكرك بممارسي كمال الأجسام، ملامحه حادة جدًا بالرغم من طيبة قلبه فإن ملامحه تخدع من يعرفه لأول مرة حيث تدب فيه بعض الخوف والحذر في التعامل معه.

دخل الشركة مجرد محاسب وتدرج بها بأفكاره ليصير مدير إنتاج قطاع البرامج في فترة قليلة جدًا، أما ما يفعله الآن فهو مراجعة أوراق الطلب الذي سيتقدم به للإدارة الرئيسية عن برنامجي الذي حلمت به منذ زمن .. وقد تحمس له (أحمد) وكتب طلب للإدارة لوضع البرنامج في خطتها

الإنتاجية الأيام القادمة وأرفق بالطلب نسخة من الإعداد المبدأي للبرنامج، ولأن الصداقة توفر لك بعد الأعمال فقد رشحنياناو(راضي) للعمل داخل الشركة حيث كنا أصدقاء منذ سنوات برغم فارق السن بينه وبيننا، وعندما رشحنا للعمل دخلت أنا قسم إعداد البرامج وطلب (راضي) الدخول لغرفة المونتاج حيث كان مولعًا بتلك البرامج والأجهزة التي كان يحلم بها قبل عمله بالشركة.

تفوق (راضي) في تلك السنة وتعلم الكثير من أسرار الخدع الرقمية على البرامج الخاصة بغرفة إنتاج الشركة بل وقام بعمل معجزات أمام خبراء المونتاج ولكن كل ما قالوه أنه مازال صغيرًا ولم يكتسب الخبرة بعد.

وبرغم أن جميع من تعامل مع (راضي) قد انبهروا بتعامله مع أجهزة المونتاج وبرامجها ومعرفته أدق الأسرار والخدع بها إلا أن الجميع يعرف أنه لا يكلف بأعمال مونتاج هامة أو يكلف ببرنامج كبقية زملائه بل عمله يعتبر تكميلي يقوم به أي مبتدئ، وهذا ما جعله يحلم بأن يثبت نجاحه في عالم المونتاج والخدع الرقمية بأي طريقة مما جعله ينضم لفريقنا كي يكون هو المسؤول الأول عن مونتاج وإضافة المؤثرات لبرنامج (التعويذة).

بغض النظر عن شاربه الضخم الذي يربيه ليخفي ملامحه الطفولية فقد كان مظهره يعطيك شعورًا بأنه طيب القلب .. لو أضفنا الشارب سنجد أنه يعطيك شعورًا بأنه مخبر طيب القلب، وإن كنت لم أقابل بعد مخبر تخرج من كلية الهندسة قسم الاتصالات منذ عام، نعم فراضي برغم حبه في الهندسة، إلا أنه يذوب عشقًا ببرامج المونتاج.

خرج (أحمد) من الغرفة بعدما نظر إلى ساعته وهو يتأكد من الوقت الذي حدده مع المدير، جلست أمام الكومبيوتر أتصفح بعض المجموعات على الفيس بوك فسمعت صوت (عمرو) يقول بملل:

- بس يا (حسام) اسم البرنامج أكلشيه أوي

رددت عليه بنوع من عدم الاهتمام:

- عارف بس أنا ما كنتش فايق أختار أسماء تانية

- يعني كنت تسميه مثلًا حاجة تبع العفاريت أو الأرواح .. يعني حاجة كده فيها رعب

نظرت له هذه المرة وأنا أقول ساخرًا:

- ناقص تقولي سميه (الرعب المميت) أو (الشرير وأنا) ولا تحب أسميه (أرواح وأشباح) .. الأسماء دي راحت عليها خلاص وكلها ما بتدلش على اللي عايز أقدمه في البرنامج، اسم التعويذة هو أقرب اسم للبرنامج

- ليه يعني؟

- علشان فكرة البرنامج هتقوم على إننا نقضي الحلقة كلها في مكان فيه لغز بجد أو جنب حد بيحصله حاجات غريبة، يعني مقبرة بيسمعوا حواليها أصوات، واحد بيقولوا انه ملبوس من الجن وبيختفي، شقة اتقتل فيها حد والناس بتحكي عنها، كل حكاية من دول عبارة عن لغز احنا بندور على حل ليه يعني عبارة عن تعويذة أو طلسم مش مفهوم واحنا هنحاول نفكه



– بس فيه فيلم عربي اسمه (التعويذة)

إحم .. من أخبره بهذه المعلومة

– هو كل شوية واحد هيقولي على الفيلم ده، خلاص كلكم بقيتوا نقاد، ثم هي هبت معايا بقى ومش هغير الاسم ده، لو عندك حاجة أحسن إبقى قولها

(عمرو صلاح) هذا أحد أعز الأصدقاء الذين تعرفت عليهم في الشركة، مصور ذكي، طموح، طيب، يمتلك موهبة في التصوير بحق ولكنها مهملة أيضًا، برغم أنه قام بتصوير عشرات البرامج الغريبة تحت ضغوط صعبة إلا أنه يريد أن يحقق رؤيته الخاصة ليحقق حلمه في مجال السينما.

مجنون آخر ينضم لفريقنا يريد أن يحقق حلمه الشخصي وعلى رأس هؤلاء المجانين (أحمد عصفور) الذي يحلم هو الآخر بشركة إنتاج فني ولكن ليست كأي شركة بل هو يحلم بالإنتاج في (هوليود) ذاتها وهو حلم برغم مظهره المضحك إلا أن إصرار (أحمد) عليه وتلك النظرة التي طالما تراها في عينيه والتي تقول أنه سيحقق ما يتمنى كل هذا هو ما يجعلك تصدق أن هذا الرجل يمتلك من الإصرار ما يكفي لتحقيق حلمه.

عندما خطرت لعقلي فكرة البرنامج كانت نتيجة بحث على خارطة البرامج الحالية في الإعلام العربي، لو اخترت البرامج السياسية حاليًا فأنا مجنون، سأحتاج لميزانية خيالية لإنتاج الحلقات وهذا هو ما سترفضه الشركة.



بالرغم من أن الميزانيات في الغالب أرقامها لا تصرف بالكامل في البرامج حيث تجد بعض الإكراميات والسرقات إلا أنه في النهاية سيتطلب الأمر فريق عمل ضخم ومقدم هام وأفكار جديدة وقبل كل هذا لن توافق الشركة على فكرة معد برامج صغير مثلي.

وبالطبع لن أكون من فريق الإعداد الرئيسي حتى، وحتى إن حدث هذا من الصعب أن ينافس البرنامج برامج أخرى هامة وخصوصًا أنه سيكون حلقات مسجلة، وكذلك البرامج الترفيهية والكوميدية أنا بكل حق لست متفوقًا في إعدادها.

أستطيع أن اضحك من يشاهدها لكنها ستكون معادة ولن تقدم جديد ولن تحدث ضجة كما أحلم، وكذلك البرامج الاجتماعية وباقي أنواع العروض، هناك نوعية من البرامج في العالم العربي مهملة وهي برامج الغرائب، لا ليست تلك البرامج التي تتحدث عمن يأكلون الفحم ويسيرون على النار ومن يقول أنه متزوج من بنت ملك الجان الأحمر، ولا أيضًا برامج الغرائب التي تتحدث عن الفيل الذي يلعب التنس والقطة التي تمارس المصارعة اليابانية والفأر الذي يدخن البانجو.

أتحدث عن العالم المقابل لعالمنا، عالم لم نره ولكننا نرى نتائجه، العالم الذي يدخل الجان والعفاريت والأرواح والموت والسحر في تكوينه، حتى عندما حاولت بعض القنوات أن تتناول هذا العالم تناولت جانب الجن فقط وأصبحت برامج متخصصة في العلاج القرآني وفك الأعمال والدجل وهكذا، تلك البرامج تقدم الجان بأشكال مضحكة على أنهم متخصصين

في مهاجمة البشر وإذلالهم، وتقدم البشر على أنهم سوبر مان الذي يمكنه بعض كلمات أن يقتل الجان ويحرقه بسهولة.

وهناك برامج حاولت أن تتخذ الطابع الأوروبي وتتكلم عن مصاص الدماء الذي يعيش في مصر والمذؤوب الذي يعمل سائق ميكروباص بأول فيصل، وساحر من الكاريبي يأتي لمقابر (الغفير) ليوقظ الموتى برامج تقلد الرعب الأوروبي بشكل فج، في حين أنك لو تجرأت وفتحت إحدى مقابر (الغفير) لكي توقظ الموتى ففي الغالب ستجد (الغفير) بنفسه يظهر لك ليعطيك سيجارة حشيش، وبعد النفس الرابع سترى الموتى يستيقظون ذاتيًا بلا سحر أو شعوذة.

وربما رأيتهم يرقصون عشرة بلدي ويغنون الأغاني الشعبية لو أحببت، المقاييس الأوربية تختلف عن العربية والمصرية.

المهم أن تلك البرامج تحولت لأبواق دعائية لنوعية معينة من المعالجين الذين يجرون وراء الشهرة أو المال أو السلطة، أما عن وجود برامج تناقش ظواهر حقيقية بعيدًا عن الأساطير ومصاصين الدماء والمتحولين فنسبة وجود تلك البرامج هي صفر.

نشأت فكرة البرنامج من وجود ظاهرة حقيقية سيدخل فريق العمل داخلها ويعرضها ويحلل جوانبها فمن قال أن هناك طفل يتحول لقط ليلًا نذهب نحن لنقض معه الليل ونصوره جيدًا ونحلل تعبيراته حتى يتم رصد الظاهرة بحق، لو تحول لقط فأهلًا به ولو لم يتحول لقط فسيتم متابعته لعدة ليالٍ أخرى وبالطبع لو ظل هكذا فسيتم إعلان كذب هذا الشخص وانتهاء الظاهرة التي صنعها حوله.



المشكلة أن البرنامج يحتاج لمعدات مثل مجموعة كاميرات تصوير منها كاميرا (كيريليان) لقياس الانبعاثات الحرارية والكهربية لجسد الشخص، وكاميرا للتصوير بالأشعة تحت الحمراء، ومعدات أخرى مثل أجهزة صوت معينة لرصد الظاهرة سواء كانت في منزل أم في أماكن مفتوحة وفريق متخصص على تلك الأجهزة.

وبعد فقرة الظاهرة يتم عمل لقاء مع طبيب نفسي ليقول رأيه فيما يرى من ظواهر من وجهة نظر الطب النفسي ولقاء مع دكتور في علم الأساطير وهذا من السهل الوصول له من خلال أقسام الفلسفة في الجامعات المصرية ليحلل الظاهرة اجتماعيًا ومن وجهة نظر فلسفية وعلمية، فهناك علوم خاصة بالأساطير في أقسام الفلسفة وليس (ما وراء الطبيعة) لأن (ما وراء الطبيعة) لا تناقش العفاريت والظواهر الغريبة بل هي مبحث من مباحث الفلسفة يختص بنشأة الكون وطبيعة الوجود والزمان والمكان والعلة والسببية والاحتمالات.

الفكرة تحتاج لفريق عمل كبير ولكن لم يتحمس للفكرة أحد من فرق التصوير أو المونتاج أو أي شخص سوى من يجلسون بتلك الغرفة، وكان (أحمد عصفور) أشدنا تحمسًا لها وهو من وعد بعرض الفكرة كاملة على مدير الشركة بنفسه وإقناعه بها، وبالتأكيد عندما يوافق مدير الشركة فسيتعاون معي الجميع وسينضم لنا العشرات ونطلب ميزانية محترمة ليظهر البرنامج بشكل ينافس البرامج العالمية.

مرت ساعة ونصف وكل واحد منا يفعل شيئًا ما في انتظار وصول (أحمد) كي يطمئنا على الموافقة على الطلب، والمريب أكثر أنه عندما يحاول أحدنا الاتصال على هاتفه المحمول فإنه لا يرد؟

هذا ما جعل الدقائق تمر علينا ببطء ونحن نموت خوفًا وقد نفذت شطائر (راضي) الذي وضع رأسه على المكتب وذهب في النوم ونحن نسمع من الحين للآخر صوته وهو يقولدة كتير، كتير أوي يا دعاءمن داخل عالم الأحلام، والغريبة أن (راضي) لا يعرف فتاة باسم (دعاء) في الغالب، ولكن في أحلامه يتفوه بعبارات مريبة مثلمش معايا فكة واللهاونزل الترجمة .. نزل الترجمة.

أما (عمرو) فقد أمسك بكتاب يتكلم عن السيناريو وأخذ يقرأ فيه، إنه الكتاب الذي أحضرته من أسبوع بجانب بعض الكتب لغرفتنا لنتعلم منهم بعض الأفكار الجديدة، أما أنا فقد أكملت بعض التعديلات والأفكار الخاصة بالحلقات على الكومبيوتر.

كانت الدقائق تمر حتى وجدنا باب الغرفة يفتح و (أحمد) يدخل علينا وعلى وجهه تعبير الغضب وفي يده اليسرى أوراق مطوية بشكل غير متناسق وهو يقبض عليها بغل وكأنه ينوي رميها في سلة القمامة

- خير؟

نظر (أحمد) لعمرو ليجيبه ولكنني سبقته قائلًا بهدوء:

- الموضوع إترفض، مش مشكلة

نظر لي (أحمد) لثوان بلا تعبير على وجهه ثم اتجه إلى المكتب ليجلس وراءه وهو يفك ربطة عنقه ويسترخي على المقعد ناظرًاالسقف الغرفة متجهمًا

– حد يلبس كده برضو يا (دعاء) واحنا مسافرين (بنها)؟

كانت العبارة الأخيرة من (راضي) الذي مازال يتكلم مع (دعاء) داخل الحلم وقد قرر على ما أرى أن يسافر معها (بنها) في إجازة، بينما تجمدت حركاتنا لمدة لا تقل عن دقيقة وكأن (أحمد) لم يدخل للغرفة من الأساس، ربما لأننا توقعنا أن يتم الرفض منذ البداية فلم نفاجأ بهذا الشكل، وكنت أنا في تلك اللحظة قد قررت بجدية أن أوقف العمل على البرنامج وأعود للانتباه مرة أخرى للبرامج التافهة.

ولكن (أحمد) تكلم بنبرة مفكرة وهو مازال ينظر إلى السقف:

– مشرف الإنتاج التقني يرفض، وكمان إدارة التسويق ترفض فكرة تسويق برنامج بالشكل دة، وأستاذ / أحمد فكري بنفسه يرفض ويقول عليها فكرة طفولية جدًا ومش هتحقق أي إثارة .. الكل بيقول عليك إنك مُعِدّ حمار وكمان مدير الإنتاج في الشركة هيحط عينه عليك الأيام الجاية علشان احتمال ينقلك من الإعداد وتروح أي قسم تاني أو ممكن تنطرد

– ليه كل دة هو أنا قدمت إعداد برنامج جنسي!!!!

قلت العبارة السابقة بعصبية وقد نهضت من مكاني ولكن (أحمد) قال وهو مازال ينظر إلى السقف:

- أنا اتكلمت كتير معاهم وطلبت منهم إن الميزانية تكون أقل ميزانية ممكنة لبرنامج أطفال حتى، قالولي إنهم مش هيخاطروا علشان فكرة عبيطة ويدفعوا فيها جنية واحد .. تفتكر للدرجة دي البرنامج دة وحش؟

قال (عمرو) هنا وهو يدافع بصدق عن البرنامج:

- لأ طبعًا أنا قريت الإعداد اللي معاك وعارف فكرة البرنامج وحافظها، الفكرة حلوة أوي ولو اتنفذت صح هتكسر الدنيا وهتعمل مبيعات عالية، إنت نفسك يا (أحمد) كنت معجب بالفكرة!!!!!

- ومين قالك إني مش معجب بيها لغاية دلوقت، بالعكس الفكرة دي لازم تتنفذ

هدأت ثورتي وتحولت إلى دهشة و(أحمد) يعتدل في مقعده وهو ينظر إلينا، وعينيه بدأت بالاشتعال حماسة وهو يقول:

- دي فرصة في إيدينا لو ضاعت ممكن ماتجيش ولا بعد مليون سنة، فرصة عمل بجد ممكن نعمله ونتنقل بيه درجات ويشرف سجلنا في أي شركة إنتاج وأي قناة فضائية، إحنا لازم ننفذ العمل دة ولو لوحدنا ونثبت للشركة إننا مش حبة عيال مجانين

جلست أنا على مقعدي مرة أخرى وأنا أنظر للأرض متخيلًا كلمات (أحمد) و(عمرو) يسأل عن كيفية تنفيذ البرنامج بدون ميزانية ومعدات؟؟؟

- إحنا هنصور أول حلقة بس ومن أول حلقة هنقدر نثبت للشركة إن فكرة البرنامج تستحق، وإنه هيكسر الدنيا، وأنا ممكن أبيعه لأي قناة



وأخليها تدينا تمويل كمان، بس المهم أول حلقة تتنفذ ويكون فيه تتر مقدمة للبرنامج وتتر نهاية للبرنامج وكأنه جاهز على العرض فعلًا

فكرة مجنونة فعلًا ويمكن أن تؤدي بنا جميعًا إلى الطرد من الشركة، ولكن الرهان يستحق تلك المرة فهذا هو مستقبلنا.

– أنا كل اللي معايا الأيام دي حوالي 400 جنية علشان آخر الشهر، ودول كل الميزانية اللي في إيدينا حاليًا

قالها (أحمد) فبادرته قائلًا:

– وأنا أقدر أتصرفلك في 400 جنية برضو وبكده يبقى معانا 800 جنية كميزانية أول حلقة

– 200 جنية

قال (عمرو) العبارة السابقة فنظرنا له ولكنه أكمل:

– هدفع 200 جنية بس وبكده الرقم بقى 1000 جنية

نظرنا لراضي النائم في العسل كما هو وقلت أنا:

– و(راضي) كمان هيدفع 200 جنية بس بعد ما يرجع من (بنها) مع (دعاء)

– يبقى معانا 1200 جنية علشان نصور بيهم أول حلقة وتترات البرنامج وكام إعلان ليه

ولكن فجاة أطرق (أحمد) رأسه للأرض قليلًا وهو يقول كانه تذكر شيئًا:

– الحلقة الأولى يا (حسام) كانت إيه؟

– إنت نسيت ولا إيه؟ ماهو الإعداد جنبك أهو

– أيوة بس أنا عارف إن أول حلقة في اسكندرية، وهنحتاج تصاريح للتصوير هناك في المكان اللي إنت عايزه وطبعا التصاريح دي مش هتطلع إلا بعلم الإدارة، لازم تغير أول حلقة وتختار مكان مش محتاج تصاريح أو ممكن يخلينا نقابل ناس كتيرة، من الآخر مش عايزين مشاكل لغاية ما نخلص أول حلقة ونعملها المونتاج

أخذت أفكر قليلًا حتى قلت لهم:

– الليلة نتقابل عندي في البيت عقبال ما أكون أنا عرفت أوصل لحل علشان الحلقة الأولى .. وهناك نتفق على كل حاجة، ها موافقين؟

وافق الكل بإيماءة من رأسه فمددت يدي أهز جسد (راضي) النائم حتى استيقظ مفزوعًا فقلت له:

– ها موافق إنت كمان؟

– على إيه؟!!!!

– على بركة الله يبقى نتقابل الليلة زي مااتفقنا

– ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

- وانت كمل نومك مع (دعاء) ولما تصحى (عمرو) هيفهمك كل حاجة، بس خليك راجل كده معاها وماتخليهاش تلبس لبس مش قد كده وانتو رايحيين (بنها)

- ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

***

والدي نائم، إن الحظ يحالفني دائمًا، فأنا لا أتخيل أن أجلس أمام شاشة اللاب توب ولا يمطرني بالكلمات النارية والأصوات العالية التي تدور كلها حول أن ذلك الكومبيوتر سيفسد عقولنا وأننا سنعاني من التخلف العقلي بسببه، وكيف أن تلك الأشياء تتلف النظر والسمع والتذوق والشعور والغريزة وأنها من البدع التي حولتها لنا (أمريكا) كي تسيطر على عقول الشباب.

إنها عادة والدي دائمًا عندما يعود من العمل أن يأكل ثم ينام قليلًا ويستيقظ ليبحث عن أي مشاجرة، ولو لم يجد لافتعلها كي يهدأ قليلًا، لو شاهدني أنا أو أخي نشاهد التلفزيون يغلقه، ولو لم نكن نشاهده يفتحه ويطلب منا أن نشاهده معه، لو كنا نائمين أيقظنا ولو كنا مستيقظين لأمرنا بالنوم.

أعتقد أنه الفراغ الذي يسيطر عليه بعد عودته من عمله فهو يعمل حتى الثالثة في إحدى الشركات الخاصة ثم يعود للمنزل ليجد نفسه عند السابعة في فراغ كبير لا يعرف ما يفعله حتى ينام، لذلك فهو يحاول لفت انتباهنا لنجلس معه ونحدثه ونمثل جميعًا دور الأسرة السعيدة التي كنا نقرأ عنها في

الكتب عندما يأكلون على منضدة واحدة، ثم يستمعون للراديو جميعًا، وفي الليل يجلس الجميع ليتسامر.

يطلب هذا ونحن نرفضه بالطبع، فأخي قد أتم خطبته ويحتاج إلى تكوين نفسه وتجهيز حياته القادمة، مما يجعله منشغلًا بعمله، أما أنا فأريد تحقيق مستقبلي وذلك لن يأتي بالجلوس أمام التلفزيون لأشاهد المباراة وأتناول المكسرات ثم أتسامر معه وأنام.

لسنا في هذا العصر القديم الذي انتهى منذ ثلاثون عامًا بل نحن في عصر يقدر من يستغل كل ثانية في حياته لتحديد مستقبله، ولكن برغم كل هذا فأنا أعشق والدي فهو مثلي الأعلى، وأعشق أكثر طيبته فيكفي أن أطلب منه أي شيء ليظل لساعة كاملة يشوح بيديه ويلعنني ويلعن تلك اللحظة القذرة التي جئت فيها.

ثم أجد ما طلبته قد حضر في اليوم التالي بدون أن يتكلم وكأنه يخجل من إظهار حنانه لنا.

نسيت أن أقول أن أمي ربة منزل من طراز يجمع بين الثقافة والأصالة، فهي تجيد الإنجليزية والفرنسية وتقرأ بهما، ربما كان ذلك لعملها معيدة بجامعة القاهرة في شبابها ثم تركت العمل وتفرغت لتربيتي أنا وأخي، حنونة طيبة تعمل كحائط صد بيننا وبين ثورات والدنا علينا، وتمتلك عقلًا حكيمًا يجعلها تمتص غضبه دائمًا وتتحمله كلما ثارت ثورته.

عن ماذا كنت أتكلم! .. أه .. الحلقة الأولى .. تدور في الإسكندرية .. والثانية يتم تصويرها داخل قرية قريبة من المنوفية لرصد ظاهرة رجل يقول

عنه العامة أن له بركات وأنه يدخل في حالة من الروحانية فيختفي من أمامهم ..

اممممممممممم ما الحل ومعظم الحلقات الأولية الجاهزة الآن تدور في أماكن مفتوحة وتحتاج تصاريح أمنية، كنت الآن متصلًا بالإنترنت وقد فكرت في البحث عن ظاهرة جديدة يمكنني أن أصورها في الحلقة الأولى بلا مشاكل وبلا رقابة من كثير من الناس أو استخراج تصاريح أو الوقوع في مشاكل كثيرة.

ما هذا الشعور الذي يراود عقلي؟ نعاس لذيذ يهاجمني، أعرفه جيدًا فطالما هاجمني في كل وقت شعرت فيه بالمسؤولية، قبل المذاكرة عندما تقترب الامتحانات، قبل التفكير في مسائل مصيرية .. قبل أن أخبر أبي بمصيبة ارتكبتها، يهاجمني وأنا جالس دائمًا، ها هو يقترب أكثر، لا لن أستسلم كليًا له، ربما أغمض عيني قليلًا حتى يزول.

أغمضت جفوني واسترخيت على مقعد الصالون الضخم واللاب توب على قدمي، لا لن أستسلم له، رددت تلك العبارة كثيرًا، حتى شعرت بهجوم غريب من الأفكار والمشاهد الغير منطقية.

أعرف أن معظم عقلي واعٍ لكن جزء آخر منه يستقبل دفعات من الصور، ها أنا أرى نفسي طفلًا ألعب مع طفل آخر، يخبرني بشيءٍ ما عن القناطر الخيرية، أشعر بأن هذا الطفل صديقي، نعم كان صديقي عندما سكنت مع عائلتي في مكان قريب من القناطر الخيرية قبل أن ننتقل لنسكن في شقتنا الحالية بشبرا الخيمة.

لا أتذكر طفولتي هناك لكن هذا الطفل كان صديقي وأشعر بقربه مني، لا أميز حديثه لكن كلمات مثل منزل مسكون أسمعها، فجأة اختفى مشهد الطفل لأرى مشهدًا آخر، (راضي) صديقي يجري ناحيتي بالتصوير البطيء، يرتدي ملابس غريبة كأنه خرج من فيلم الناصر صلاح الدين، أمسك بملابسي وأخذ يهزني بقوة وهو يقول بنبرات خرجت بطيئة وعالية إجري يا (حوثام) اتعكشنا .. اتعكشنا .. اتعكشنا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

فتحت عيني مفزوعًا ورعشة تجتاح جسدي لثانية، رعشة كالكهرباء، تنفست بقوة وأنا أنظر حولي لأطمئن نفسي أنني انتهيت من تلك الخيالات والتخاريف، لماذا يناديني (راضي) بلثغة في حرف السين؟ وما هذه التخاريف التي أخرجها عقلي الباطن، هل شعرت بالخوف لهذه الدرجة من فضح أمر البرنامج عند إدارة الشركة؟

نظرت للاب توب أمامي مفكرًا في أحلامي عن منزلي القديم في طفولتي، مممممممم، أعتقد أن عقلي الباطن يحاول الخروج بحل لمشكلة الحلقة الأولى، لو قمت بالتصوير في مكان مشهور سيفتضح أمرنا بسهولة أثناء تسجيل الحلقة، هل أختار مكان بشبرا؟ لا ربما منعني الأهالي، لكن ما الضير إن بحثت عن مكان في المنطقة التي سكنتها قديمًا .. لقد سكنت في قرية بالقرب من القناطر الخيرية، من السهل الاختباء هناك بدون مشاكل، لا أعرف الكيفية لكني أشعر بأن ذلك ممكن، أعلم أنه من الخطأ الاعتماد على شعوري في هذا الموضوع لكنه شعور يلح عليّ.

فتحت متصفح الانترنت وأنا أفكر بشيء يمكن أن أبحث عنه على الانترنت، امممممم أتذكر أن هناك مشرحة قديمة في قرية روى أحدهم لي



أن هناك جثة لفتاة اتضح أثناء التشريح بأنها مازلت على قيد الحياة، لكنها ماتت من الصدمة عندما وجدت صدرها مشقوقًا، ومازالت تسير هائمة كل ليلة في المشرحة بصدرها المشقوق حتى أغلقت الحكومة المشرحة، لا الدخول لمبنى حكومي حتى لو مغلق فيه خطر، وخاصة أن تلك المشرحة تابعة لوحدة صحية مازلت تحت العمل .. من حكى لي تلك الحكاية؟؟ أه تذكرت، إنه نفس الطفل الذي شاهدته بحلمي، هذا الطفل لا أتذكر عنه إلا أنه كان رفيق دراستي في الابتدائي أو ربما الإعدادي .. لماذا لا أتذكره؟ المهم.

سأبحث عن شيء غريب متعلق بالقناطر الخيرية أو أي قرى قريبة منها، كتبت في مربع البحث على (google) بعض الكلمات خاصة بكلمات مثل منزل ومسكون والقناطر، توقعت أن تظهر لي بعض صفحات المنتديات لكن بدلًا منها ظهرت لي صفحات من جرائد مصرية تتحدث عن حادثة واحدة، فتحت إحدى الصفحات الخاصة بجريدة غير مشهورة فوجدت عنوان خبر يقول (فتاة في منزل أشباح)، أما المقالة نفسها كانت غريبة:

((قررت أن تخوض تجربة مثيرة في عالم الصحافة فأصبحت تلك التجربة هي الأولى والأخيرة بالنسبة لها، هذا ما قالته الصحفية الشابة (صفاء الباجوري) وهي داخل أحد الأقسام التابعة لمديرية أمن القليوبية حيث تم نقلها وهي في حالة هيستيرية بسيارة أحد القاطنين بمنطقة (الحادثة) القريبة من القناطر الخيرية بعد أن شاهدها أحد القاطنين بمنزل في تلك المنطقة وهي تجري بعد منتصف الليل والدماء تغطي رأسها وملابسها وهي تصرخ فقام بإدخالها لمنزله هو وزوجته حتى تهدأ ولكنهما

لم يفهما منها شيئًا فقام الرجل بنقلها إلى أقرب قسم شرطة ثم تم تحويلها للمستشفى للكشف عليها ومعرفة مصدر الدماء وهل تعرضت للاعتداء أو للسرقة من قبل لصوص، وبعد الكشف عليها تأكدت سلامتها وأن تلك الدماء التي تغطيها لا تخصها. وبعد أن هدأت حالتها تم تحويلها مرة أخرى لعمل محضر بالواقعة وقالت فيه أنها (صفاء عبد الرحمن عبد العزيز) تعمل صحفية تحت التمرين وسبب تواجدها في تلك المنطقة ليلًا أنها سمعت عن منزل تسكنه الأشباح وقررت أن تكتب مقالة عن هذا المنزل فذهبت لتصويره ولتقضي ليلة داخله، وأنها لا تتذكر ما حدث بعد ذلك سوى أنها خرجت تجري من المنزل، تم استدعاء صاحب العقار وسؤاله عن العقار لينفي تلك الإشاعة ويتعجب مما تقوله الصحفية، وبعد استخراج إذن من النيابة العامة بتفتيش العقار وجدت آله تصوير محطمة وبعض الشموع وكشاف كهربي مكسور وحقيبة يد (صفاء) وهذا ما أقلق صاحب العقار لأنه لم يكن هناك أي دلائل تشير إلى اقتحام أحدٌ ما للعقار وخاصة وهو يغلقه جيدًا تحسبًا للصوص، ولكنه لا يعلم كيف دخلت (صفاء) وخرجت والعقار مغلق كما هو، وهذا هو ما أكده جميع السكان القريبين من المنطقة حيث شاهدوا العقار مغلق كما هو ولم ينتبه له أحد، على عكس ما ظلت تؤكده (صفاء) من أنها وجدت بوابة المنزل مفتوحة لحظة دخولها. إن الأقوال متضاربة ولكن وجود آلات التصوير الديجيتال وحقيبة (صفاء) وكل ما وصفته أنها تركته داخل المنزل يؤكد على أنها كانت بالداخل بالفعل، أما بالنسبة لصاحب المنزل فقد تنازل عن حقه في أي قضية تتبع اقتحامها العقار، من كسر آلات التصوير داخل المنزل؟ ويا ترى ما هو الذي شاهدته (صفاء) ليجعلها تخرج وهي تحمل دماءًا على ملابسها بدون معرفة مصدر



الدماء؟ وما هي الأسرار التي تحيط بهذا المنزل الذي يتكلم عنه أهالي المنطقة، ستبقى إجابات الأسئلة داخل عقل (صفاء) ما بقى لها من العمر))

ابتسمت بعد أن انتهيت من القراءة، أنا أبتسم في الغالب عندما أشعر بفكرة جديدة، وفكرة ذلك المنزل تشعرني بذلك الفرح، يجب أن يتم تصوير أول حلقة في هذا المنزل وفعل ما كانت ستفعله (صفاء) بالضبط حيث سنقضي ليلة داخله .. ولكن

يجب أن أعرف تفاصيل أكثر عن المكان وعن تاريخه، ويجب علي الوصول إلى (صفاء) بنفسها ولكن كيف؟!!!!

غيرت موضعي في الجلوس لأبدأ رحلة البحث عن تلك الصحفية، فكرت قليلًا، هل هي صحفية مشهورة مثلًا؟ لو كانت تكتب في جرائد هامة سيظهر اسمها على محرك البحث فورًا، جربت الاسم على محرك البحث فظهرت نتائج كثيرة قديمة، دخلت لمعظمها ووجدتها تمضي في المنتديات باسمها (صفاء الباجوري) وبعض النتائج بتاريخ أقدم ظهرت باسم آخر غير الباجوري لا أعرف هل هو اسمها الحقيقي أم أنها صحفية أخرى.

في موقع (شباب قادم) التابع لمركز الثقافة البريطاني وجدت مقالة قديمة لها بالعربية عن أحلام الشباب في مصر ومقارنتهم بأحلام الشباب في المملكة المتحدة البريطانية، كان مقالًا سطحيًا في رأيي، ولم أستطع قراءة معظمه، ولكن الذي شدني فيه أنها تركت تحت اسمها عنوان بريدها الالكتروني الشخصي للمراسلة عليه.

نسخت العنوان وأرسلت لها رسالة من بريدي الالكتروني محتواها (السلام عليكم ورحمة الله يا استاذة/صفاء، كنت أتابع مقالاتك على

الانترنت قديمًا وفي بعض الجرائد الالكترونية ، وانشغلت للأسف عن متابعة ما تكتبين على الإنترنت بسبب سفري للسعودية للعمل بجريدة الرياض كمحرر، وعدت لمصر من شهر بعدما طلبني أحد أصدقائي لأكون مشاركًا في تأسيس جريدة سياسية سيصدر العدد (صفر) التجريبي لها بعد عشرة أيام ، اسم الجريدة (عين الشارع) وقد انتهى صديقي من إصدار ترخيص محلي لجريدة إعلانية منذ أسبوع من الضرائب، وتمت الموافقة أمنيًا على الجريدة، ونحن الآن في طور جمع فريق المحررين والصحفيين بالجريدة وتنظيم الصفحات، وأنا المسؤول عن صفحة (آخر أخبار الفن) وأعرض عليكِ الانضمام للصفحة مع فريقي المكون من أربعة أفراد فقط، وسبب اختياري لكِ أنك صحفية شابة لن تثقل الجريدة بالأعباء المادية فكل ما ستدفعه الجريدة لكِ في البداية 1000 جنية شهريًا + مصاريف الانتقال التي ستقدمينها في نهاية كل شهر، أتمنى قبولك للعمل مع فريقنا وانتظر اتصال منكِ على رقم 0101822343 في فترة لا تتخطى اليومان لأني سأكون مطالب بتقديم أسماء فريقي لرئاسة تحرير الجريدة، وإن رفضتِ لارتباطات خاصة أو لأنك تعملين بصحيفة أخرى فسأتفهم ... (حسام عبد الوهاب) جريدة عين الشارع.

بمجرد أن أتممت إرسال الرسالة ضحكت بصوتٍ عالٍ معلنًا انتصاري وعبقريتي في الكذب على الآخرين، حتى سمعت صوت أمي من المطبخ تقول بدهشة:

– بتضحك على إيه يا ابن الهبلة؟

– ولا حاجة يا حاجة، دا أنا افتكرت نكتة فجأة



- ربنا ما يحرمك من الهبل

نظرت للشاشة أمامي وأنا أفكر في هذا المنزل، وكيفية الوصول إليه، وفجأة .. دق جرس الباب فوضعت اللاب توب جانبًا وأنا أتجه إلى الباب لأفتحه ليدخل (أحمد) و(عمرو) و (راضي) إلى الصالون.

قلت بعد أن جلس الجميع باستفسار:

- إيه الأجهزة اللي هنحتاجها في الحلقة الأولى؟

بادرني (راضي) بسؤاله قائلًا:

- هو مين اللي هيقدم البرنامج أصلاً؟

- طبعًا إنت يا (راضي)، دة شيء مفروغ منه، المهم خلينا نكمل كلام

ارتسمت الدهشة على وجه (راضي) وهو يقول:

- وليه مش حد تاني؟

- أولًا علشان مش هينفع ندخل حد معانا في السر بتاعنا ده حاليًا، وثانيًا طالما مفيش مقدم للبرنامج فانت بروفايل وشك أقرب واحد فينا للكاميرا، طبعًا بعيدًا عن شنبك الغريب ده، إبقى فكرني أحلقهولك

- إيه يا جماعة هو أنا مليش رأي في الموضوع كله ولا إيه؟

- طب قول رأيك

بلع (راضي) ريقه وهو يحرك عينيه يمينًا ويسارًا ثم قال بعد تفكير:



– أنا اللي أقدم البرنامج علشان بروفايلي كويس على الكاميرا

صفقت بيدي وأنا أهنئه على تلك الفكرة ثم كدت أقول شيئًا ولكن (عمرو) قال:

– هنحتاج اتنين كاميرا واتنين مونيتور (شاشة تلفزيونية صغيرة) ومش أقل من 6 استاندات إضاءة ووحدة صوت صغيرة وميكرفونات صغيرة، ويا سلام لو فيه كاميرات صغيرة معلقة

– يا نهار كوبيا!!!! ناقص تقولي إنك محتاج وحدة مونتاج وكروما واستوديو متنقل

قلت العبارة الأخيرة فرد (أحمد) قائلًا بجدية:

– ممكن أخرج من المخزن أكتر من كاميرا والحامل بتاعهم، لكن موضوع وحدة الصوت صعب شوية وكمان موضوع الكاميرات الصغيرة المعلقة دة مش متأكد منه

تذكر (راضي) شيئًا ما وقال:

–هو انت لقيت حل لموضوع اسكندرية ده بتاع أول حلقة؟

هززت رأسي بالموافقة وأنا أقول:

– أنا دلوقت بجهز إن أول حلقة تتصور في بيت مهجور وبالتالي مش هنحتاج تصاريح ولا كلام من ده

قال (عمرو) بتساؤل:



- بيت مهجور!!!! دة فين ده وإيه تفاصيله؟

- لسة معرفش بس أنا بجمع معلومات عنه دلوقت وهقولكم كل حاجة اليومين الجايين

سمعت طرقات على الباب فنهضت لأفتح وأتسلم صينية أكواب الشاي من أمي ثم أغلق الباب مرة أخرى.

- لازم نبقى عارفين إن فريق العمل هيكون إحنا في الحلقة دي، يعني كل حاجة هنحاول إننا نعملها بنفسنا من إضاءة لتصوير لصوت لمونتير لتقديم لإخراج، الإمكانيات قليلة جدًا

- طبعًا واضح يا (أحمد)، وأكيد (عمرو) هو اللي هيكون مشرف على التصوير والإضاءة وانت يا (أحمد) هتبقى مع الصوت

أشار لي (راضي) قائلًا:

- وانت هتبقى مكان المخرج

- ليه بقى إن شاء الله؟

- علشان إنت معد برامج وبتكتب سيناريو وحضرت تصوير برامج كتير وتعرف مبادئ مهمة في الإخراج، لان لو مفيش مخرج هيبقى الموضوع سبهللة

- (راضي) عنده حق يا (حسام) وكمان إنت هتعرف تتفاهم مع (عمرو) كويس وقت التصوير، المهم تقولي دلوقت ميعاد الليلة اللي هنصور فيها واحتياجاتنا علشان أحسب التكاليف المادية ونلمها قبليها

- سيبني يومين يا (أحمد) علشان أنا بدور ورا موضوع البيت ده لسه .. ولما أجيب التفاصيل هنقعد نتكلم مرة أخيرة قبل التنفيذ، لكن بالنسبة للإعلانات بتاعت البرنامج فهتتصور زي ما كتبتها في الإعداد وهنصورها بكرة من الصبح علشان نلحق نخلص على بالليل، بس محتاجين مكان أمين نعرف نصور فيه

- المكان عندي في عزبة النخل، شقتنا القديمة هناك، وأنا هخرج كاميرا واحدة بس وكشافين إضاءه بالحامل بتاعهم، والمونيتور والميكروفون وميكسر صوت بسيط، الحاجات دي هنقلهم بكرة الصبح نصور بيهم الإعلانات ونرجعهم تاني بالليل، وأهو أبقى جربت لما أخرج حاجة من المخزن هيحصل إيه

قال (أحمد) العبارة السابقة ثم نظر إلى (راضي) وقال:

- هتعرف بعد ما نسلمك الشرايط تعملها كبشرة (نقل الفيديو من على شرائط التصوير إلى أجهزة المونتاج)، وتعملها مونتاج في غرفة المونتاج من غير ما حد يلاحظ؟

- ماتخافش هتصرف في اليوم ده وأدخل الغرفة بطريقة معينة بس هحتاج من الآخر سيجارتين حشيش

- نعم يالا؟؟؟؟؟؟؟؟؟

- أمال فاكرني هدخل إزاي بعد ما وقت الشغل يخلص، هظبط عم (عبد الفتاح) بتاع الأمن بالسيجارة

- طب هتظبته بسيجارة واحدة أمال التانية هتعمل فيها ايه؟



- هشربها أكيد وأنا بعمل المونتاج

- إنت هتهزر

- أهزر ليه يا عم!!!، دا إنت هتظبطني حشيش ليلة التصوير أساسًا علشان أعرف أتكلم قدام الكاميرا

***

نهضت (صفاء) على صوت هاتفها المحمول لترد بذهن مشوش على (عفت) التي تعودت على التواصل معها يوميًا بعد حادثة المنزل

- أجيلك النهاردة يا حبيبتي

- لا يا (عفت) أنا زهقت من البيت بقالي كتير ما خرجتش، ما تيجي نخرج النهاردة

- ما إنتي عارفة إن عمو مش هيرضى إنك تخرجي معايا أنا بالذات

- طب خلاص مش مشكلة تعاليلي البيت النهاردة ونشوف هنتصرف ازاي

أغلقت الهاتف المحمول وظلت جالسة على الفراش تتأمل السقف لدقائق حتى ذهبت بقية آثار النوم، نهضت متجهة إلى الكومبيوتر الموضوع على المكتب وهي تفرك إحدى عينيها بيدها وباليد الأخرى تتعامل مع الكومبيوتر، خرجت من غرفة النوم إلى الحمام لدقائق ثم عادت لتجلس على المكتب وهي تفتح منتدى لتنزيل الأفلام لتبحث عن آخر حلقة من مسلسل درامي تتابعه بشغف كل أسبوع، وجدت الحلقة وبدأت بتحميلها، فتحت بريدها الإلكتروني لتسلي نفسها ببعض الرسائل الكوميدية التي

تصلها من مجموعات بريدية مشتركة بها حتى تنتهي من تحميل الحلقة وتتمكن من مشاهدتها.

طالعتها رسالة من بريد الكتروني غريب، فتحتها لتجد بداخلها عرض عمل ممن يدعى (حسام) تاركًا رقم هاتفه، لثوانٍ تخشبت أمام شاشة الكومبيوتر، كلام المدعو (حسام) هذا منطقيًا وخاصة في مسألة الراتب.

لكنها تشعر بشيء مريب، فكرت في نفسها أن حس الصحافة عاد لها مرة أخرى، نهضت من على المكتب وهي تعقص شعرها وتتجه إلى نافذة غرفتها لتفتحها وهي تنظر بعين خاوية لأطفال يقفون بجوار المنزل يتحدثون بشغف عن شيء ما، شبكت ساعديها أمام صدرها وهي تقول:

– عرض جايلي فجأة بعد الحادثة، يا إما أنا محظوظة أوي يا إما فيه حاجة غلط

نهضت لتذهب للحمام فمرت بوالدها الجالس على الأريكة في الصالة يشاهد التلفزيون بملابس الخروج، ألقت عليه التحية فرد عليها ببعض الفتور، لم تندهش وتوقعت أن تأتي المعاملة الفاترة في يومٍ ما، وبرغم تأخر ظهور الفتور إلا أنها صعقت منه، نظرت لوالدها بحزن ثم ذهبت للحمام.

فجأة نهض والدها بنشاط وسار بخطوات سريعة لغرفتها حتى دخلها، تفحص الغرفة بسرعة بعينينه حتى وجد هاتفها المحمول فأخرج من جيبه مفكرة ورقية وقلم، فتح الهاتف وبحث بين الأسماء عن اسم (جعفر) فوجد ثلاثة أرقام، نقلهم بسرعة للمفكرة ثم أغلق الهاتف المحمول وأعاده لموضعه.

***



2007/12/14

مرت ساعة ونصف وأنا أنتظر على ذلك المقعد بشقة (أحمد) بعزبة النخل وبجانبي يجلس (راضي) يدخن سيجارة ويمسك بمجلد ميكي يطالعه باهتمام وجدية، بعدما أوصلنا (أحمد) للشقة اصطحب (عمرو) معه لمخازن الشركة لإحضار معدات التصوير، يدي اليمنى تقبض على أوراق إعداد الإعلانات الخاصة بالبرنامج والتي راجعتها عشرات المرات منذ استيقاظي.

حتى أنني أخذت اليوم إجازة من العمل لأفرغ ذهني للتصوير، أنفي تعبق بدخان سيجارة (راضي) الخانقة وعقلي يمتلئ باحتمالات نجاح هذا البرنامج والذي أعطيه نسبة نجاح لا تتعدى نسبة 1% .

بالطبع لن أصارحهم برأيي فالجميع يحملون الأمل بنجاح تصوير تلك الحلقة على أمل بيعها، بينما أعرف أنا الحقيقة، بالإمكانيات التي نمتلكها لن نحقق شيئًا يذكر، سأسايرهم في الأمر حتى النهاية، فبعد كل شيء البرنامج في الأساس حلمي الشخصي، والذي قرروا مساعدتي فيه بلا أي مقابل فلا يمكن أن أتخلى عنهم الآن حتى ولو كنت أرى الفشل هو نهاية كل ما سنفعله.

قطع حبل أفكاري صوت مزلاج باب الشقة يفتح فركضنا لنساعد (أحمد) و(عمرو) الذين حملا حقائب عملاقة تمتلئ بمعدات التصوير، لا أنكر أنني شعرت بكثير من الخوف عند هذه اللحظة، لأننا تخطينا نقطة اللاعودة، لكن في نفس الوقت أشعر ببعض المتعة لخوض تلك المغامرة الغير قانونية.

كأنني أراهن بمستقبلي ومستقبل أصدقائي على هذه الحلقة فإما النجاح الذي سيشفع لنا أمام الشركة لسرقة معدات التصوير، أو الفشل التام الذي ربما عرضنا للمسائلة القانونية والحبس وضياع مستقبلنا، الآن أشعر باحساس المقامر عندما يقامر بكل ما يمتلك على خانة واحدة ثم تدور عجلة الروليت فيكتشف أنه تسرع لكنه ينتظر النتيجة علها تنصفه.

لم أضيع وقتًا، بينما يستريح (أحمد) و(عمرو) على الأريكة العتيقة في ركن الصالة .. توجهت إلى الأكياس التي أحضرتها معي وأخذت علبة الطلاء الأحمر وتوجهت ناحية غرفة من غرف الشقة لا تحتوي على أي قطع أثاث، حددت حائطًا مناسبًا لزوايا التصوير كما تعلمت من بعض المخرجين الذين عملت معهم، لن أصل لخبرتهم لكن ما بيدي حيلة.

فتحت العلبة وأمسكت الفرشاة التي لينتها اليوم في الماء، وبدأت بنقل بعض الحروف والطلاسم وأسماء الجان من أوراقي، نقلت تلك الرسومات في الأصل من بعض مواقع الانترنت التي تتكلم عن الطلاسم، نقلتها كما هي كي أحافظ على الصدمة التي ستتكون لدى المشاهد من مطالعته للإعلان.

- يخرب بيتك .. دا إحنا هنتلبس وش

قالها (راضي) وهو يقف خلفي ناظرًا للحائط بخوف ومازال يحمل بيده مجلد (ميكي)، أكملت بعض الرتوش على الحائط كقطرات دماء.

جاء (عمرو) يحمل حقيبتي معدات الكاميرا، ساعدناه في نصب حامل الكاميرا ونصبها عليه، ثبت كشاف إضاءة على مستوى منخفض وأظلمت



الغرفة، فجأة رن هاتفي المحمول فخرجت للصالة وأنا أطالع رقمًا غريبًا أمامي على الهاتف، رددت:

– الو

– أستاذ (حسام) معايا

– أيوا يا فندم تحت أمرك

– أنا (صفاء) اللي حضرتك بعتلها ايميل بخصوص الشغل في الجريدة

ارتبكت فأنا لم أتوقع سرعة التواصل معها بهذا الشكل، كدت أن أتكلم لولا أن جاء صوت (راضي) من داخل الغرفة قائلًا بعلو صوته:

– لو (دعاء) اللي بتكلمك قولها (راضي) بيصلي العصر وهيحصَّلِك على طول

سببته بصوتٍ خافت ثم عدت لصفاء:

– أهلًا بيكي يا (صفاء) أنا سعيد جدًا اني...

قاطعتني بهدوء:

– أستاذ (حسام) انت عمرك ما قريتلي أي مقالة قديمة ولا كنت بتابعني، لأني مليش متابعين

– هه!!

– إنت صحفي وعايز تاخد حوار مني عن البيت المسكون؟



- لا والله دا أنا معد برامج مش صحفي

لطمت فمي بيدي على انفلات لساني بينما هي رددت بدهشة:

- معد برامج؟

- أنا هشرحلك كل حاجة، بس أرجوكي ما تفهمنيش غلط

- ما أفهمكش غلط؟

- والله هكون صادق المرة دي لأن الصدق منجة

- منجة

- ماهو حضرتك إديني فرصة أفهمك، أنا شغال معد برامج في شركة للإنتاج الفني، وتقدري تتأكدي من اسمي بالكامل اللي عندك في الرسالة لو دورتي في موقع (جوجل) هتلاقي اسمي طالع مع كام برنامج تافه

- طب وإيه سبب الكدب

- بصراحة كنت عايز أوصلك ومش عارف ازاي، أنا بعمل برنامج عن الرعب كل حلقة بصور في مكان مختلف مشهور بإن فيه حاجة غريبة بتحصل فيه، الفكرة إنك مريتي بتجربة في بيت وعايز أعرف كل حاجة عن اللي حصلك علشان نخش إحنا كمان البيت ونبات ليلة ونصور كل حاجة

ساد الصمت بعد انتهاء عبارتي وأنا أنتظر أي رد فعل من ناحيتها حتى جاء صوت (راضي) من الداخل يقول بعصبية لأحد ما:

- مش هقلع على فكرة، بلا إعلان بلا نيلة إحنا ما اتفقناش على قلع



أخيرًا جاء صوتها قائلًا:

- أنا هساعدك بس بشرط واحد

- إتفضلي

- أرجع معاكم البيت تاني واحضر التصوير

- إحم .. الموضوع ده صعب شوية بس أعتقد إن الكلام على التليفون مش هينفع للمناقشة دي، إيه رأيك لو تيجي الشركة نتكلم

- خلاص أنا جاية دلوقت، مليني العنوان

- دلوقت؟

- مش عارفة هعرف أقابلك الأيام الجاية ولا لأ، وكمان لازم أرجع البيت بعد ساعتين من دلوقت

أمليتها العنوان وأغلقت الهاتف و(راضي) يصرخ من الداخل

- شيل إيدك يا (عمرو) من على القميص، قلتلكم مش هقلع، دي (دعاء) ما عملتهاش معايا، إنتوا فاكريني لقمة طرية

***

عدت سريعًا للشركة وأجلت التصوير لساعتين، بعد دخولي المكتب بدقائق طرق الباب فأذنت بالدخول، وإذا بفتاة جميلة ترتدي ملابس تمتلئ بالألوان تطل علي، عرفتني على نفسها فحييتها وأحضرت مقعدًا لتجلس

عليه ومقعد لي لأجلس بجانبها كي لا تشعر أنني أحدثها من وراء المكتب باستعلاء

– شكرًا إن حضرتك شرفتيني بالحضور النهاردة، ياريت بقى تحكيلي كل التفاصيل اللي حصلت معاكي من ساعة دخولك البيت و..

يبدو أنها تعشق المقاطعة فقد قالت فجأة:

– قبل أي حاجة أنا عايزه أديلك الميموري كارد اللي كان موجود في الكاميرا اللي انكسرت ليلة دخولي البيت، أنا ما شوفتوش ومش عايزه أشوفه، هسيبه معاك ولما أمشي شوفه براحتك وتقولي جواه إيه

– هو إنتي مش عارفة اللي جواه؟

– أنا مش فاكرة حاجة، وخايفة من اللي ممكن يكون جواه

– إنتي بدأتي تقلقيني

– ولا تقلق ولا حاجة، تعالى دلوقتي نتكلم في تفاصيل البرنامج ولما أمشي شوفه مع نفسك

– إنتي مش ناوية تدخلي مع فريق التصوير البيت؟

– آه

– خلاص .. يبقى لازم تعرفي إيه اللي مستنيكي جوه

شعرت أنها تفكر فلم أعطها فرصة نهضت وفتحت الكومبيوتر وبحثت في أحد الأدراج عن قارئ الميموري الخاص براضي حتى وجدته، أوصلته



بالكومبيوتر ودخلت إلى الملفات لأجد ملف الفيديو، فقمت بتشغيله وعدت لأجلس على المقعد بجوار (صفاء) التي شعرت بأنها خدعت وبأن الوقت قد فات على الاعتراض.

الفيديو يظهر كادر لشقة مهجورة تمتلئ بالأتربة حوائطها وأرضها أسمنتية وإضاءة صفراء تأتي من السقف ويتركز الكادر أمام بابين مغلقين لغرفتين متجاورتين، يبدو كأن الكاميرا موضوعة على الأرض وهي تلتقط هذا المشهد، ظل الكادر لفترة طويلة بلا حركة، فنهضت من مقعدي لأسرع العرض، الفيديو مدته لا تتعدى الساعة ونصف، أخذت أسرع من حركة الكادر بشكل بسيط، ثم سرعت الكادر لأختصر دقائق.

وجدنا قدمان يمران أمام الكادر ببطء، قالت (صفاء):

–دي رجلي أنا

ابتعدت الأقدام وهي تسير بعيدًا باتجاه الغرف، ظهرت (صفاء) من ظهرها وهي تفتح الباب الأيسر ثم ترفع كشاف إضاءة بيدها وتحركه داخل الغرفة وهي تقف خارجها.

تحفزت في موضعي و(صفاء) تقترب مني حتى وقفت بجانبي وهي تنظر لشاشة الكومبيوتر وترى نفسها تتحرك داخل الفيديو المعروض لداخل الغرفة لثوانٍ ثم تعود للخارج وهي تغلق باب الغرفة، ثم تقف عند الباب الآخر وتفتحه، هنا حدث ما جعلنا ننتفض.

داخل الفيديو وقفت (صفاء) أمام الباب وفتحته فظهر الظلام الداخلي، وجهت (صفاء) كشاف الإضاءة ناحية الداخل، خطت لداخل الغرفة حاملة

الكشاف لكن فجأة أضيئت الغرفة وهي داخلها بأضواء غريبة، ضوء أبيض يتخلله ضوء أحمر وأصفر وأزرق وبضعة درجات أخرى للضوء.

ظهرت خيوط على الفيديو شوهت درجة وضوح الصورة، هنا خرجت (صفاء) من الغرفة متراجعة بظهرها للخلف وهي تنظر لشيءٍ داخل الغرفة، وقع كشاف الإضاءة من يدها، وهي مازلت تنظر لشيءٍ ما بعينها، فجأة خرجت من الغرفة هالة ضوئية لشخص طويل الجسد محاط بإضاءة.

توقف الفيديو عند هذا الحد، نظرت لصفاء فوجدتها تضع يدها على فمها كأنها تمنع صرخة ما من مغادرة حنجرتها.

الغريبة أن الفيديو مازال به عشرات الدقائق لكنها سوداء تمامًا، لم أفهم طريقة عمل تصوير هذه الكاميرات لكن بقية الفيديو خالٍ فعلًا.

جلست (صفاء) على مقعدها بعينين خاويتين تنظر لي

– اللي شوفتيه ده مش بيفكرك بأي حاجة؟

هزت رأسها نافية، فكرت أنا في تلك المصيبة، الموضوع حقيقي لا مجرد منزل تدور حوله الشائعات .. إذا دخل فريق التصوير المنزل فسيواجه شيئًا ما لا محالة.

– كده مأظنش إنك هتخشي معانا البيت

لم تنطق (صفاء) ولم تحرك عينيها من على وجهي مما جعلني أرتبك فعلًا، لكن أعدت السؤال عليها فقالت وكأنها لم تسمع السؤال:

– إيه الحاجة اللي أنا شوفتها في الأوضة؟



- إنتي بس اللي تعرفي

- علشان أعرف لازم أرجع بيت (أبو خطوة) تاني

قلت أنا مستنكرًا:

- ترجعي تاني إزاي؟ إنتي مش خايفة؟ دا أنا مرعوب!!

ظهرت ملامح التأثر على وجهها، أكاد أقسم بأن دموعًا تتكون في مقلتيها لكنها حاولت التماسك وهي تقول:

- خايفة جدًا، بس اللي شوفته اليوم ده ما عمليش حاجة، يعني لو رجعت تاني أكيد مش هيأذيني

قلت لنفسي بصوت خفيض:

- بس هيطلع عين أهالينا احنا

سمعتني فقالت:

- بلاش تدخل إنت، لكن أنا لازم أرجع البيت، لازم أعرف أنا شوفت إيه

- يعني إنتي هترجعي وفاكراني هسيبك لوحدك، عيب عليكي، كلنا هنلبس إن شاء الله

قلت العبارة السابقة محاولًا التخفيف عليها لكن دموعها انطلقت فجأة، ما الذي يجب عليّ فعله في تلك المواقف!! لم أتعامل مع الكثير من النساء بحياتي لأفهم طريقة احتواء بكائهن، بلعت ريقي وقلت مبتسمًا:

- إتطمني يا (صفاء)، مش إنتي لوحدك اللي خايفة، أنا ميت من الرعب دلوقت

نظرت لي من وسط الدموع نظرة من نوعية (اصمت يا معتوه)، فقلت:

- طب أجيبلك مناديل ولا معاكي؟

تحولت نظرتها لي لشفقة وهي تقول:

- ياريت منديل لو سمحت

فتشت ملابسي بسرعة فلم أجد شيئًا، فتحت باب المكتب وجريت لحمام الشركة فلم أجد إلا مناديل التواليت، أحضرتها ووقفت أمام (صفاء) التي نظرت لها بقرف في البداية، ثم سحبت منديل وجففت دموعها، جلست أمامها وأنا أقول:

- خدي بكرة المناديل وانتي مروحة ممكن تحتاجيها، دلوقت لازم نتفق على حاجة، إوعي تقولي لفريق التصوير اللي هيدخل معاكي البيت أي حاجة عن الفيديو ده

- إنت هتكدب عليهم؟

- أكيد هكدب أمال بقولك كده ليه؟، لو شافوا الفيديو ممكن يخافوا يخشوا، وأنا عايزهم يكونوا متعادلين، علشان مايتوقعوش حاجة فيخافوا قبل مايخشوا ويتهيألهم حاجات

- مش عارفة بس حاساك بتكدب

– الله .. هو انتي ذكية كده ليه يا (صفاء)، أيوا بكدب، بلاش تقولي حاجة بس على الفيديو ده

سحبت (صفاء) نفسًا طويلًا وقالت بعدما عادت لهدوئها:

– إيه خطتك في الدخول؟

– قبل أي حاجة لازم تعرفي إن البرنامج اللي بصوره ده من غير علم إدارة الشركة بتاعتي، لأنهم رفضوه، هنصور أول حلقة ونعرضها عليهم علشان نثبت نفسنا، حتى المعدات بتاعت التصوير هنكون مهربينها من المخازن، النهاردة خرجنا المعدات وبنصور دلوقت الإعلانات والبرومو بتاع البرنامج بتكلفة بسيطة لان معاناش أي ميزانية، بكرة أو بعده بالكتير لازم نكون في البيت

– هتدخلوا الصبح ولا بالليل؟

– مش عارف، إنتي رأيك إيه؟

– الصبح الناس هتلاحظكوا، بالليل أحسن

– طب وانتي هتقدري تخشي بالليل .. أقصد يعني في البيت عندك هتواجهي مشاكل

ابتسمت هي بسخرية وقالت:

– أنا هتصرف، المهم هتخشوا بكرة ولا بعده؟

- هبلغك بالتليفون النهاردة، وهنعدي عليكي واحنا رايحيين ناخدك في طريقنا ونطلع على البيت، بس محتاج منك تكتبيلي كل تفاصيل عرفتيها عن البيت ومكانه

- هبعتلك كل التفاصيل اللي عرفتها على ايميلك لما أرجع البيت

قالتها وهي تنهض من على مقعدها فنهضت أنا الآخر وقلت:

- وأنا هاكلمك النهاردة بليل أعرفك هنعمل إيه

هزت رأسها بحركة بلا معنى ثم خرجت من المكتب، جلست بموضعي أفكر في احتمالات الدخول للمنزل، الآن أنا أضمن أننا سنسجل شيئًا ما في أول حلقة لكن ما الضامن لخروجنا من هذا المنزل بسلام؟

انتبهت للميموري كارد التي تركتها (صفاء)، أخرجتها من الكومبيوتر وأعدتها للدرج مرة أخرى وأنا أعد نفسي للعودة مرة أخرى.

***

أعد (جابر) في منزله قاعة ضخمة امتلأت بألعاب الأطفال بداية من المرجحية إلى أجهزة الأتاري والبلاي ستيشن بتلفزيونات ضخمة أمام كل جهاز، زينت جدران القاعة برسومات كرتونية مضحكة، كل هذا لأحفاده الثلاث الذين يأتون لزيارته من وقت لآخر.

واليوم جاءه (سليمان) صباحًا وترك الأطفال معه ثم ذهب هو لعمله، مرت ساعات داخل قاعة الألعاب نسى الأطفال أنفسهم وهم ينتقلون من لعبة لأخرى، و(جابر) يجلس على مقعد في طرف القاعة يرتدي سروال



وقميص وصديري وقد خلع جاكيت بدلته وعلقه على مشجب بالقرب منه، يقرأ في ملف بيده وينظر من وقت لآخر بفرح لأحفاده، (نورا) و(سلوى) و(جابر) الذي سماه سليمان على اسمه.

أعمارهم لا تتعدى التاسعة وقد حملوا الكثير من ملامحه وملامح زوجته خاصة (سلوى) التي شكل القدر هيئتها لتقترب من هيئة جدتها وكأن مجرد إطلاق هذا الاسم عليها قد حولها لتصبح مثلها.

نظر لساعة يده ثم خلع نظارته الطبية ووضعها بجيبه وهو ينهض قائلًا:

– يلا يا ولاد علشان ميعاد الغدا جه

نظروا له بحزن فقال:

– لأ بلاش البصات دي .. مش هتأثروا عليا، هنتغدى ونرجع نكمل لعب، مفيش نقاش

تركت (سلوى) ذراع البلاي ستيشن وهي تقول:

– طب غني لينا قبل الغدا

سار (جابر) لطرف الغرفة حيث وضع مايكروفون متصل بسماعات ضخمة، أمسكه وهو يقول:

– خلاص نغني مع بعض كلنا أغنية هادفة، تعلمنا كلنا مبادئ في الحياة الصعبة اللي إحنا فيها

نظر الأطفال لبعضها البعض وهم يضحكون، فقال (جابر) وهو يسمك المايكروفون ويشغله:

- يلا اقفوا جنب بعض قدامي هنا علشان نتحرم الأغنية، وردوا معايا .. أوعوا تكونوا نسيتوا الأغنية اللي حفظتهالكم آخر مرة

جرى الأطفال وهم يتراصون أمامه ويؤكدون له بأنهم قد حفظوها .. نظر (جابر) لهم بجدية شديدة وقرب الميكروفون من فمه وهو يغني قائلًا:

- كله يدلع نفسه .. طب كله يدلع نفسه

أشار للأطفال فقالوا بصوت واحد وهم يحاولون تمالك أنفسهم من الضحك:

- طب كله يدلع نفسه .. بالعقل وبالأصول .. إوعى تدلعها زيادة لتشمت فيك عذول

فجاة رمى (جابر) المايكروفون وهو يرقص صائحًا:

- كله يدلع نفسه .. كله يدلع نفسه

ضحك الأطفال وهم يرقصون ويرددون نفس العبارة، حمل (جابر) (نورا) وهو يرقص وسطهم والأطفال يرقصون فرحين.

على باب القاعة ظهر (سليمان) يحمل حقيبة جلدية بيده ويبتسم للمشهد الذي يراه، لمحه (جابر) فأنزل (نورا) وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة، قال (سليمان):

- هاخد جدو منك شوية وأرجعه

اعترض الأطفال فربت (جابر) علي رأس كل واحد منهم وهو يقبله ثم قال:

- كملوا لعب وعشر دقايق وراجعلكم علشان ناكل مع بعض

تركهم (جابر) وخرج من القاعة وهو يربت على كتف (سليمان) قائلًا:

- يلا علشان تبلغني بآخر التطورات ونلحق نتغدى

- إنت عايز تلحق ترجع علشان تلعب مع الولاد

سار (جابر) بخطوات واسعة وهو يعبر الحديقة ويفتح باب قاعة قريبة وهو يقول:

- ربنا يخليلك ولادك يا ابني وتفرح بيهم زي ماأنا فرحت بيك

دخل (جابر) لقاعة مكتبه الخاص و(سليمان) يلحق به، المكتب الذي تكون أثاثه بالكامل من أخشاب على الطراز الإسلامي وعلقت على جدرانه صور كثيرة لجابر وهو يحمل أحفاده ويلعب معهم في مراحل عمرية مختلفة.

جلس (جابر) على المقعد خلف المكتب وجلس (سليمان) أمام المكتب وهو يفتح حقيبته ويخرج بضعة أوراق سلمها لوالده الذي أخرج نظارته وارتداها وأخذ يقرأ قليلًا ثم قال:

- إنت واثق من (محمد نعيم) صاحبك اللي في المباحث الجنائية؟

- ما تخافش يا بابا واثق فيه وهو واثق فيا، وما تنساش إن والده الله يرحمه كان صاحبك وهو لسة فاكرلك اللي إنت عملته علشانه

عاد (جابر) للنظر للأوراق وهو يقول:



- الله يرحمك يا (نعيم)، كان ظابط محترم بجد

- واحنا مش محترمين بجد والا ايه يا بابا؟

لم يرد (جابر) على عبارة (سليمان) الساخرة، لكنه استمر في القراءة وتقليب الأوراق حتى نظر لسليمان وهو يقول:

- تقارير المراقبة دي لحد امبارح بس، كده مش هينفع، أنا عايز أعرف (صفاء) قابلت مين النهاردة، واتأكد من إن (جعفر) لسه عند قرايبه هو وخاله

- خلاص النهاردة بالليل الساعة 12 هعرف التقرير قبل ما ينكتب وأبلغك بيه

- طب وبالنسبة للشاب اللي اسمه (حسام عبد الوهاب) اللي قلتلك توصلني ليه

- عرفت مقر شركته لكن لسه ما عرفتش تفاصيل كفاية عنه علشان نعرف نحط عليه مراقبة

- الصورة كده مش كاملة قدامي يا (سليمان)، محتاجك تتعب معايا شوية يا ابني، بص إنت تفضل متابعني النهاردة بالليل وبكرة لحظة بلحظة

- حاضر

عاد (جابر) لينظر للأوراق، بعد دقائق قال (سليمان) بتردد:

- ممكن أسألك على حاجة يا بابا



لم ينظر له (جابر) وهو يقول:

- قول يا حبيبي

- هي ماما كانت مستحملة تعيش كل ده معاك إزاي؟

رفع (جابر) وجهه وابتسم وهو يقول:

- إحنا اخترنا نكون مع بعض .. وقبلنا ندفع التمن لده

- التمن؟

- كل حاجة وليها تمن، فيه ناس بتختار اختيارات وتتفاجئ لما ينطلب منهم التمن .. التمن من حياتهم وصحتهم وسعادتهم وأحلامهم ومستقبلهم، لكن أمك الله يرحمها كانت موافقة على التمن .. ما تشغلش بالك إنت دلوقتي والأيام الجاية هتفهم أكتر

هز (سليمان) رأسه علامة التفهم فقال (جابر):

- إبقى اتصل النهاردة بعم (سامي) السواق وقوله يجهز علشان احتمال يوصلني لكام مشوار اليومين الجايين

- إيه يا بابا خلاص نهاية اللي احنا فيه هتيجي؟

- لأ يا ابني .. تقدر تقول بداية النهاية، المهم إنك تستحمل معايا مهما شوفت زي ما أمك الله يرحمها كانت مستحملة

- إن شاء الله

سمع الإثنان صوت طرقات على باب المكتب ثم انفتح الباب لتظهر (نهلة) التي تقوم بخدمة (جابر) في المنزل وهي تقول بأدب:

– أستاذ (حمدي) السمسار عايز يقابل حضرتك برا

– خليه يدخل

قالها (جابر) ثم نظر لسليمان قائلًا:

– روح إنت شوف شغلك وأنا هشوف (حمدي) عايز إيه، احتمال يكون جايب أخبار عن (أليكسندر)

***

وصلت لباب الشقة وأنا أدق عليه بسرعة شديدة حتى فتح لي (أحمد) قائلًا:

– طمني وصلت لحوار أول حلقة؟

دخلت وأغلقت الباب خلفي

– قولي إنت الأول، تقدر تخرج الكاميرات والسماعات بكرة بالليل؟

– يبقى كده أنا مش هرجع الأدوات النهاردة، هروح أمضي إني رجعتها ونخليها بكرة معانا، وإن شاء الله محدش هيلاحظ، علشان لو خرجت الأدوات يومين ورا بعض هيتشك فيا

سرت لداخل الشقة وأنا أتأمل حالها المقلوب، بعض أدوات التصوير ملقاة في صالة الشقة والكثير من الشموع وصناديق فارغة وأكياس رمل

-تمام، يبقى بكرة هنخش بيت مسكون نصور فيه .. ألا فين بقية الشباب علشان أشرحلهم؟

جاءه صوت (عمرو) من داخل غرفة قريبة يقول:

-تعالى يا (حسام) ساعدنا

دخل عليهم فوجد (راضي) يقف ممسكًا بكتاب سلاح التلميذ يقطع أوراقه بغل

-إيه يا ابني اللي بتعمله ده؟ هو كتاب سلاح التلميذ عملك حاجة؟

رد علي (عمرو) من خلف كاميرا تصوير السينما التي ثبتها على حامل وقال:

-ما إنت اللي كاتب في السكريبت بتاع البرومو إننا هنعمل مشهد بورق قديم مليان طلاسم

تذكرت المشهد الذي كتبته، نصور المشهد ونعيده للوراء في المونتاج فيظهر بشكل طبيعي، أكمل (عمرو) كلماته:

-ما لقيناش ورق قديم إلا الكتاب ده، يلا علشان نبدأ التصوير

أعطاني (راضي) بضعة أوراق وأعطى (أحمد) هو الآخر ثم وقف بعيدًا عن الكاميرا، أعطانا (عمرو) إشارة بدأ التصوير وهو يركز عدسة الكاميرا على الأرض، تحرك (راضي) بظهره للوراء وهو يخطو ببطء، نظرت لأحمد وبدأنا نحرر الورق من أيدينا ليسقط حول أقدام (راضي) المتراجعة للخلف،

انتهينا من نشر الأوراق وظلت الكاميرا مركزة على الأوراق لثوانٍ قبل أن يتوقف (عمرو).

قلت أنا بشرود:

-تمام كده، (راضي) لما يعمل مونتاج ويعكس المشهد هيبقى كأن فيه ورق مرمي على الأرض ورجلين بتدخل الكادر فالورق يطير في الهوا، ها فيه تصوير تاني ناقص؟

-أه ناقص 3 مشاهد

– لا سيبكم منهم دلوقت، تعالوا علشان عايز أشرحلكم خطة الشغل بتاعت الحلقة الأولى

خرجت من الغرفة واخترت مقعدًا ملقى في الصالة لأجلس عليه، أما (أحمد) و(راضي) فقد جلسا على الأرض وظل (عمرو) واقفًا بجانبي، تنفست بعمق لأعطي فرصة لأعصابي كي تهدأ ثم قلت:

-بكرة هنصور أول حلقة، هندخل بيت حصلت فيه جريمة قتل من حوالي 14 سنة، اتقتل فيه ستات وأطفال ومحدش يعرف اللي قتلهم لحد دلوقت، فيه صحفية اسمها (صفاء) دخلت البيت ده من فترة قريبة وقضت ليلة فيه لكنها خرجت مش فاكرة أي حاجة

قال (عمرو) متسائلًا:

-اخترت البيت ده ليه بالذات؟



-علشان في مكان متطرف، في طريق القناطر الخيرية، ومفيش أهالي كتير ينتبهوا لو حد دخل البيت أو خرج منه، لكن البنت الصحفية اللي عرفتني كل حاجة عن البيت هتخش معانا جواه أثناء التصوير

أخرج (راضي) سيجارة من جيب قميصه وأشعلها بعود ثقاب وهو يقول:

-هي البت الصحفية دي حلوة؟

نظرت له والجميع اشترك معي في نفس النظرة فرفع هو حاجبية قائلًا:

-الله .. هو أنا كل ما أقول حاجة تبصولي ليه؟

أكملت كلامي قائلًا:

-أنا لما سيبتكم الصبح رحت أقابلها في المكتب بتاعنا في الشركة، وكان شرطها علشان تعرفني كل حاجة عن البيت إنها تدخل معانا، وأنا وافقت، لما سابتني وروحت البيت بعتتلي رسالة على ايميلي استقبلتها وأنا هناك، الرسالة فيها كل المعلومات اللي جمعتها عن البيت

-طب إيه اللي يجبرنا إننا ندخلها معانا أول حلقة؟

قال (أحمد) عبارته السابقة فنظرت له قائلًا:

-اللي يجبرنا إني إديتها كلمة، وكمان هي وفرت عليا وقت طويل في البحث عن البيت، باختصار هي ليها حق في الحلقة الأولى زي ما لينا

قال (عمرو):

-أيوا بس بنت هتدخل البيت وتقضي ليلة مع شباب، الموضوع غريب، وخصوصًا إن معانا (راضي) زي ما انت عارف

نظرنا كلنا مرة ثانية لراضي الذي كان ينفث دخان سيجارته فتلاقت أعيننا مع عينيه وهو يقول:

-يادي النيلة، هو أنا فتحت بقي، بتبصولي كده ليه؟

قلت أنا بهدوء:

-مش هتفرق يا جماعة، أهي ليلة وتعدي، المهم إننا كده نحدد ميعاد دخولنا البيت من دلوقت، أعتقد إننا لو دخلناه الساعة 9 بليل هيبقى كويس

هز الجميع رأسهم بالموافقة بينما علق (أحمد) على احتمالية أن يرانا أي شخص في منطقة البيت فطمأنته بأن رسالة (صفاء) ذكرت بأن حول المنزل مساحة خالية ولن ينتبه أي شخص لها بسهولة.

-طب هنخش البيت إزاي من غير مفتاح

قال (عمرو) عبارته هذه ثم نظرنا جميعًا إلى (راضي) الذي ألقى سيجارته على الأرض بعصبية وهو يقول:

-لأ بقى .. مش كل شوية هتقرفوني كده، عايزين مني إيه

قلت له:

-إنت ياض مش طفشت كالون مكتب رئيس قسم هندسة اتصالات وانت في الكلية

-أه كنت عايز أوصل لدفتر الحضور، بس الدكتور قفشني

-قفشك علشان هو كان في المكتب جوا يا حمار وانت دخلت عليه بعد ما طفشت الكالون .. المهم تحاول تتعامل إنت بكرة مع كالون الباب

-لا يا عم، أنا خلاص اتعقدت من تطفيش الكوالين، أخاف الاقي الدكتور جوه مستنيني

نظرنا له بلا أي تعبير فقال مستسلمًا:

-خلاص تحت أمركم

– تمام .. محتاجين عربية تبقى تحت إيدينا بكرة نوصل بيها المعدات وتودينا وتجيبنا

قال (راضي) بسرعة:

-أنا جوز خالتي عنده عربية وبعرف أسوقها أجيبهالكم بكرة؟

-قشطة، يبقى كلنا دلوقت نروح بيوتنا ننام ونفضل على اتصال من بكرة الصبح لأني هقابل (عمرو) و(أحمد) علشان نشوف أي حاجة محتاجينها من بدري

نهض الجميع إلا أنني قلت لراضي:

-بقولك إيه .. أنا فيه حاجة واكلة مخي، إلا مين (دعاء) اللي انت بتتكلم عليها كتير دي بقالك فترة؟

نظر هو للسقف برومانسية وابتسم قائلًا:

-يااااااااااااااااه .. يا دين أمي، دي مزة بقالي فترة بشوفها في أحلامي بتكلمني، وياما بوستها وياما حضنتها وياما ...

قاطعته:

-بس كفاية قرف إنت وأحلامك الجنسية

-لا بجد، أنا حاسس إني هقابلها في يوم، والنبي لو في يوم سألتك عليا واحدة اسمها (دعاء) إبقى عرفني

-من عينيا .. جتها نيلة اللي عايزة خلف من بعدك

***

اقترب عقرب الساعة من منتصف الليل وقد مر موعد نوم (جابر) لكنه ظل جالسًا خلف مكتبه صامتًا وأمامه علبة سجائره ينظر لها وبجانبها هاتفه المحمول، خياله يراوده بأن يسحب سيجارة من العلبة ليدخنها لكنه لم يكسر هذا الروتين منذ زمن، بعد استيقاظه كل يوم يستطيع أن يشرب السجائر كل ساعتين لمدة اثني عشر ساعة.

حتى أن جهازه العصبي قد تعود على هذه المواعيد فلم يقبل بالاستمتاع بنكهة الدخان إلا في الأوقات المحددة، لكن عليه أن يظل مستيقظًا حتى يستقبل مكالمة (سليمان).

الانتظار طال فسحب سيجارة من العلبة وأخذ يلهو بها قليلًا وهو يتذكر ممن تعلم هذا الروتين في التدخين في شبابه، عندما كان يجلس باحترام وتبجيل أمام الأديب (نجيب محفوظ) ويراه يشرب السجائر

بمواعيد محددة، سأله عن السبب فأخبره بأنه يحاول ترويض نفسه عن طريق إعطاءها السيجارة بوقت محدد كي يمكنه الاستمتاع بها ولا يصبح عبدًا لها.

كم كان فرحًا بجلساته مع (نجيب محفوظ) وأخذ يخبر من حوله بتلك الحكاية ليقلدوه كما فعل هو، لكن لم يشترك في تلك العادة معه إلا شخص واحد عرفه بحياته .. (أليكسندر)، مازلت تلك عادته حتى الآن.

ابتسم (جابر) رغمًا عنه وهو يتذكر كلمات (أليكسندر) قديمًا عن أن الشيوعية كنبوءة الديانة ستنتشر في الأرض كلها بعد بضعة سنوات .. لكم تمنى أن يرى وجه (أليكسندر) عند تفكك الاتحاد السوفيتي عام 1991 .

فجأة رن جرس الهاتف المحمول فقطع حبل ذكرياته، ترك السيجارة من يده وفتح الهاتف:

-أيوا يا بابا إنت لسة صاحي؟

-صاحي ما تخافش، ها طمني حاجة حصلت النهاردة؟

-(صفاء) راحت الفرع الإداري لشركة الإنتاج اللي شغال فيها (حسام)، وهو كان هناك في نفس الوقت، المراقبة عرفت توصله وشافوه وهو رايح شقة في عزبة النخل يقابل أصحابه، عرفتلك بياناتهم بالعافية، خرجوا من الشقة وروحوا بيوتهم

-يبقى كده احتمال يدخلوا البيت بكرة .. اسمع يا ابني، شدد المراقبة عليهم من بكرة الصبح، وعايزك تجهز نفسك بكرة بالليل علشان هتزور (عبد الرحمن) في بيته بالليل



–حاضر، أنا بكرة هبقى معاك على ...

قاطعه (جابر) قائلًا:

–وبلغ عم (سامي) السواق يجيلي بكرة بالليل على الساعة 8

–ناوي على إيه يا بابا؟

–ناوي أزور حبايب ليا بقالي كتير ما شوفتهومش

***



الفصل الرابع

المنزل



2007/12/15

بقيت بضعة دقائق على شروق الشمس، (صفاء) نائمة على فراشها كما هي تتقلب كل نصف ساعة بقلق تفتح عينيها وتلقي نظرة بلا معنى على الغرفة، نصف وعيها هو الذي يطالع الغرفة والنصف الآخر مازال في حالة من السبات العميق.

في مرة من مرات تقلبها في الفراش فتحت عينيها لتجد (جعفر) يرتدي بدلة عريس سوداء ويمد يده لها مبتسمًا، أغمضت عينيها وفتحتهما فلم تجد شيئًا، انقلبت على الجانب الآخر من الفراش وهي تفكر في (جعفر) والسر الذي يحيط به.

***

نهضت من الفراش مذعورًا، لعنة الله على الظلام، قفزت من فراشي مذعورًا وأضأت النور، شقيقي النائم على الفراش المقابل فتح عينيه بعصبية وقال:

– اقفل النور يا (حسام) بدل ما أقوم أدخل دماغك في قعدة الحمام

أغلقت النور .. بضعة ثوانٍ وأضأته ثانية، أعرف أن شقيقي لن ينهض ليضربني كل ما سيفعله هو وضع الوسادة على رأسه، وهو ما فعله بالفعل.

شعور غريب هو ما أيقظني، ذكرياتي اختلطت بأحلامي بشكل يصعب تذكره، لكن آخر ذكرى هي ما أيقظتني من النوم مفزوعًا، جلست على طرف الفراش أحاول تذكر أخر مشهد رأيته بأحلامي، شاهدت نفسي أقف



داخل منزل (أبو خطوة) وبالتحديد أمام الباب الذي فتحته (صفاء) في الفيديو الذي شاهدته معها.

انفتح الباب أمامي وخرج شيئًا ما ضخمًا متلفحًا بالسواد وله جناحان .. وصوت صراخ يأتي منه أو ربما كان أنينًا سمعته صراخًا.

المشاهد التي تسبق هذا المشهد بدأت تنزول من ذاكرتي، بضعة مشاهد عندما كنت أقطن بباسوس وألعب مع طفل صغير السن والذي لم أتذكر أسمه بعد لكنني شعرت أنني على درجة صداقة قوية به.

مشاهد أخرى متفرقة تظهر بها بضع وجوه لأشخاص لم أرهم من قبل لكنني شعرت أنني على صلة ما بهم.

لم أواجه هذا النوع من الأحلام من قبل، هل أثر بي ما سيحدث اليوم في منزل (أبو خطوة) لهذه الدرجة؟

نظرت لخصاص النافذة فوجدت بعض ضوء الفجر يدخل منها، نهضت وفتحتها لأتطلع للحظة شروق الشمس مفكرًا بما سيحدث اليوم.

***

الساعة تقترب من الثامنة صباحًا في منزل (جابر) وهو يسير بخطوات بطيئة بين مزروعات الحديقة الخارجية، استيقظ من الساعة السادسة لكنه ظل في الفراش حتى السابعة، نزل عندها يسير في الحديقة بلا هدف.

حتى (نهلة) التي تعمل بمنزله لم تتعود أن تراه بهذا القلق على وجهه، هي الأخرى استيقظت لتحضر الإفطار وتقوم ببعض التنظيفات الروتينية

بالمنزل، لكنها وجدته يسير في الحديقة الخارجية في غير مواعيده المعتادة، ووجهه ينفجر بالقلق والخوف كأنه يحمل همًا ما.

اقتربت منه لتستفسر منه عما به لتفاجأ بوجهه يبتسم بود ويتحول تمامًا وهو يجاوبها بهدوءه ومرحه المعتاد ويسألها عما ستحضره للإفطار، حاولت سؤاله مرة ثانية عن سبب عبوس وجهه منذ لحظات فأنكر ببساطة جعلتها تكذب عينيها.

قبل أن تغادر طلب منها أن تحضر طعام الغداء ليكفي ثلاثة أفراد لأنه سيتناول الطعام اليوم مع عم (سامي) الذي سيأتي للمنزل اليوم، وهي ستشاركهم الطعام كما هي عادة حضور عم (سامي)، كما أخبرها بأنهم سيأكلون على الساعة الثامنة وعليها أن تنوع أصناف الطعام من محشي لبط مشوي وأي نوع لحوم حمراء.

الغريبة أنه كان يتكلم بسعادة ومرح شديد وهذا ما كان التأكيد النهائي لها أنها تخيلت ما رأته منه في البداية، غادرت الحديقة ودخلت المنزل فسار (جابر) بعدها ليدخل هو المنزل، اتجه لمكتبه ودخله وهو يغلق الباب خلفه جيدًا بالمفتاح.

تأكد من ساعة يده بأنها وصلت للثامنة فجلس خلف مقعده وأخرج علبة سجائره من درج المكتب وأشعل سيجارة وهو يدخنها بعمق، سعل قليلًا ثم التقط أنفاسه وهو ينهض ليسير في قاعة المكتب حتى توقف أمام دولاب خشبي مزخرف طوله متران وعرضه ثلاثة أمتار، مد يده وحرك بروز صغير في الزخرفة الخشبية حتى سمع تكة، فتح باب الدولاب لتطالعه صورة فوتوغرافية لصقت على حائط الدولاب الداخلي، الصورة بحجم

الدولاب وهي ملونة يظهر فيها (جابر) وزوجته عندما كانا في الخمسين من عمرهما وهما يقفان بجانب مطعم فرنسي شهير بمارسيليا، تذكر (جابر) لحظة التقاط هذه الصورة حيث تنظر زوجته للمصور مبتسمة بينما هو كان ينظر لوجهها، التقط المصور الصورة وعند تحميضها طلب من (جابر) أن يحتفظ بنسخة منها ليعرضها بمحل تصويره الخاص، لأن نظرة (جابر) لزوجته كانت غريبة، حتى هي أحبت هذه الصورة وكثيرًا ما حاولت وصف نظرته لها، هو نفسه شعر بأن نظرته لها كانت تحمل خليط لم يفهمه، إعجاب وحب ولهفة واحتياج، كأنه لم يصدق وجودها معه في هذه اللحظة.

سحب نفسًا من السيجارة وهو يسرح بعينيه في وجهها داخل الصورة، تنهد وخاطب الصورة قائلًا:

- كان نفسي تفضلي معايا، مش قادر أشوف الدنيا من غير عينيكي، ولا قادر أعيش مع الناس وانتي مش فيهم .. إنتي الوحيدة اللي عارفة إني بمثل على الكل علشان يشوفوني طبيعي وسطهم، لكن طبيعتي الحقيقية كانت معاكي لوحدك

سحب نفسًا آخر وقال:

- لما كنتي معايا قولتيلي إنك هتحميني من الكل حتى من نفسي، وأنا خايف من نفسي دلوقتي، خايف شوقي ليكي يخليني أبوظ كل حاجة .. عارف إنك قلتيلي كتير إن ده قدر عليا واني لازم أعمل اللي هعمله النهاردة والأيام الجاية

تحولت عينيه من التأثر إلى الغضب وهو يتكلم بنبرات أصبحت حادة:

- بس أنا وانتي عارفين إن مفيش قدر، وإني ممكن أصنعه من جديد وأغير كل حاجة لو حبيت، منعتيني من ده وانتي عايشة بس انتي دلوقتي ميتة

سقطت السيجارة من يده واقترب من الصورة وصرخ:

- ميتة .. سيبتيني أكمل لوحدي وانتي عارفة اللي هيحصل

رفع يده يتحسس وجهها بالصورة .. فجأة هبطت الدموع من عينيه وتهدج صوته وهو يقول:

- أنا آسف يا حبيبتي على اللي قلته .. أسف .. بس مش لاقي حد أتكلم معاه

زاد بكاؤه وهو يكمل:

- مش عارف اللي هعمله النهاردة والأيام الجاية صح ولا غلط، عدالة ولا ظلم، انتي اللي كنتي هتجاوبيني

فجأة تمالك (جابر) نفسه واشتد عوده وهو يمسح دموعه، تراجع خطوة للوراء وابتسم بصعوبة قائلًا:

- معلش ما انتي متعودة مني على لحظات الجنون كل شوية، والله ما عارف انتي حبيتي فيا إيه، بصي أنا هسيبك دلوقت وأروح أفطر وبعدين أرجعلك أعرفك آخر التطورات

كاد أن يغلق باب الدولاب لكنه فتحه وقال مبتسمًا:

– تصدقي الواد (سليمان) فعلًا بقى تنح زي أبوكي، قلتلك كده زمان وزعلتي بس تعالي وانتي تشوفي .. يللا مع السلامة يا حبيبتي

***

الساعة 11 صباحًا

رن جرس باب الشقة وأنا بها وحيدًا، أمي ذهبت للسوق منذ قليل، تركت ورق الإعداد الذي أكتبه للحظات التصوير بمنزل (أبو خطوة) وفتحت الباب لأجد (راضي) يقف مبتسمًا ببلاهته وشاربه الضخم:

– إيه يا ابني اللي جابك دلوقت، فيه مصيبة حصلت؟

– لأ أبدًا .. دخلني اعزمني على حاجة ساقعة وتعالى ندردش

طريقة كلام غريبة أن تصدر من (راضي)، أدخلته للصالون وقدمت له بعض الماء وأنا أقول:

– ما عندناش ساقع .. إيه يالا اللي جابك دلوقت؟

– طب اقعد وقولي .. إنت في البيت لوحدك؟

جلست وأنا أهز رأسي علامة الموافقة، تنحنح وقال:

– ما تحكيلي عن نفسك شوية

طأطأت رأسي وعيني معلقة براضي وأنا أقول:

– نعم يا روح أمك



- لأ بجد احنا بقالنا كتير ماتكلمناش من قلبنا مع بعض

- فيه إيه ياد إنت جاي تتحرش بيا ولا إيه؟

لم ينطق .. (راضي) صديقي منذ زمن وأعرف ما يفكر فيه قبل أن ينطقه .. لقد فهمت، نهضت من المقعد وقلت وشبح ابتسامة يرتسم على وجهي

- إنت كنت في المكتب بتاعنا من شوية صح؟

- أه صح عرفت منين؟

- وشكلك لقيت الميموري كارد في الفلاشة بتاعتك صح؟

احمر وجهه وكأنه هو المخطئ، اكتملت الابتسامة على وجهي وأنا أقول:

- قلت لمين على الفيديو اللي شوفته في الميموري كارد؟

- والله انت أول واحد

- طب عايزني أعملك إيه؟

- فهمني إيه حكاية اللي أنا شوفته

تركته دون أن أتحدث وذهبت للمطبخ، عدت له ومعي صينية عليها كوبين من البيبسي ووضعتهم أمامه

- ميرسي يا روح قلبي

قالها (راضي) وأمسك أحد الكوبين وأفرغه في جوفه على مرة واحدة، تجشأ بسعادة ونظر لي وعلى وجهه تلك النظرة المعتوهة.

– هختصرلك الموضوع يا (راضي)، الفيديو ده قدمتهولي (صفاء) امبارح وهي اللي صورته لما كانت في البيت، خفت أوريهولكم تقلقوا وما تخشوش البيت

– بس أنا مش قلقان، أنا عندي فضول

– فضول إيه؟

– عايز أعرف إيه سبب الألوان والنور اللي خرج من الأوضة في الفيديو، وكمان إيه المجال الكهرومغناطيسي اللي أثّر على الكاميرا ومع ذلك خلاها ما تقطعش تصوير

– لأ ماهي قطعت تصوير

– مين قال، ملف الفيديو فيه خلل في عرض البيانات، علشان كده عرضه وقف فجأة، لكن أنا لو اشتغلت على الفيديو ده ممكن أرجعلك كتير من المشاهد اللي مش ظاهرة

لكم اندهش منه، يحمل عبقرية ما لكن ما يظهر منه هو الغباء

– يعني انت ممكن توريني حاجات تانية من الفيديو النهاردة؟

– لأ يا عم (حسام) انت تجبلي سيجارة الحشيش زي ما وعدتني علشان أخش أوضة المونتاج وأنا أشتغلك عليه براحتي

- خلاص بعد ما نخلص تصوير أول حلقة نشوف حكاية الفيديو، بس أهم حاجة محدش يعرف حاجة عنه لحد ما نشوف بقيته

رن جرس الباب ثانية فانتفض (راضي) من مكانه فقلت:

- إيه يلّلا هو احنا قاعدين قالعين مع بعض، استرجل كده وأمسك نفسك

ذهبت لأفتح الباب لأجد جاري في الشقة المقابلة وصديقي في الجامعة يقف أمامي وهو يرتدي بالطو أسود طويل يضع يده فيه كنوع من أنواع التدفئة، ويلف رقبته ورأسه بكوفية طويلة.

- إيه يا ابني مالك لابس زي المخبرين كده؟

نظر هو يمينًا ويسارًا وقال:

- هششششش وطي صوتك .. قولي انت قاعد لوحدك دلوقت؟

- إيه يا جماعة هو أنا حليت في عنيكم وللا إيه؟

هنا شعرت بمن يقف خلفي، لقد جاء (راضي) من الصالون ينظر لجاري بشك، مددت يدي نحو (راضي) وقلت:

- دا (راضي) صاحبي وزميلي في الشغل

ثم أشرت لجاري وقلت:

- أعرفك يا (راضي) بعشرة عمري وصاحبي وجاري .. أعرفك بفرغلي المستكاوي

نظر (راضي) لفرغلي بشك والأخير يبادله نفس النظرة، نظرت لهما وأنا أحدث نفسي عن كيفية تشابه شخصياتهم، قال (فرغلي) بصوتٍ جاد:

- ضامن صاحبك ده؟

- برقبتي

دخل (فرغلي) وصافح (راضي) ثم احتضنه بعمق وهو يربت على ظهره بيده، قال (راضي) وهو ينظر لي فرحًا:

- صاحبك ده شكله طيب أوي يا (حسام)

تركه (فرغلي) ونظر لي وهو يقول:

- امبارح بالليل كان فيه ناس بتسأل عليك في الشارع، شكلهم كانوا مخبرين

- يانهار اسود .. طب وعملت إيه؟

- ما تخافش، أنا لقطتهم وقلتلهم على كل حاجة عنك .. ابقى خلي بالك على نفسك يا صاحبي

قال (فرغلي) عبارته وخرج من باب الشقة واختفى على السلم وأنا أقف مذهولًا و(راضي) يقول:

- طب والله صاحبك ده فيه الخير، مالك يا (حسام) شكلك خايف؟

***

- صباح الفل يا باشا، اتصلت بيك ابارح علشان خدمة كده بس تليفونك كان مقفول

قالها (عبد الرحمن) لمحدثه على الهاتف المحمول وهو يقف في المطبخ يقطع الخبز الذي سخنه منذ قليل، حاول أن يكون صوته منخفض كي لا تسمعه (صفاء) وهو يقول:

- ألف سلامة على سعادتك، طب كده أنا هتعبك معايا بقى .. ربنا يخليك، الحكاية إن فيه واد مستلم تليفون بنتي معاكسة وكلمها من 3 أرقام مختلفين، أنا كلمته مرة وهزقته بس هو كان قليل الأدب ومحتاج يتربى، قبل ما يقفل السكة في وشي سمعت حد بيقوله (جعفر)، فمعلش يا باشا هتعبك معايا، هبعتلك الأرقام التلاتة في رسالة وشوفلنا كده أسماء أصحاب الخطوط دي، ولو حد فيهم اسمه (جعفر) ياريت تجيبلي اسمه بالكامل علشان أتصرف معاه .. تسلم معاليك، أنا منتظر تليفونك في أي وقت، مع السلامة سعادتك .. في رعاية الله

أغلق هاتفه ثم أخرج ورقة من جيبه ونقل منها الثلاثة أرقام هاتفية في رسالة على هاتفه وأرسلها لمحدثه.

أكمل تحضير الإفطار ثم وضعه على صينية وهو يخرج من المطبخ ويرصه على مائدة الطعام في الصالة، نادى بصوتٍ عال:

- (صفاء) .. قومي يا ماما من النوم علشان نفطر

انفتح باب غرفة نوم (صفاء) وخرجت مندهشة قائلة:

- إنت عملت فطار؟

- وأنا اللي فاكرك نايمة ولسة هصحيكي، تعالي يللا علشان نفطر

جلست هي على المنضدة فسحب هو مقعدًا ليجلس بجانبها، وضع الخبز أمامها فالتقطته وغمست قطعة منه في طبق الفول وهي تقول:

- شكلك نزلت تجيب فول مخصوص، مش عوايدك يا بابا

- أنا قلت مش مشكلة أتأخر على الشغل النهاردة شوية علشان أستناكي تصحي واصطبح بوشك

ابتسمت وهي تمضغ الطعام وقالت ساخرة:

- تصطبح بوشي!!

- أمال يا ماما، دا أنا كده أنزل شغلي متفائل واليوم يبقى زي الفل

لم تنظر له (صفاء) وهي تكمل طعامها فقال هو:

- (صفاء) .. ما تزعليش مني لو كنت قلبت وشي عليكي امبارح

- ده حقك يا بابا تزعل مني بعد ما عملت اللي عملته من غير ماتعرف

- لا يا ماما أنا مش زعلان منك، أنا امبارح كنت بفكر في شغلي علشان كده ضربت بوز عليكي، يا بت انتي عارفة أنا بخاف على زعلك قد إيه .. اضحكي بقى يا بنت الهبلة

ابتسمت (صفاء) بصدق ونظرت له قائلة:

- حقيقي يا بابا وشي بيفكرك بماما زي ما كنت بتحكيلي؟



- طبعًا.. انتي نسخة من طباعها الله يرحمها وشكلها بالظبط

- بس صورها مش شبهي

- كل واحد بيفتكر انه مش شبه أهله، لكن كل الناس هتشوف الشبه ده، لو كانت عايشة لحد دلوقت كنتي عرفتي إنكم فولة واتقسمت نصين

- أنا بحس ساعات إنك كنت بتحبها جدًا برغم إنكم اتجوزتم من غير حب

- مين اللي قال، أبويا لما بعتلي أروحله البلد في (ملوي) علشان أنقي عروسة من معارفه وشوفت أمك هناك في فرح واحد قريبي قلبي وقع على طول، قلبتلهم الدنيا لحد ما خطبونا لبعض، كنت هموت عليها، لما اتخطبنا اعترفتلي إنها كمان حبتني من أول نظرة في الفرح بس عملت نفسها مش شايفاني

ظهر التأثر على وجهه فجأة وهو ينظر للأرض ويقول:

- محدش قدر يملى عيني قبلها أو بعدها، كانت بتحب (ملوي) أوي وما رضيتش تخرج منها بعد الجواز، وانتي كنتي بتتربي معاها هناك وأنا أجيلكم كل أجازة، ما قدرتش أكسرلها كلمة، علشان كده لما ماتت جيبتك معايا هنا وحلفت ما أرجعش البلد تاني طالما مش هشوفها هناك

حاولت (صفاء) أن تخرج والدها من التأثر فقالت:

- يعني لو كنت اتربيت هناك كان زماني بتكلم بالصعيدي دلوقت

- إنتي تطولي يابت، الصعايدة دول هما الفراعنة، احنا اللي بنينا مصر



- إيه يا بابا انت هتقلب صعيدي فجأة ولا إيه؟

ضحك (عبد الرحمن) وهو يتناول الخبز ويقطع لنفسه لقمة وهو يقول:

- فكرتيني بالحب بتاع زمان، ألا انتي كمان مش ناوية تتجدعني كده وتحبي وتتجوزي علشان أخلص منك

توقفت (صفاء) عن الأكل وقالت:

- أول مرة تسألني يعني عن الحب

- وماله، دا أنا أبوكي وصاحبك في نفس الوقت، يوم ما تحبي تحكي لحد هتيجي وتحكيلي .. مش كده؟

- أه طبعًا يا بابا

قالتها (صفاء) بارتباك وهي تعود لتدفن عينيها في الأطباق أمامها، جاء صوت نغمة الرسائل من هاتفها المحمول داخل الغرفة فذهبت وأمسكت بهاتفها لتجد تلك الرسائل الروتينية التي تصلها منذ أخر لقاء بجعفر، فقد حولت رقم هاتفه المحمول لقائمة سوداء بعدما اشتركت في تلك الخاصية في شركة الهاتف، إن اتصل بها يعتقد بأن هاتفها مغلق بينما تصل رسالة لها لتعرف متى اتصل هو بها.. أتاها صوت والدها من الصالة يقول:

- إيه فيه حاجة يا (صفاء)؟

- لأ مفيش حاجة، دي رسايل فيها نكت بتجيلي من وقت للتاني

فجأة رن الهاتف باتصال من (حسام)، ردت بصوت خافت، أبلغها بأن موعد الدخول الليلة الساعة التاسعة، وهم سيمرون عليها في الثامنة

والنصف، طلب منها عنوان بيتها فأخبرته بأنها سترسله لها لكن عليه أن ينتظرها بعيدًا عن منزلها.

***

الساعة 5 مساءً

جلست على الأرض في شقة (أحمد عصفور) بعزبة النخل و(عمرو) يجلس أمامي وأنا أمسك ببعض الأوراق أسجل فيها ما يقوله (عمرو) عن أدوات التصوير:

- عندك 3 كاميرات ممكن نثبتهم على الحامل بتاعهم، بس معاييش توصيلات طويلة ليهم علشان أقدر أوصلهم بالمونيتور، لكن فيه كاميرا واحدة ليها توصيلة طويلة للمونيتور

فكرت قليلًا ثم قلت:

- يبقى احنا ممكن نستخدم أوضة في البيت نقعد فيها ونحط المونيتور ومعدات الصوت ونوصل الكاميرا بالمونيتور ونخليها في مكان واضح تكشف فيه بقية الكاميرات، قولي يا (عمرو) هو كل كاميرا من التلاتة تقدر تستحمل البطارية بتاعتها قد إيه؟

- حوالي 4 ساعات وكل واحدة معاها بطارية احتياطية يعني كل كاميرا تشتغل 8 ساعات مستريح، دا غير اننا ممكن نشحن البطارية اللي نشيلها على مولد الكهربا



قال عبارته وأشار لمولد الكهرباء الصامت الموضوع في طرف الصالة، قلت أنا:

- بس كده المولد مش هيستحمل معانا، خلي المولد نشغل بيه كشافات الإضاءة والمونيتور والمايكروفونات والسماعات، علشان يستحمل معانا طول الليل .. قولي إيه ظروف كشافات الإضاءة؟

- اكتب عندك إن فيه 6 كشافات إضاءة بالحوامل بتاعتهم، أنا في دماغي فكرة، احنا نعمل توصيلة طويلة لكل الكشافات علشان نقدر نوزعها في البيت وفتحها وقفلها يبقى جنبينا

- اشمعنى؟

- أصل مستحيل نحتاجهم كلهم مرة واحدة علشان ممكن يضربوا في وش الكاميرات، احنا كل ما نحتاج إضاءة أعلى نولع واحد جديد، وانت قلت إننا هنبقى في أوضة واحدة فيها كل حاجاتنا، يبقى بالمرة نخلي مولد الكهربا معانا في الأوضة ونخرج منه توصيلة لكل ستاند كشاف، نقفله ونفتحه من الأوضة لو شوفنا حاجة غريبة على شاشة المونيتور علشان نخلي الكاميرات التانية تسجلها بشكل أحسن

- طب طالما هتقدر تطول السلك الواصل للكشافات طب ما تطول السلك الواصل للكاميرات كلها علشان نوصل الأربع كاميرات بالمونيتور ونشوف هي شايفه إيه

- لو عملت حاجة في سلك أي كاميرا هتنكشف لما نرجع الحاجة للمخازن، إنما لو (أحمد عصفور) جابلي السلوك اللي أنا محتاجها هغير سلوك الكشافات وأطولها ولما نخلص أرجع السلوك القديمة لمكانها

- (أحمد) زمانه جاي من برا دلوقت، هبلغه باللي انت محتاجه

كتبت بعض الملاحظات ثم قلت:

- أنا عايز أحط مايكروفون بعيد عن كل كاميرا بحوالي 5 متر، علشان مايكروفون الكاميرا يسجل والمايكروفون البعيد عنها هو كمان يسجل

نظر لي (عمرو) وابتسم بطرف فمه وهو يقول:

- تفتكر هنسجل حاجة في الليلة دي؟

لن أخبره أنني متأكد أننا سنصطدم بشيءٍ مخيف كما اصطدمت به (صفاء) من قبل، لكن اكتفيت بأن أقول:

- قلبي حاسس إننا هنشوف حاجة

- أفتكر إني قلتلك قبل كده إنك محتاج كاميرات كتير وأجهزة تانية غير اللي معانا، إحنا هنسجل أول حلقة بأجهزة عادية واحتمال إنها تلقط حاجة غريبة احتمال ضعيف

- عارف، بس عندي أمل

زادت ابتسامة (عمرو) وقال:

- ما تخافش، إن شاء الله ننجح

فتح باب الشقة ودخل منه (أحمد) يحمل أكياس بلاستيكية كثيرة ويظهر الإرهاق على وجهه من صعود السلم، جرينا عليه لنساعده وأنا أقول بلهفة:

- جيبت الشاكوش والمسامير؟

- أه، ولفيت كتير لحد ما لقيت ستاير غامقة

أنزلنا الأكياس وبحثت داخلها حتى وجدت الستائر، أخرجتها وفردتها أمامي ليطمئن قلبي، نظرت لعمرو قائلًا:

- ها .. تفتكر لو علقنا الستاير دي على الشبابيك هتمنع إن حد يشوف إضاءة الكشافات من برا في الشارع؟

تفحصها (عمرو) جيدًا وقال بتردد:

- ممكن، بس ربنا يستر وما تسربش أي إضاءة

نظرت لأحمد قائلًا:

- معلش بقى هتنزل تشتري شوية حاجات هيحتاجها (عمرو) وعقبال ما ترجع نكون بدأنا نلم الحاجة في الصناديق

***

الساعة 7 مساءً

انتهت (صفاء) من ارتداء ملابسها وجلست على الفراش صامتة، ها هي تتحضر لدخول منزل (أبو خطوة) ثانية، لكن هذه المرة لا يدفعها

الشوق إلى الشهرة، بل الفضول .. بمجرد دخولها المنزل انهارت حياتها دفعة واحدة، (جعفر) الذي أحبته له صلة بهذا المنزل يظهر فجأة بعد الحادثة بلا سبب مقنع .. جزء كبير من ذاكرتها يختفي ولا يترك أي أثر.

علاقتها بوالدها دمرت أو في طريقها لذلك، حديثه معها اليوم أكد لها أنه إما يشعر بشيء أو عرف شيئًا ويود أن تتحدث هي.

وفوق كل هذا هناك شعور يتملكها بأن القادم أسوأ، يجب أن تعرف ما سر هذا المنزل وعلاقة (جعفر) به.

تذكرت شيئًا ما فجأة .. (جعفر) يرتدي بدلة سوداء كالتي يرتديها العريس في الأفراح، لقد رأت شيئًا مثل هذا قبل أن تصحو من نومها اليوم، لكن لماذا تهاجمها هذه الصورة كأنها ذكرى؟؟

(جعفر) يبتسم لها وهو يمد يده ويمسك بيدها .. أغمضت عينيها محاولة التعمق في التفاصيل

***

الساعة 7:30 مساءً

دفنت رأسي بين كفي مفكرًا في الساعات القادمة، حزمنا كل الأشياء في خمس صناديق كرتونية، وأدوات التصوير جاهزة في حقائبها الخاصة بها، والمولد الكهربي قمنا بتجربته أكثر من مرة ويعمل بكفاءة.

ننتظر الآن وصول (راضي) بسيارة زوج خالته كما اتفقنا، حدثه (أحمد) على هاتفه المحمول من ساعة وتأكد من حصوله على السيارة، في أي لحظة سيصل الآن.

هاتف (أحمد) يرن، أشار لي (أحمد) برأسه ففهمت أن المتصل (راضي) .. لقد وصل تحت المنزل، نهضت لأساعد (عمرو) في حمل الصناديق وفتحنا باب الشقة لنقوم بتنزيل كل شيء على مراحل، كل ما أرجوه أن تكون حقيبة السيارة الخلفية واسعة بشكلٍ كافٍ لتتمكن من حمل كل شيء، وإلا سنضطر لتحميل كل شيء بالسيارة ونستقل نحن تاكسي ليمكننا المرور على منزل (صفاء).

نزلت طوابق العمارة بسرعة وخرجت للشارع أبحث عن (راضي)، لم أجده في البداية لكني سمعت صوته يهتف:

- أنا أهو يا (حسام)

نظرت لمصدر صوته فوجدته يجلس في مقعد السائق لسيارة ميكروباص، وضعت الصناديق على الأرض وأنا أخبط بيدي على رأسي .. ما كان يجب أن أترك هذه المهمة لراضي، ترجل هو من مقعد السائق وسار ناحيتي وهو يقول:

- إيه رأيك، عربية 14 راكب .. لأ وعضمها ناشف ويعجبك

- حد قالك إننا طالعين مصيف؟ جاي بميكروباص ليه

- ماهي دي عربية جوز خالتي .. إنتوا ما حددتوش نوع معين للعربية



- وانت هتركن الميكروباص ده قدام البيت؟ دا انت هتفضحنا

كان (عمرو) قد وصل خلفي وهو يحمل بضعة صناديق، نظر للميكروباص ثم لي ولراضي، وانهار في الضحك

***

الساعة 7:50 مساءً

وقف (جابر) في الحديقة الخارجية لمنزله مرتديًا بدلة رمادية بقميص أبيض وربطة عنق من نفس لون البدلة وهو يشبك ذراعيه أمام صدره ناظرًا لباب المنزل الحديدي بلهفة، توقفت سيارة قديمة الطراز أمام باب المنزل فابتسم (جابر) وهو يخرج ريموت كنترول صغير من جيبه ويضغط زر لينفتح الباب اتوماتيكيًا، دخلت السيارة ثم ركنها سائقها بجوار الباب الذي أغلقه (جابر) وهو يسير بخطى سريعة ناحية السائق وهو يصيح فرحًا:

- ازيك يا عم (سامي)، عامل إيه ياراجل يا أبو كرش

خرج (سامي) من السيارة مبتسمًا وجرى ناحية (جابر) ليحتضنه قائلًا:

- واحشني يا دكتور

(سامي) هو سائق (جابر) و(سلوى) منذ أن كان (سامي) في العشرين من عمره، لم يتركهما لحظة حتى انعزل (جابر) منذ سنوات فأعطى (سامي) إجازة مدفوعة الأجر، راتبه الشهري لم يتوقف بل ويزيد كل عام، ومن وقت لآخر يطلبه (جابر) ليقضي له بعض المشاوير.



تحول (سامي) الذي وصل للستين من عمره الآن إلى فرد من العائلة بشكل أو بآخر، مازال يحترم (جابر) ويوقره ولم يرفع التكليف في الحديث ولو مرة طوال مدة معرفته به، لكن مع الوقت صار (سامي) شخص يذكره بزوجته، فمن وقت لآخر يتبادلون الذكريات المشتركة والتي مازلت سرًا مقبرًا في جعبة (سامي)، فكل ما رآه مع (جابر) كان من المستحيل أن يحكيه حتى بينه وبين نفسه، و(جابر) كان يثق فيه ثقة عمياء، تقترب من ثقته بزوجته.

دخل الاثنان المنزل ووقفا أمام قاعة المكتب و(جابر) يقول:

– قولي أخدت الأدوية بتاعتك قبل الأكل؟

– لا

– ولا أنا .. جميل.. يللا بينا نموت نفسنا

أخذه من يده ودخلا المكتب ليجدا (نهلة) قد وضعت منضدة في وسط القاعة وحولها ثلاثة مقاعد، وعلى المنضدة تراصت الأصناف التي طلبها (جابر) منها، كانت تقف بجانب المنضدة حتى رأتهما يدخلا فجريت لتسلم على (سامي) باحترام.

– يللا بينا نلغوص

قالها (جابر) وهو يدفع (سامي) ليجلس على المنضدة ويضع أمامه قطعة من البطة، جلست (نهلة) بجانب (جابر) وقد تعودت على تناول الطعام معه من وقتٍ لآخر.

- كل وغذي نفسك كده يا عم (سامي) علشان عندنا مشاوير مهمة الليلة

- ربنا يكتر خيرك يا دكتور

(جابر) يتناول من الصنوف المختلفة بكمية كبيرة وهو يخرج أصوات استمتاع من آن لأخر من فمه، كأنه يقهر توتره بالطعام.

- فاكر يا عم (سامي) حتة كنت بتوصلني فيها زمان اسمها (أبو النور)؟

توقف (سامي) عن تناول الطعام ونظر لجابر قائلًا:

- فاكر

- عايزيين نطلع عليها النهاردة

نظرات (سامي) حملت خليط عجيب من الحيرة والخوف والقلق، انتبه (جابر) له فابتسم وقال:

- كل بس دلوقت ونتكلم بعد ما نخلص لحسن أنا جعان أوي

لم يستطع (سامي) تناول الطعام بشهية حقيقية، لكنه خاف من رفض الطعام كي لا يغضب (جابر) .. مرت عشر دقائق من الصمت يتخللها صوت المضغ من حين لآخر بعدها قام (جابر) واتجه للحمام الملحق بالمكتب ليغسل يده.

لحق به (سامي) ثم خرجا من المكتب إلى الحديقة الخارجية يتمشيان على مهل...

- اتخضيت ليه يا عم (سامي) لما قلتلك (أبو النور)؟

- افتكرت يا دكتور اللي حصل في البلد دي زمان، وافتكرت كلام الست (سلوى) مرات حضرتك لما قالتلي إني هوصلك ليها تاني

- فاكر بيت (عبد الفتاح الدهان)؟

- فاكر مكانه كويس، حتى لو اتغيرت المباني حواليه

اقتربا من جراج المنزل و(سامي) يقول:

- فاكر يا دكتور لما الست (سلوى) الله يرحمها خلتني أروحلك على (أبو النور) وألحقك قبل ما تحصل حاجة

دخلا الجراج في تلك اللحظة فتأمل (جابر) الثلاث سيارات من موديل مرسيدس أسود اللون، اقترب من إحداها وأزاح الغطاء عنها لتظهر مرسيدس قديمة موديل الثمانينات سوداء كبقية السيارات التي امتلكها (جابر)، هذه السيارة بالذات كانت تمتلك ثقوبًا كثيرة على إحدى جانبيها، تحسسها (جابر) وهو يقول:

- فاكر يا عم (سامي) كويس، سنة 93 كنت ناوي ألحق مصيبة قبل ما تحصل، لكن الظاهر إني عجلت بيها بدل ما أمنعها

اقترب (سامي) من السيارة وتحسس الثقوب وهو يقول:

- كان نفسي أسأل حضرتك من زمان إيه اللي خلى عربيتك تنصاب بالرصاص الليلة دي

ابتسم (جعفر) وهو يتذكر

* * *

خرجت السيارات منذ عشر دقائق وقد قرر الحاج أن يذهبا إلى خارج القناطر نهائيًا مقتربين من الطريق المؤدي لشبرا، ففي شبرا سيتمكن من إخفاء النساء والأطفال في منزل أحد معارفه .. ولكن خيبت آمال الحاج بمجرد أن رأى في المرآة الجانبية سيارة مرسيدس سوداء تظهر على الطريق لتقترب منهم، كيف علم أبناء (السلاموني) بخروجهم بالسيارات على طريق القناطر المتجه لشبرا؟؟

وكيف لحقوا بهم بهذه السرعة!! لم يأخذ الحاج الكثير من الوقت للتفكير فأمر حفيده بإبطاء سيارتهم ثم أشار بيده من النافذة للسيارتين الأخريين كي تتقدماه وحفيده يبطئ السيارة أكثر حتى أصبحت السيارة المرسيدسخلف سيارة الحاج.

من داخل السيارة المرسيدس انطلق صوت سائقها يصرخ بقوة:

– اقف يا (دهان)

فجأة خرج الحاج بنصفه العلوي من نافذة السيارة وهو يمسك ببندقيته الآلية ويقوم بتوجيه فوهتها إلى السيارة المرسيدس ويطلق دفعة رصاصات اصطدمت بعضها بجسد السيارة فقام سائقها بالانحراف لليسار بقوة والخروج من الطريق بينما سيارة الحاج تبتعد بسرعة بعد أن تأكدت من وقوف السيارة المطاردة على جانب الطريق.

***



قال (جابر) وهو يبتسم بحنين:

- الله يرحمها (سلوى) ما كانتش راضية على اللي كنت هعمله .. بعتتك ورايا تلحقني .. بس كده كده ما كنتش هعرف أعمل حاجة

سار ناحية السيارة الثالثة وكشف غطائها لتظهر مرسيدس موديل 98.

- يللا دور العربية وسخنها علشان هنروح بيها لبيت (الدهان)

قال عبارته وأخرج مفتاح السيارة من جيبه وأعطاه لسامي، خرج هو من الجراج وأخرج هاتفه المحمول ليطلب رقم (سليمان)

- أيوا يا ابني، اتصل بعبد الرحمن وقابله في بيته في الميعاد اللي أنا مديهولك بالظبط، إوعى تتأخر أو تقابله بدري .. إنت عارف هتعمل إيه بعد كده .. خلي بالك على نفسك

كان يتحدث وهو يسير في الحديقة حتى عاد لقاعة المكتب ودخلها، فتح أحد أدراج المكتب ليخرج منه مفكرة صغيرة، فتحها وهو ينظر بها قليلًا ثم يضعها في جيب بدلته.

***

الساعة 8:35 مساءً

ها قد وصلنا إلى بداية الشارع الذي تقطنه (صفاء)، حدثتها على هاتفها المحمول منذ دقائق لتنزل .. ها هي تقف بعيدًا عن الميكروباص الذي يقوده (راضي) نزلت أنا منه واقتربت منها حتى رأتني.

أشرت لها لتركب معي الميكروباص، في البداية اندهشت لكنها لم تتردد، دخلت للميكروباص معي وأنا أعرفها على أفراد الفريق، وجهها يصرخ بالإحراج كما تصرخ وجوه الباقيين كذلك.

- منورة يا باشمهندسة (صفاء)، إن شاء الله تنبسطي معانا

قال (راضي) تلك العبارة وهو يقود السيارة فقلت أنا:

- زي ما قلتلك (راضي) مهندس محترم بس هو دلوقت متقمص دور سواق ميكروباص، ما تخافيش منه هتتعودي عليه

***

الساعة 9 مساءًا

وقف (سليمان) بجانب العمارة التي يقطن بها (عبد الرحمن)، أخرج هاتفه المحمول واتصل عليه

- أيوا يا (عبد الرحمن) باشا، أنا مستنيك تحت بيتك دلوقت، ياريت تجيلي علشان عندي كلام مهم مش هينفع تسمعه في التليفون

نظر (سليمان) لساعة يده وهو يقول:

- موضوع ليه علاقة ببنت حضرتك، أنا منتظرك وإن شاء الله خير

***

عند اقترابنا من المنزل أشارت لنا (صفاء) كي نتوقف

- (راضي) إطفي كل أنوار ميكروباص جوز خالتك لما تلف الملف الجاي

كانت تلك مني، نفذ (راضي) ما أمرته به وأصبحنا على نفس صف المنزل، قلت لراضي بسرعة

- البيت وراه أرض فاضية، خش من جنب البيت ولف وراه علشان نركن التهمة دي في ضهره

رهاني سيكون على الظلام المحيط بالمنزل وبالأرض الشاسعة حوله، لربما أخفى الظلام بعض من ملامح الميكروباص.

و(راضي) يقترب من المنزل صدقت كلمات (صفاء) عندما وصفت المنزل بأنه بعيد عن العمارات وكأن المباني تخشاه، هذا غير أن حركة المارين والسيارات الآن معدومة وهو ما فاق أحلامي.

دخلنا في جوار المنزل ولففنا من حوله ليغشانا الظلام، المنزل فعلًا يسبح في الظلام التام والذي كما يعتبر ميزة يعتبر عيبًا إن أحدثنا جلبة داخل هذا المنزل، ها قد توقفنا خلفه بعيدًا عن الطريق الرئيسي وانطفأ محرك السيارة وغرقنا في الصمت والظلام.

- وحدووووووووووووووووووه

بالطبع قائلها هو (راضي)، شعرت بأن (صفاء) ترتعش فقلت لها

- إهدي يا حاجة علشان كلنا خايفين بجد بس ماسكين نفسنا علشان انتي معانا

قال (راضي) ثانية:

- وحدوووووووووووووووه

- ما ترمي تراب على وشنا أحسن وترمينا في القبر، يللا انزل علشان انت اللي هتفتح باب البيت

قالت (صفاء):

- هتلاقوا الباب مفتوح

- إزاي؟ أكيد صاحب البيت مش هيسيبه كده

- كان مفتوح لما جيته آخر مرة

- بس أنا قريت في المقالة اللي انكتبت عنك إن صاحب البيت كان قافله واستغرب إنك عرفتي تدخلي، حتى لو كان ناسيه مفتوح فأكيد المرة دي مش هينسى

ترجلنا كلنا من السيارة ونحن نتحدث بصوت خافت، قال (عمرو):

- احنا هنخرّج الصناديق وشنط المعدات ولما انت و(راضي) تشوفوا موضوع باب البيت ترجعولنا علشان تشيلوا معانا

هززت رأسي متفهمًا ثم نظرت لصفاء قائلًا:

- قدامك فرصة لو حابة ترجعي دلوقت

- مش هينفع أرجع، بابا ممكن يرجع البيت في أي لحظة وهيعرف إني مشيت من البيت، الليلة أنا يا قاتل يا مقتول



سمعت (أحمد) يهمس لراضي ويقول:

– هو إيه حكاية أبو (صفاء) ده

رد عليه (راضي) بثقة:

– تلاقيها مشاكل نفسية .. عقدة أوديب

– هو مش أوديب ده اللي عنده مشكلة مع أمه؟

نظر له (راضي) بلا أي تعبير كأنه يبحث عن إجابة، سحبته من يده لنلتف حول المنزل وأنا أقول:

– ها جهزت عدة شغلك؟

– سيبها على الله

أصبحنا أمام بوابة المنزل، نظرت حولنا جيدًا فلم أر أي شخص يسير على الطريق، وقفت أمام البوابة بجانب (راضي)، لكن قبل أن يفعل هو أي شيء طرأ على بالي هاجس .. مددت يدي لمقبض الباب وأدرته فانفتحت البوابة بسلاسة!!!

الموضوع لا يطمئن، الصدف لا تحدث مرتين، لقد تركت البوابة مفتوحة عن عمد.

عدت مع (راضي) للفريق ساهمًا حتى رأتني (صفاء) وقالت:

– الباب مفتوح زي ما قلتلك صح؟

هززت رأسي بالإيجاب، فقال (عمرو):

- وقفتنا هنا كتير غلط، يللا ندخل دلوقت، كل واحد فينا يشيل شوية حاجات ويخش، بس لازم نبقى ورا بعض بمسافة بعيدة علشان شكلنا ما يلفتش نظر حد

وزعنا الصناديق والحقائب علينا واتفقنا أن يدخل (أحمد) في البداية ومعه كشاف إضاءة وينتظر داخل حوش المنزل، وبعده (صفاء) وبعده (راضي) و(عمرو) ليحملا مولد الكهرباء، ثم أنتظر أنا للنهاية وأدخل.

تسلل الجميع واحدًا وراء الآخر حتى أصبحت أقف وحيدًا مع أربعة حقائب، انتظرت مدة كافية ثم رفعت الحقائب، حانت مني التفاتة لنافذة للمنزل تطل على موقعي، هل لعب الظلام برأسي أم أن هناك من يقف خلف تلك النافذة يراقبني؟

ركزت نظري فشعرت بأن من يقف خلف النافذة يتحرك مبتعدًا.

لن أتراجع الآن فقد دخل الجميع للمنزل، لا مفر، أسرعت بخطواتي لأدخل المنزل كي أشعر بالأمان بجانبهم، ولكن مظهري فضحني عندما عبرت البوابة وأغلقتها خلفي وجدتهم يقفون داخل مدخل حوش المنزل.

ما هذا الدفء؟ أشعر به يحيط بي، درجة برودة الجو في الخارج لا تتفق مع داخل المنزل، كأنني أشعلت مدفأة قوية لدرجة أنني بدأت أشك في حالتي، هل هو تأثير الخوف؟

صعدت بضعة درجات من الأسمنت لأدخل لحوش المنزل، الكشاف في يد (أحمد) مضاء لكنه موجه لأسفل ليحافظ على عدم تسرب شعاع الضوء لخارج المنزل.



- هي دي الشقة

أشارت (صفاء) بيدها للشقة التي تقع على يسار الداخل للمنزل، على ضوء كشاف (أحمد) وجدت باب الشقة الخشبي مفتوح، هذا الباب حديث الإنشاء، أو هكذا أتوقع، تقدمنا (أحمد) بالكشاف شاهرًا إياه لداخل الشقة، دخل الجميع وأنا آخرهم.

سأحاول وصف الشقة على قدر استطاعتي، في البداية أقدر مساحة تلك الشقة بحوالي 200 متر أو أقل، بعد الدخول من الباب سترى صالة واسعة جدًا، على يمين الداخل باب يفضي لغرفة بلا نوافذ، نفس الغرفة التي خرج منها الشيء الغريب في أحلامي كما خرج لصفاء في مقطع الفيديو الذي شاهدته.

هناك غرفة أخرى بجانبها تحتوي على نافذة عريضة، في الواقع بقية غرف المنزل لها نوافذها الخاصة، حتى الصالة بها تلك النافذة الكبيرة المطلة على الخارج.

هناك ممر واسع يبدأ بعد الصالة بمجرد دخولك إياه ستجد غرفة على يمينك وغرفة على يسارك، الغرفة على اليمين هي ما اتخذناها مجلسنا لنصب الأدوات.

في نهاية الممر حجرتان أعتقد أنهما يمثلا الحمام والمطبخ، أرض الشقة تمتلئ بالرمال الناعمة والحوائط يلطخها الأسمنت أو ربما كان يغطيها قديمًا وتساقط في معظم المواضع ليظهر الطوب الأحمر القديم.

فجأة أضيء مصباح معلق في السقف بالضوء الأصفر، أجفلنا ونظرنا حولنا لنجد (صفاء) تقف عند الحائط المجاور للباب بجانب زر إضاءة قديم من الذي يرتفع وينخفض مصدرًا صوتًا عاليًا.

– إيه ده؟ هو البيت ده واصله كهربا؟

قالها (عمرو) فردت (صفاء):

– مش عارفة بس أنا فاكرة مكان زرار الكهرباء ده من آخر مرة جيت هنا

هنا قال (أحمد) بدهشة:

– وصاحب البيت بيدفع الكهربا وهو مش عايش فيه إزاي؟

نظرنا لبعضنا البعض وخاطر ما يلعب برأسي، الباب المفتوح والضوء الجاهز، هل هناك من يعلم بحضورنا؟

أخرجت الستائر من صندوقها والمطرقة والمسامير، ساعدني (أحمد) في تعليق واحدة منها على نافذة الصالة، ثبتها بالمسامير، حبات العرق المتساقطة من جبين (أحمد) أثبتت لي أن المكان دافئ بشكل مريب فعلًا.

علقنا الستائر في غرفتين ثم عدنا لننصب المعدات، (صفاء) تنظر لنا مراقبة ما يحدث نحن نخرج كشافات الإضاءة ونضع اثنين في ركني الصالة، وواحدة في كل غرفة من الغرفتين المطلتين على الصالة.

– مش عايز تحط إضاءة في حتة تانية؟

قالها (أحمد) فقلت أنا



- لأ كفاية أوي دول مش هنحتاج غيرهم

نظر لي (راضي) وقد فهم أن ما يهمني فعلًا هي تلك الغرف التي رأيتها في الفيديو.

وضعنا كاميرا ومايكروفون في كل غرفة من الإثنين وكاميرا في ركن الصالة ليقوموا بالتسجيل عند بدأ تشغيلهم، أما في ركن الصالة القريب من الممر وضعنا كاميرا لتكون هي عيننا على بقية الكاميرات، تكشف لنا أي حدث غريب ونحن داخل الغرفة فيمكننا فتح إضاءة الكشافات في أي وقت بسهولة.

أوصلنا أسلاك الكشافات التي عدلها (عمرو) للغرفة التي سنجلس بها، فرش (عمرو) على الأرض ملاءة أخرجها من إحدى الصناديق ووضع عليها المونيتور بحرص بجانب وحدة تحكم المايكروفونات والتي تخرج منها سماعة كبيرة.

نقلنا المولد الكهربي لغرفة المعدات كما سأسميها من هذه اللحظة وقد كانت بلا مصباح، كان (عمرو) يقوم بعمل بعض التوصيلات بين كل معدات التصوير والمونيتور وبين مولد الكهرباء .. فجأة توقف ونظر لي، لم أفهم سبب توقفه.

نظرت حولي فوجدت (أحمد) و(صفاء) و(راضي) ينظرون لبعضهم البعض، في اللحظة التالية فهمت، كلنا نجتمع في غرفة واحدة، من إذن يصدر هذا الصوت في الصالة؟؟

صوت أنين لم أسمعه بيسر في البداية، الآن أصبح واضحًا، إنه بكاء طفل!!!

أخرج (أحمد) رأسه من باب الغرفة لينظر للصالة لكنه عاد لينظر لنا قائلًا برهبة:

– لمبة الصالة مطفية، حد فيكم طفاها؟

لم ينطق شخص في الغرفة لكن وجوهنا أجابته، تناول المصباح اليدوي الذي كان يحمله عند دخوله وأضاءه قائلًا:

– أنا خارج أشوف فيه إيه

شجاعته أشعرتني بالغيرة فانضممت له ثم انضم لنا (عمرو)، خرج (أحمد) من الغرفة يتقدمنا بالكشاف، خرجنا من الممر للصالة، صوت البكاء أصبح واضحًا.

وسط الصالة على الأرض رأينا فتاة تقف تنظر لنا برعب، تراجع (أحمد) للوراء فاصطدم بي، صرخت الفتاة فجأة واختفت واختفى معها صوت البكاء.

الشعور الذي تملكني هو شعور بوجوب الهروب من باب الشقة حالًا

– (حسام) الحكاية شكلها بجد، لازم نمشي

كانت تلك من (عمرو) الذي نبتت حبات عرق غزيرة ملأت وجهه، لكن صوت (أحمد) أصبح غاضبًا وهو يقول:

– اسكت .. إحنا جايين هنا نصور، إمسك نفسك

قالها وعاد للممر وخلفه (عمرو) بينما أنا ألقيت نظر أخيرة على الصالة، في تلك النظرة تخشبت وأنا أرى (صفاء) تقف بجانب الباب تنظر لي بفزع مثلما أنظر لها، جريت وعبرت الممر إلى غرفة المعدات لأجد (صفاء) جالسة تفترش الأرض.

***

الساعة 9:30 مساءً

ركن (عبد الرحمن) سيارته أمام العمارة بلهفة وترجل منها ليجد (سليمان) يقف عند باب العمارة ينظر لساعته، قال لنفسه ما سر حب هذا الرجل ووالده في النظر للساعات؟

اتجه ناحيته وصافحه

– خير إيه اللي حصل؟

– تعالى نطلع شقتك بس وهفهمك

صعدا سلالم العمارة ومن آنٍ لآخر ينظر (عبد الرحمن) خلفه لسليمان بشك، وصلا لباب الشقة ففتحه وهو يقول:

– ثواني هشوف (صفاء) نايمة ولا صاحية

– ما تتعبش نفسك، (صفاء) مش في الشقة

قالها (سليمان) ثم انتظر لحظة ليرى وقع عبارته على (عبد الرحمن) الذي قطب حاجبية لثوان وهو ينظر له ثم دخل للشقة و(سليمان) يتبعه للداخل ويغلق خلفه الباب.

أخرج (عبد الرحمن) هاتفه المحمول وطلب رقم هاتف ابنته فوجده مغلق

– صدقني (صفاء) خرجت من البيت ساعة ما كلمتك وقلتلك تعالالي

– إنتوا لسه بتراقبوها

– لأ، بس كنا بنراقب اللي هي خرجت معاهم، فريق تصوير رايح يعمل حلقة عن بيت (أبو خطوة) وخدوها معاهم علشان تحضر تصوير الحلقة في البيت

اتسعت عين (عبد الرحمن)

– ما تخافش تعالى معايا وأنا هوصلك بعربيتي لحد البيت علشان نلحقها

رن جرس هاتف (عبد الرحمن) المحمول فنظر للرقم ثم فتح الهاتف وهو يدخل غرفة نومه كي لا يسمعه (سليمان).

– أيوا يا باشا .. معاك، فيه خطين من اللي إديتك أرقامهم واقفين من زمان .. طب والرقم التالت؟ عرفت اسمه بالكامل، طب بعد إذنك مليهولي

قال (عبد الرحمن) عبارته لمحدثه وهو يخرج ورقة من جيبه

– معاك ياباشا .. (جعفر صابر عبد الفتاح) .. تمام (عبد الفتاح محمد الدهان)

تخشب جسد (عبد الرحمن) بموضعه لثوانٍ حتى قال:

– أنا لسه مع حضرتك .. أيوا بشكرك جدًا على الخدمة دي بس مضطر أقفل

قال عبارته ساهمًا وكأنه منوم مغناطيسيًا، أغلق الهاتف وصوت أنفاسه تعلو وهو يجاهد ليلتقطها.

نظر للمرآة التي تعلو التسريحة في غرفة نومه، تأمل فيها نفسه وهيئته وملابسه، كان يرتدي جاكيت أسود وهو في الخارج، خلعه من عليه ببطء ووقف بقميصه وسرواله أمام المرآة وهو يتأمل نفسه للمرة الأخيرة.

مازال يتنفس بصعوبة لكنه سيطر على أعصابه قبل الانهيار، شعر بجفاف حلقه لكنه ابتلع ريقه وخرج من الغرفة ينظر لسليمان الواقف وهو يقول له:

– يللا بينا علشان توصلني على بيت (أبو خطوة)

– مالك يا (عبد الرحمن) باشا؟

لم يرد (عبد الرحمن) وهو يفتح باب الشقة ويخرج منه، تبعه (سليمان) صامتًا وهو يغلق باب الشقة خلفه.

***

– يعني مفيش فايدة فيك يا (جعفر)، مش عايز تشتغل معانا؟!

قالها (سميح) وهو يطفئ سيجارته في المطفأة أمامه، كانا يجلسان في الصالون في منزل العائلة، وأمامهما أكواب الشاي الفارغة، بينما (جعفر) يشبك ذراعيه أمام صدره بملامح وجه جامدة بلا تعبيرات وهو يقول:

- طريقي غير طريقكم، الأول أحل مشكلة بيت (أبو خطوة) وبعديها أدور على طريقي

جاءت صوت طرقات على باب الصالون

- ادخل

قالها (سميح) فدخل أحد رجاله قائلًا:

- فيه واحد برا عايز يقابلك، بيقول اسمه (جابر عبد السيد)

نهض (جعفر) من موضعه بينما حاول (سميح) تذكر الاسم للحظات، لمعت عيناه وهو يقول للرجل:

- دخله هنا علينا الصالون بسرعة

خرج الرجل بينما نظر (جعفر) لسميح الذي بادله نفس النظرة، حتى قال (سميح):

- (مسعد) قاللي على الإسم ده من يومين

دخل الرجل مرة أخرى وخلفه (جابر) الذي وقف عند الباب مبتسمًا وهو ينظر لسميح ويقول:

- كبرت ماشاء الله يا (سميح).. أكيد مش فاكرني لأنك كنت لسه عيل بتعملها على جلابية جدك (عبد الفتاح)

أشار (سميح) للرجل بمغادرة الغرفة، وهو يتأمل (جابر) ويقول بشك:

- إنت كنت تعرف جدي الله يرحمه؟

- الله يرحمه إيه يا راجل ما تفولش عليه، ربنا يديله طولة العمر ويفرح بحفيده (جعفر)

قال (جابر) تلك العبارة ثم نظر لجعفر الذي كان ينظر له مرتبكًا، اختفى جزء من الابتسامة من على وجه (جابر) وهو يحرك طرف لسانه ماسحًا شفتيه، ثم قال:

- إزيك يا (جعفر)؟

- حضرتك مين؟

- أنا دكتور/جابر، كنت صاحب جدك زمان أوي، المفروض إنك ما تعرفنيش لأنك ما كنتش لسه اتولدت ساعتها، لكن شكلك بيقول إنك بتشبه عليا

- جدي مات من زمان يا أستاذ (جابر)، حضرتك ما تعرفش ولا إيه؟

قال (سميح) العبارة السابقة وهو يتناول علبة سجائره من على المنضدة ويشعل سيجارة منها، تقدم (جابر) ناحيته حتى اقترب منه جدًا وقال:

- (عبد الفتاح) لسه عايش، وهو دلوقت في أوضة واسعة تحت البيت ده، مدخلها من أوضة الضيوف؛ بلغه إني جاي أقابله، وهو هيوافق



- إنت مين؟

- ما تخافش مش بوليس، روح بلغه وانت هتفهم

هنا قال (جعفر):

- من غير ما تبلغ جدي، هو نفسه يشوفه فعلًا، خليه ينزل معانا على طول

لم ينزل (سميح) عينيه من على (جابر) الذي قال:

- أنا جيبت لجدك عفو مرضي من شهرين من الرئاسة، ما تخافش أنا جاي أحللكم مشاكلكم

- أنا هنزلك دلوقتي، لكن اسمع يا أستاذ، لو فكرت تضر جدي بأي طريقة مش هتخرج من البيت ده، هتندفن تحتيه، وطالما انت عارف جدي فين يبقى عارف إني بتكلم بجد

- عارف يا ابني

- تعالى ورايا

خرج (سميح) من غرفة الصالون يتبعه (جابر) و(جعفر) الذي لم يستطع إنزال عينيه من على (جابر) الذي كان يسير بخطى بطيئة واثقة وهو يتبع (سميح) لغرفة نوم الضيوف، دخلوا جميعًا الغرفة ففتح (سميح) الدولاب وفتح الباب الخفي به وهو ينزل درجات السلم و(جابر) يسير خلفه.

وصل الجميع لباب غرفة الحاج (عبد الفتاح) و(سميح) يفتحه، نادى هنا (جابر) بصوتٍ عالٍ قائلًا:

– إوعى تكون نسيت صوتي يا (عبد الفتاح)

كان (عبد الفتاح) يجلس على الأرض وظهره يستند للحائط، نهض بصعوبة ووقف على قدمه عندما سمع صوت (جابر) الذي قال وهو يدخل الغرفة:

– دا إنت بقيت أقرع زيي أهو، يا راجل دا أحلى حاجة فيك كانت شعرك

تهلل وجه (عبد الفتاح) ومد يده للأمام وهو يقول:

– دكتور (جابر)

احتضنه (جابر) بفرحة و(عبد الفتاح) يبادله نفس الشعور وهو يقول:

– مش مصدق إنك لسه عايش

– ولا أنا ... تعالى بقى علشان أنا جاي أقولك كلام يريحك

***

الساعة 9:55 مساءً

حاولت (صفاء) الاستفسار عما شاهدناه في الصالة لكنني قلت لها بسرعة:

- شوية خيالات مالهاش معنى، المهم نلحق نجهز شغلنا علشان يبقى عندنا إضاءة

جرى (عمرو) بلهفة يكمل التوصيلات وهو يبادلني النظرات من وقتٍ لآخر، بعد دقائق مرت كالساعات على أعصابي قال (عمرو):

- خلاص أنا عملت كل التوصيلات بالمولد، ممكن نشغل ستاندات الإضاءة

وقف (عمرو) بجانب مولد الكهرباء وهو يجذب السلك الظاهر منه ليدير الموتور الخاص به، جذبه مرة ولم يعمل، مرة ثانية وثالثة ورابعة ولم يعمل أيضًا!!! لقد اختبرناه منذ ساعات وكان على ما يرام .. في المرة الخامسة دارت مراوح الموتور وسمعنا صوتًا من المولد يشبه صوت هدير المروحة، صوته صامت بدرجة كافية لنا.

ضغط (عمرو) على بضعة أزرار فجاء ضوء الكشافات البيضاء من الصالة، أشرت لعمرو ليأتي معي لنشغل جميع الكاميرات الآن، طلبت (صفاء) أن تذهب معنا فلم أمانع.

خرجنا من الغرفة إلى الممر ونحن نشاهد الكشافات البيضاء تنير الغرفتين والصالة بقوة شديدة أشعرتني بقليل من الأمان النفسي، شغلنا ثلاثة كاميرات على وضع التسجيل والكاميرا المتصلة بالمونيتور قمنا بتشغيلها على وضعية العرض فقط لنرى ما يحدث في الصالة والغرفتين بشكلٍ عام.

هناك مشكلة واحدة لم نفهمها، الكاميرا في تلك الغرفة التي بلا نوافذ عندما قمنا بتشغيلها شاهدنا على شاشة العرض الصغيرة الملتصقة بالكاميرا



مشهدًا للغرفة لكن ممتلئًا بالخيوط، خيوط مرتسمة على المشهد بالعرض مع ارتعاش بسيط للكادر داخل شاشة العرض.

أطفأها (عمرو) وشغلها ثانية فظهر نفس المشهد، خرجنا للصالة ووقفنا وراء الكاميرا التي تكشف الغرفتين فوجدنا مشهد للغرفة يظهر بشكل طبيعي!! .. طلبت من (عمرو) أن يترك الكاميرا في الغرفة بوضعية التسجيل كما هي لربما كان العيب من شاشة العرض نفسها.

عدنا لغرفة المعدات وجلسنا جميعًا خلف المونيتور الذي يعرض مشهدًا عامًا للصالة، قمنا بإطفاء كل كشافات الإضاءة وتركنا واحدًا في الصالة فقط.

– أستاذة (صفاء) .. هو حضرتك لما كنتي هنا آخر مرة شوفتي إيه؟

قال (أحمد) عبارته السابقة بأدب وهو يعتدل في وضعية جلوسه على الأرض ليواجهها

– مش فاكرة حاجة، كل اللي فاكراه إني خرجت بجري من البيت من غير سبب

– طب ترضي تعملي معانا لقاء علشان نضمه لأول حلقة في برنامجنا

– إن شاء الله

– جايبلنا إيه ناكله يا اسطى

قالها (راضي) وهو يفتح إحدى الصناديق ويبحث بها فرد (أحمد) عليه:



- هتلاقي عندك كشري في الصندوق التاني

عيني تركزت على المونيتور بينما جلس (راضي) بجانبي متربعًا على الأرض وهو يحمل علبة الكشري ويقلبها بالملعقة البلاستيكية ويأكل منها، نظرت له وقلت:

- (راضي) إنت محسسني إنك جاي رحلة للقناطر، أكل إيه اللي بتدور عليه

اتسعت عينيه فجأة وأخذ في السعال، لم أتمالك نفسي من الضحك على مظهره وهو ينتفض في موضعه ويزوم، رفع يده ناحيتي لكنني فهمت، يده تشير للمونيتور، نظرت للشاشة فشاهدت عليها دماء على أرض الصالة .. بركة من الدماء تتسع، الدماء تتحرك ببطء يمينًا ويسارًا بسلاسة على الرمال.

الجميع تجمع خلفي وهم يشاهدون ما يحدث .. المصباح المعلق في سقف الصالة أضاء ثانية ثم انطفأ .. أمسكت رأسي من الألم، ألم في مقدمة رأسي لم أر مثله . الغريبة أنهم جميعًا ظهرت عليهم أعراض الألم وهم يمسكون برؤوسهم.

فجأة وسط الألم رأيت على الشاشة نساء يجلسن على الأرض ظهرن من العدم وحولهم أشباح أطفال، اختفى الألم من رأسي كما اختفى من رؤوس البقية.

أما النساء على الشاشة فقد نهضوا جميعًا وهم يصرخون وينظرون ناحية باب الشقة، اختفوا من على الشاشة كما ظهروا فجأة.



- (عمرو) ولع كل كشافات الإضاءة بسرعة

التفت (عمرو) للوحة الأزرار وضغطها جميعًا، خرجت من الغرفة للصالة متوجسًا، لم أجد شيئًا كما توقعت، نظرت للأرض فرأيت بركة الدماء كما رأيتها على الشاشة.

اقتربت منها وجلست بجانبها، مددت إصبعي بحذر وغمسته في البركة .. إنها دماء حقيقية وليست خداع بصري...

***

الساعة 10 مساءً

- إطمن يا (عبد الفتاح) موضوع العفو الرئاسي حقيقي، إنت حر دلوقتي وتقدر ترجع تعيش تاني وسط عيلتك، وشهادة الوفاة اللي طلعهالك أهلك اختفت من كل الجهات الحكومية، كأنها ما كانتش موجودة من الأساس

قال (جابر) العبارة السابقة وهو يجلس على الأرض بجانب (عبد الفتاح) وبعيدًا عنهم يجلس (سميح) و(جعفر)

- مش عارف أشكرك إزاي يا دكتور، بس أنا مش هطلع تاني إلا ....

قاطع (جابر) عبارة (عبد الفتاح) وقال:

- عارف إنت عايز إيه، علشان كده أنا جيتلك النهاردة، جهز نفسك ورتب حالك علشان نتحرك دلوقت، أنا وانت و(جعفر) و(سميح) ورجالة عيلتكم ونطلع على بيت (أبو خطوة)



– وانت تعرف حكايته منين؟

– أنا أعرف كتير ولا نسيتني يا (عبده) .. النهاردة إنت هتعرف إيه اللي حصل ليلة ما سيبت عيلتك في البيت ده

– هعرف إزاي؟

– فيه بنت اسمها (صفاء) موجودة هناك هي وكام شاب، هيكشفولك اللي حصل

نهض (جعفر) مفزوعًا من جلسته بينما (عبد الفتاح) يقول:

– مش دي البت الصحفية؟

نظر (جابر) لساعة يده وقال:

– يلا يا (عبد الفتاح) علشان نلحق نروح، ولا انت خلاص ما بقيتش عايز تعرف!!

***

نهضت من جلستي وبقية فريق التصوير يخرجون من الغرفة واحدًا تلو الآخر ويتجمعون حول بركة الدماء، فجأة انطفأت أضواء الكشافات وظل ضوء مصباح السقف هو الظاهر، كدت أن أحدث (عمرو) لكن صوت أنين أوقفني.

فجأة انقلبت الدنيا رأسًا على عقب، ظهرت حولنا أشباح رمادية لنساء تجري وتصرخ، صوت صراخ (صفاء) اختلط بصراخهم، كانوا يجرون حولنا



وهم ينظرون لنا خائفين، هناك أطفال تجري معهم يصرخون ويبكون وهم يشيرون خائفين ناحية باب الشقة.

صوت صراخ (صفاء) لم ينقطع فأمسكت بيدها وأنا أصرخ بها لتخرس، توقفت الأشباح وتصلبت في أماكنها حولنا، ومن باب الشقة ظهر ثلاثة رجال ليسوا كالأشباح بل يبدون كالبشر، الثلاثة يرتدون جلابيب وعمائم ويحملون بنادق آلية، هناك نقط من الدماء جاءت من اللامكان لتلتصق بملابسنا ووجوهنا.

توقفت (صفاء) عن الصراخ فجأة واتسعت عيناها وهي تنظر ناحيتهم، حررت يدها من يدي وسارت باتجاههم، من أين امتلكت هذه الشجاعة؟

رفع الثلاثة رجال بنادقهم الآلية وأخذوا يطلقون الرصاص بعشوائية وهم يدخلون للشقة .. نسمع صوت الرصاص ولا نرى تأثيره، كل هذا و(صفاء) تتجه ناحيتهم، من باب الشقة ظهر شاب يرتدي قميص وسروال ويحمل مسدس، صرخ فيهم فسمعنا صوته يقول:

- بتعملوا إيه؟ بلاش العيال الصغيرة...

اختفت أشباح النساء والأطفال المتخشبين وظهروا على الأرض مضرجين بالدماء، أما الشاب فقد أطلق رصاصة على أحد الرجال الثلاثة، نظر الرجال الثلاثة له وأطلق أحدهم بضعة طلقات ناحيته فوقع أرضًا.

***

ظهر المنزل أمام (سليمان) الذي يقود سيارته وبجانبه يجلس (عبد الرحمن) صامتًا، توقف (سليمان) على جانب الطريق أمام المنزل فقال (عبد الرحمن):

– خليك إنت هنا أنا داخل البيت لوحدي

لم يتكلم (سليمان) ولم تصدر منه أية إشارة جسدية، ابتسم (عبد الرحمن) وقال له قبل أن ينزل من السيارة:

– سلملي على الدكتور (جابر)، وقوله كان نفسي أفهم كل حاجة

هنا قال (سليمان):

– هبلَّغُه

***

كانت (صفاء) قد اقتربت من جثة الشاب الملقى بجانب الباب، تنظر له طويلًا، أما أنا فقد تابعت الثلاثة رجال وأحدهم يقول للبقية:

– الحق زميله قبل ما يطلع

جرى الرجل وخرج من باب الشقة وهو يمر بجانب (صفاء) بدون أن ينظر لها، توقف خارج الشقة ووجه فوهة بندقيته الآلية ناحية شخص ما بعيد عنه لكنه تلقى رصاصة في رأسه فوقع أرضًا.

جرى الإثنان الباقيان لخارج الشقة لكن كل واحد منهم تلقى رصاصة برأسه قبل أن يرفع سلاحه.



سمعنا صوت خطوات بطيئة تصعد السلم الأسمنتي خارج الشقة، ظهر شاب ينظر لجثث الرجال الثلاثة ويحمل مسدس بيده، تراجعت (صفاء) للوراء وهي تشهق، بينما هذا الشاب يدخل من الباب وهو ينظر للجثة الملقاه على الأرض فيفزع ويجلس بجانبه صارخًا:

- (إيهاب) .. فوق يا (إيهاب)

قاس الشاب نبض الجثة ثم جلس بجانبها وهو يبكي، (صفاء) مازالت تتراجع للخلف وهي تهز رأسها كأنها غير مصدقة .. سمعنا جميعًا صوت بكاء طفلة فنظرنا لجانب القاعة، هناك فتاة مضرجة بالدماء تحتضن طفلة وطفل مدرجين هما الآخرين بالدماء على وجهيهما، البكاء أتى من تلك الطفلة التي لم تتعد الأربعة سنوات.

نهض الشاب من جانب الجثة وسار حتى وقف أمام الطفلة، اقتربت (صفاء) منه ونظرت له قائلة بحزن ودموع غزيرة تنزل من عينيها:

- بابا

أخذ الشاب الطفلة من بين ذراعي الفتاة والطفلة تمد يدها ناحية الفتاة المقتولة وتقول بصوتٍ طفولي:

- (مي) .. (مي)

سمعنا صوت خطوات أخرى خارج الشقة، دخل بعدها آخر من توقعته، نفس هيئة الشاب لكنه كبر بالسن، نظر حوله يتأمل أشباح جثث النساء التي تلفها الدماء، ثم نظر لنا .. هل يرانا؟ نظر ناحية (صفاء) التي نظرت له وسط دموعها وقالت:



- أنا كنت موجودة اليوم ده هنا!!!

نظر حوله ثانية ثم تعلقت عينيه بالشاب الذي يحمل هيئته ويمسك بالطفلة يسمح الدماء عن وجهها بيديه وهو يهدئها، فجأة اختفى الشاب وأشباح الجثث.

- أنا من عيلة (الدهان)

- أيوا

- وانت اللي قتلت عيلتي

- أنا ما قتلتهمش، كان يهمني الفلوس بس .. بعتني (صبحي السلاموني) ليلتها ورا الفلوس أنا وصاحبي لما كنا بنشتغل معاه في التهريب، كنا ظباط في قسم القناطر وبناخد مرتبات شهرية منه، بعتلنا ليلة خناقة العيلتيين علشان نطلع ورا (عبد الفتاح الدهان) ونقتله وحلال علينا الفلوس اللي معاه، (إيهاب) شاف النور بتاع البيت مولع فوقفنا ودخل هو ورجالة (السلاموني) لكن لما لقى كل اللي في البيت ستات وعيال حاول يمنعهم فقتلوه، وأنا قتلتهم، أخدتك معايا وخفيت جثة صاحبي في مقبرة في (باسوس) وغيرت القفل بتاعها بعد ما كسرت القديم

توقفت (صفاء) عن البكاء لكن عينيها ظلت تنظر له بغضب وحقد، اقترب منها فتراجعت للوراء .. فجأة دخل من الباب شاب آخر يسير ساحبًا رجل عجوز يبدو أنه أعمى .. لحظة ملامح هذا الشاب أعرفها، أو على الأقل أشعر أنني أعرفها، هذه هي نفس ملامح صديق طفولتي الذي يظهر لي بالأحلام؟؟؟؟



نظر هو لي طويلًا كأنه يعرفني أو يشبه على ملامحي، ثم نظر لصفاء التي نطقت اسمه:

– (جعفر)!!!

تذكرت، اسم صديقي الخيالي كان (جعفر)، قال الرجل العجوز فجأة:

– أنا سمعت نص كلامك لكن فهمت كل حاجة خلاص، إنت مش هتخرج حي من هنا، رجالتي حوالين البيت من كل ناحية

فجأة سمعنا صوت طرق من داخل غرفة في الشقة، الغرفة التي ظهرت في الفيديو القديم لصفاء.

عاد الألم لرأسي لكن هذه المرة أشد من سابقتها، أمسكت رأسي بيدي وفعل الجميع المثل متألمين، فجأة ظهر صوت عالٍ كالصراخ سددت من شدته أذني، وسط كل هذا نظرت للغرفة لأرى مشهدًا انحفر في ذاكرتي بعد ذلك.

شيئًا يشبه الأبخرة يتصاعد من داخل الغرفة، وداخل هذا البخار لون أزرق فاتح يضوي بقوة، كلما زاد كلما شعرت بازدياد الألم في رأسي.

داخل هذا البخار والضوء الأزرق هناك هيكل لرجل يخرج من الغرفة يحيط به الضوء والبخار، ابتعد الجميع بسرعة عن الغرفة بشكل لا إرادي، إلا الرجل الذي كانت تحدثه (صفاء)، هو الوحيد الذي ظل واقفًا ممسكًا برأسه من الألم ينظر للشخص الخارج من الغرفة، فجأة زاد الضوء وشعرت بسخونة شديدة بجسدي تصاحب الألم وفجأة اختفى الضوء والبخار والألم

و.. واختفى الرجل؟؟؟ صرخت (صفاء) وهي تبحث بعينيها عنه لكن لا أثر له.

***

أمام المنزل وقف الكثير من رجال عائلة (الدهان) يحيطون بالمنزل يحملون الأسلحة وينتظرون أوامر كبيرهم الذي طلب منهم عدم الدخول إلا بإذنه، على الجانب الآخر من الطريق وقف (جابر) بجانب سيارته وبجانبه (سليمان) ينظرون للمنزل.

– هات الملف من عربيتك

قالها (جابر) همسًا لسليمان الذي ذهب لسيارته القريبة وأتى بحقيبته الجلدية ليفتحها ويخرج منها ملفًا قليل الورق ويقدمه لجابر، فتح هذا الأخير الملف لتطالعه صورة الجثة رقم 2 التي أراها في وقت سابق لعبد الرحمن.

نظر لساعته ثم قال:

– كده (عبد الرحمن) انتهت حكايته

– أنا حاسس إنه كان عارف اللي هيحصله

ابتسم (جابر) وقال وهو يتطلع للمنزل:

– تقصد إنه كان عارف إن هو نفسه صاحب الجثة رقم 2 .. حتى لو عارف فهو اللي اختار إنه ييجي معاك البيت



أغلق الملف وهو ينظر على يساره إلى سيارة تقترب وتتوقف بجانب سيارته ويخرج منها (عمر) ليصافح (جابر) بأدب، بينما (جابر) يقدمه لسليمان قائلًا:

- أعرفك بالشيخ (عمر فضل الدين سيد أبو خطوة) حفيد صاحب البيت اللي انت شايفه قدامك ده

قال له (عمر):

- أنا عملت اللي حضرتك طلبته وجه الوقت إني أعرف اللي أنا محتاجه

ابتسم (جابر) وربت على كتفه وهو يقول:

- جهز نفسك علشان هتعرف كتير الأيام الجاية

***

اليوم التالي

جلس (راضي) على الكومبيوتر بعد أن أوصله بالكاميرا التي وضعناها في الصالة على وضعية التسجيل أمس، كنت أنا الوحيد الذي يجلس بجانبه الآن في مكتب الشركة نحاول أن ننقل كل ما نستطيع من على شرائط الكاميرات لأجهزة الكومبيوتر، كل شيء مازال مسجلًا على كاميرا الصالة، حتى جاء المشهد الذي وقفنا فيه جميعًا في الصالة عندما خرج البخار من الغرفة.



لكن البخار ظهر على الفيديو على أنه ألوان كما ظهر في الفيديو الذي احتفظت به (صفاء).

ها هو الكادر الذي نتألم فيه والبخار المحاط بالألوان يظهر، وهذا هو والد (صفاء) يقف أمام الغرفة وينظر للموجة القادمة من الغرفة، أوقف (راضي) الكادر عن الحركة واتسعت عيناه وهو يقول:

– إيه ده؟؟ دا الهوا بيتأين!!!

لم أفهم عبارته لكنه أخذ يحرك الكادرات ببطء للأمام حتى رأينا الرجل المتلفح بالأضواء يخرج من الغرفة ويمسك بوالد صفاء ثم يسحبه معه لداخل الغرفة ثانية ويختفي.

طلبت من (راضي) إعادة الكادرات مرة ثانية بشكل أبطأ، عند مشهد خروج الرجل من الغرفة صرخت في (راضي) بأن يثبت الكادر، اقتربت من شاشة الكومبيوتر لأنني لم أصدق عيني في البداية .. أولًا الأضواء لا تحيط برجل بل تحيط بشاب، ثانيًا أنا أعرف ملامح هذا الشاب لأنه كان معنا في الصالة في نفس اللحظة .. هذا هو (جعفر)!!!!

كيف خرج (جعفر) من الغرفة محاطًا بالبخار وهو في نفس الوقت كان معنا في الصالة يتألم؟؟؟

رن جرس هاتفي المحمول، رددت عليه وأنا مازلت أنظر للصورة الثابتة على شاشة الكومبيوتر.. كان المتصل رجل يقول بأن اسمه (جابر عبد السيد) .. ويطلب مقابلتي اليوم بشكلٍ عاجل! من هذا الرجل؟

***



يتبع

إلى اللقاء مع الجزء القادم

ليلة في جهنم

(الرصد)

حسن الجندي



أعمال الكاتب

- مخطوطة ابن إسحاق (مدينة الموتى) – رواية
- مخطوطة ابن إسحاق (المرتد) – رواية
- مخطوطة ابن إسحاق (العائد) – رواية
- الجزار – رواية
- نصف ميت – رواية
- لقاء مع كاتب رعب – مجموعة قصصية
- حكايات فرغلى المستكاوي – مجموعة قصصية
- فى حضرة الجان – مجموعة قصصية
- ابتسم فأنت ميت – رواية

* * *

– تم تحويل رواية (نصف ميت) لمسرحية 2015

– تم تحويل رواية (الجزار) لمسرحية 2016

– تم تحويل كتاب (حكايات فرغلي المستكاوي) لمسرحية 2016

– تم تحويل رواية (مخطوطة بن إسحاق مدينة الموتى) إلى مسرحية 2016


ساحر الكتب


ساحر الكتب
دارك
للنشر والتوزيع

ليلة في جهنم

قضيت سنوات طفولتي ومراهقتي أمر على هذا المنزل
والفضول يقتلني لأعرف سر خوف الناس منه،
تجرأت وعرفت .. فندمت .. فقررت الكتابة عنه

حسن الجندي

تصميم الغلاف كريم آدم



